درر وعطور من حكمة العصور
مـــن نحــن
الجزء الثاني عشر
علاء الحلبي

من نحن؟

درر وعطور من حكمة العصور

الجزء الثاني عشر من مجموعة من نحن

تأليف

علاء الحلبي

الفهرس

الطريق إلى الحكمة ٥
الحياة الأبدية والحياة المؤقتة ٩
تعددت التجليات لكن تبقى الحياة واحدة ٢٢
من المعرفة إلى الحكمة ٥٦
حب الحقيقة ٨١
العيش في عزلة الطبيعة ١٠٧
النشوء والعيش في الطبيعة.. وارتباطه بالبشر المتوحشين ١٣٩
ظاهرة أناستازيا ١٤٥
كيف بدأت القصة ١٤٩
فلاديمير يلتقي أناستازيا ١٥٤
النوم مع الدب ١٦١
قدرة أناستازيا على الرؤية البعيدة والتأثير عن بعد ١٦٢
التلفزيون البيولوجي ١٦٩
علاج الناس من المشاكل بحاجة إلى حكمة وتأنّي ١٧٠
سبب اهتمام اناستازيا بفلاديمير وجذبه إليها ١٧٥
شجرة الكرز ١٧٨
علاج كافة الأمراض موجود في نباتات حديقتك الخاصة ١٨٧
الزراعة والروزنامة القمرية ١٩٣
أفكار جديدة حول تربية الأطفال ١٩٥
إعادة التواصل مع الطبيعة ٢٠٣
ولادة نجم جديد في السماء ٢٠٧
محاولة قتل أناستازيا ٢٢٦
رأي أكاديمي ٢٢٩

الغاية من الحياة ٢٣٢
الخلاصة النهائية ٢٦٢
حكمة العصور ٢٩٤
فلسفتي في الحياة ٣٠٦

المراجع ٣١٧

الطريق إلى الحكمة

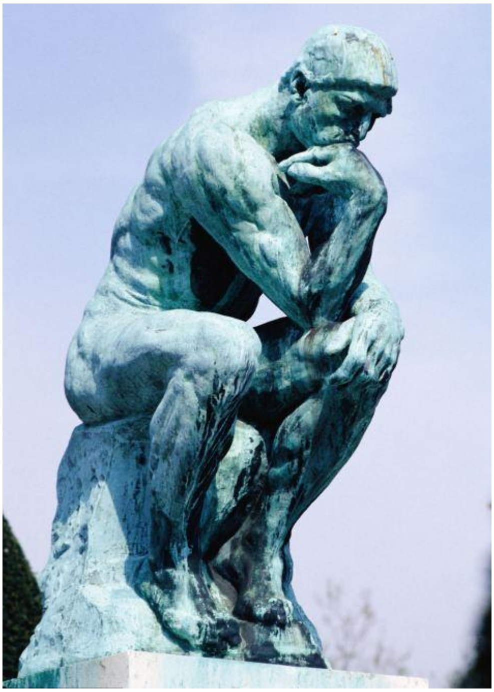

من خلال سلسلة الأجزاء السابقة من هذه المجموعة (من نحن؟) بدا أمامنا كائن بشري يختلف تماماً عن ذلك الذي يوصفه العلم الرسمي أو الأيديولوجات العصرية المختلفة أو حتى الأديان الرسمية بعد سوء تفسير التعاليم الأصيلة. لقد توصلنا إلى تعريف جديد تماماً للإنسان، وبالتالي لا بد من أن تكونت لدينا نظرة مختلفة وكونا صورة جديدة وهي صورة غنية ورائعة لهذا الكائن العظيم. بناء على هذا التعريف الجديد للإنسان لا بد من أن نصيغ فلسفة جديدة تناسب طريقتنا الجديدة في النظر والتفكير.

نحن أمام كائن جبار لا حدود لقدراته وإمكانياته. رغم كل ما يبدو عليه من سمات ومظاهر دنيوية وضيعة إلا أنه في جوهره يمثل كائن مجيد منبعث عبر أبعاد متعددة، منطلقاً من جذور إلهية جليلة وخالدة. رغم حالته الوضيعة والدنيئة نرى أن أصوله سامية ونبيلة. تنبثق كينونته الدنيوية الفانية من نبع خالد يتجاوز الزمن، فتتجلى بهيئة مؤقتة ثم

تعود إلى منبعها الأساسي لتتجلى مرّة أخرى بهيئة أخرى ووفق صيغة أخرى ثم تعود ثانية إلى موطنها فتحضّر نفسها للتجلي مرة أخرى.. وهكذا، وذلك تحقيقاً لحكمة إلهية لها غاياتها ومآربها وأسبابها المنطقية الخاصة.

من خلال قراءة سلسلة كتب مجموعة "من نحن" ويتعرف الفرد على كل تلك الحقائق المذهلة بخصوص الكائن البشري ومدى عظمته وطبيعته متعددة الأبعاد، السؤال الأهم الذي يتجلى في خاطره هو: ماذا سيفعل بخصوص هذ المعلومات الجديدة؟.. كيف يمكنه استثمارها لمصلحته الخاصة؟.. كيف يستفيد منها بأكبر قدر ممكن؟

بما أن معظمنا محكوم بالتفكير الدنيوي فمن الواضح أنه سيفكر بالفوائد الدنيوية التي يمكن استخلاصها من هذه المعلومات. وإذا هكذا يفكر القارئ العزيز أحب أن أقول له أن خيبة أمل كبيرة في انتظاره. صحيح أنه، وبناءً على المعلومات الجديدة بخصوص نفسه وطبيعة الكون العجيبة، يستطيع صياغة منهج محدد يساعده على استنهاض الكثير من القدرات الكامنة في جوهره والتي تجلب له التقدم والثراء، لكن إذا كانت هذه نيته فعليه أن يتروى ويعيد التفكير. لا يستطيع الفرد أن يباشر فوراً في تنمية أي من القدرات الكامنة لديه دون أن يترافق ذلك مع سعي إلى تنمية مستواه الأخلاقي.

في هذا المضمار بالذات فإن المعرفة التي نألفها اليوم لا تنفع أبداً في صياغة منهج أخلاقي صائب وصحيح لأن نظرتنا للعالم من حولنا هي غير صائبة ولا صحيحة. لهذا فإن الحكمة هي الأساس وليس المعرفة. المعرفة يمكن أن تتغير بينما الحكمة لا تتغير أبداً. مهما كنت واثقاً من نفسك، إذ تكون قد ارتقيت إلى أعلى المراتب المعرفية والعلمية، فتبقى وفقاً لحكمة العصور جاهلاً لا تفقه شيئاً بخصوص الحقيقة النهائية. لهذا السبب، قبل أن ترتقي في مجال استنهاض القدرات الخارقة عليك أولاً الارقاء من مستوى المعرفة إلى مستوى الحكمة. لا بد من أنك لاحظت مثلاً بأن المعرفة الجديدة التي اكتسبتها من هذه المجموعة (من نحن) بخصوص طبيعة الإنسان الإستثنائية هي مختلفة تماماً ولا تتناسب إطلاقاً مع معارفك الحالية التي اكتسبتها من المدرسة. بالتالي نستنتج بأن المعرفة قابلة للتغيير والتحول، بينما الحكمة تبقى ثابتة دون أي تغير أو تحوّل.

أنت بحاجة إلى نوع خاص من المعرفة، معرفة تتناسب مع طبيعتك الحقيقية ككائن خارق متعدد الأبعاد، بالتالي على هذه المعرفة التي تحتاجها أن تكون مختلفة تماماً عن ما تألفه من معارف متوفرة. هذا النوع الخاص من المعرفة هو الذي أشير إليه بالحكمة. وهذه ليست حكمة عادية بل حكمة العصور. هي ليست مجموعة تعاليم وتشريعات ونصوص جامدة بحيث عليك حفظها عن ظهر قلب أو محاولة تطبيقها بشكل أعمى دون فهم معانيها وغاياتها الحقيقية. هي بكل بساطة منهج فلسفي يحفّز الفرد على التوصل تلقائياً إلى حالة يقين نهائية بحقيقة الأمور. لكن الأهم من هذا كله، هذا المنهج الفلسفي يتوافق كلياً مع الطبيعة الحقيقية للإنسان.

لقد صاغ الحكماء القدامى هكذا نوع من الفلسفة التي تتوافق مع الحالة الحقيقية للكائن البشري وهي الحالة الأبدية الخالدة وليس الحالة الدنيوية المؤقتة. ويبدو أن السبب الرئيسي الذي جعلنا ننبذ تلك الفلسفة ليس لأنها بعيدة عن الواقع بل لأننا بعيدون جداً عن التعريف الحقيقي للإنسان. لقد نجح القدماء في تكوين صورة واضحة وشاملة عن الإنسان وإمكانياته، وهذا الذي جعلهم

يصيغون تلك الفلسفة أصلاً. لقد تمكنوا من صياغة طريقة حياة تتناسب مع الطبيعة الحقيقية للإنسان وإمكانياته الفعلية. هذه هي الفلسفة التي يشير إليها العارفون باسم "حكمة العصور".

حاولت جاهداً في سلسلة أجزاء مجموعة "من نحن؟" أن أقدم تعريف ووصف مختلف تماماً للإنسان بحيث يتوافق مع تلك التعاليم الفلسفية والروحية التي وضعها الحكماء القدامى لكي يتمكن بعدها الإنسان العصري فهم واستيعاب ماذا كانوا يقصدون في تلك التعاليم. مع تحوّل الثقافة البشرية المعاصرة إلى صيغة مختلفة تماماً في التوجه والتفكير وحتى العيش، وهذه الصيغة لها صبغة علمانية مادية، أصبح من الصعب على الإنسان العصري فهم واستيعاب كل ما كان يقوله أعظم فلاسفة العالم القديم. بدلاً من البحث عن العيب في طريقة تفكيره العصرية، راح الإنسان العصري يبحث عن العيب في تلك التعاليم بحيث قرر تجاهل وإلغاء معظمها بصفتها "غير منطقية" أو "غير عقلانية" أو "غير واقعية". والبعض الآخر من تلك التعاليم خضع لعملية تعديل شاملة وجذرية بحيث يتناسب مع التفكير العصري. كانت هذه مجزرة كبرى بحق المعرفة الإنسانية المتوارثة عبر العصور.. لكنها حصلت على أي حال.. دون حسيب أو رقيب.. دون أن ينتبه أحد أصلاً! لأنه ما من أحد اليوم يدرك إمكانياته الحقيقية وطبيعته الاستثنائية ككائن بشري، وبالتالي وافق على تلك المجزرة الثقافية المريعة وحتى أنه احتفل لحصولها بصفتها خرافات وخزعبلات تستحق هذا المصير البائس!

بالتالي فإن تلك الفلسفات التي أقصيناها ليست شاذة وبعيدة عن الواقع بل نظرتنا إلى الإنسان هي الشاذة والمشوهة والبعيدة كل البعد عن الواقع. لكن بعد أن اطلعنا على تعريف جديد ومختلف للإنسان فلا بد من أن نصيغ فلسفة جديدة تناسب طريقتنا الجديدة للنظر والتفكير. أو العودة إلى تلك الفلسفات القديمة التي لم نستسيغها فرميناها جانباً بصفتها غير منطقية أو غير واقعية.

لكي نصيغ فلسفة مجدية وصحيحة علينا أولاً توسيع دائرة معرفتنا لتشمل مواضيع مختلفة لم نفكر بها يوماً. فمثلاً، معظمنا لم يفطن يوماً بإمكانية وجود حياتين مختلفتين لكل فرد: حياة كونية وحياة دنيوية أرضية. نحن نهتم فقط بالحياة الدنيوية بينما الحياة الكونية لا نوليها أي اعتبار رغم أنها الأهم بالنسبة لوجودنا. دعونا نتعرف على المزيد بهذا الخصوص من خلال الموضوع التالي:

الحياة الأبدية والحياة المؤقتة

هناك حقيقة نادراً ما ندركها أو نتعرف عليها خلال اختبار وجودنا الدنيوي المؤقت، وهي أن للإنسان سيرتي حياة، الأولى هي السيرة المؤقتة التي نألفها في حياتنا المتجلية في العالم المادي، والثانية هي السيرة الأبدية التي نادراً ما نفطن لها ولأهمية تأثيرها الكبير على أقدارنا ومصائرنا. السيرة الأولى لا تتجاوز مدتها عقود أو حتى قرن واحد من الزمان، بينما الثانية تمتد إلى لا نهاية.. قرون وقرون وقرون.. والحكماء القدامى اهتموا بهذه السيرة الثانية وصاغوا فلسفاتهم وطرق حياتهم الدنيوية وفقاً لقوانينها ومبادئها الخاصة.

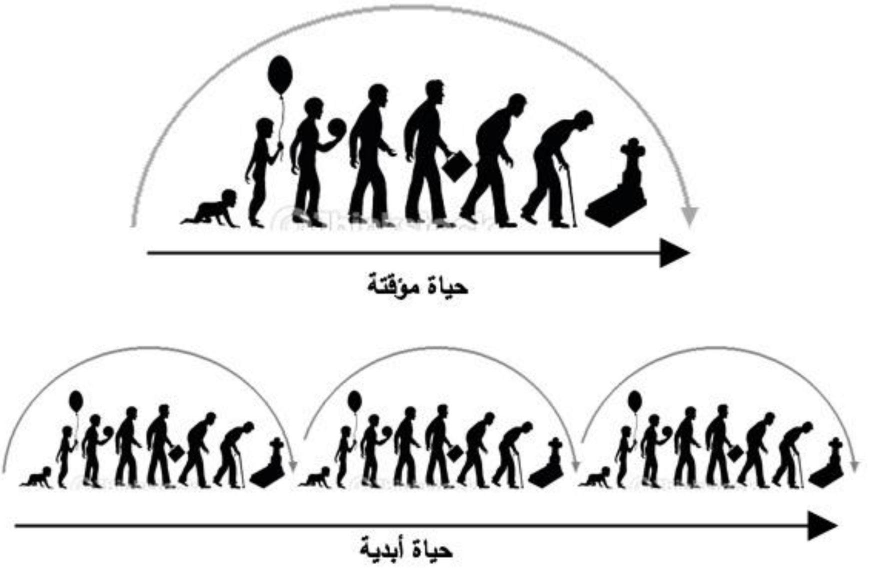

للإنسان سيرتي حياة، الأولى هي السيرة المؤقتة التي نألفها في حياتنا المتجلية في العالم المادي، والثانية هي السيرة الأبدية التي نادراً ما نفطن لها لكن الحكماء القدامى اهتموا بها وصاغوا حياتهم الدنيوية وفلسفة حياتهم وفقاً لقوانينها ومبادئها الخاصة.

إن للفرد سيرتي حياة. كل فرد منا، إن كان يدرك أو لا، لديه قصتين مختلفتين لكينونته. أولهما هي سيرة الحياة التي نألفها جميعاً والتي تبدأ عند ولادتنا إلى هذه الحياة وتستمر عبر سنواتها حتى نغادرها. هذه هي سيرة الحياة التي نعرفها جميعاً. إذا كانت سيرة حياتنا هذه مهمة فسوف يكتبون عنها في الموسوعات ويسجلها التاريخ. سوف تدخل في سجلات العائلة ويتذكرها الأولاد والأحفاد. وسوف ترافق الشهرة هذا الشخص طوال حياته وتستمر بعد مماته بسنوات. هذه هي مسيرة الحياة التي نألفها جيداً. وهذه هي المسيرة التي نحاول جاهدين إبقاءها مستمرة إلى الأبد. نفعل كل ما يوسعنا لكي نعتبر عنصر مهم وذو قيمة في المجتمع الذي نعيش وسطه. نأمل دائماً في أن يكون لدينا سمعة أو شهرة معينة، نأمل أن نتميّز بطريقة معينة. كما نأمل أن نكسب الثروة والتي هي الممتلكات الأكثر عرضة للتلاشي والاندثار. لكننا بنفس الوقت ندرك أنفسنا جيداً في هذه الفترة الزمنية القصيرة والتي نسميها مسيرة حياتنا، لكن ليس لدينا أي فكرة أو مفهوم يتعلق بشيء خارج هذه المسيرة الحياتية الدنيوية. نحن نعلم جيداً بأنه عندما نترك هذه الحياة سوف نترك كل شيء جمعناه في حياتنا إلى ورثتنا من أولاد وأقارب. الفرد يعلم بأنه سوف لن يكون له أي دور في التصرف بأملاكه بعد غيابه، لكنه في الوقت ذاته ليس لديه أي تصور بخصوص مصيره بعد مغادرة هذه الحياة. الأمر قاتم جداً بالنسبة له. بالتالي فهذه الحياة الدنيوية القصيرة التي نألفها جميعاً تمثل الحقيقة الواقعية الوحيدة التي نعرفها بينما كل ما يقبع وراءها أو قبلها فيبقى غامضاً بالنسبة لنا. جميعنا خلال الموت ندخل في نوم أبدي لكن لا نعرف أين تذهب أرواحنا. ندخل إلى مستقبل غامض ومجهول.

بهذه الطريقة نحن نعيش. نعيش وفق فلسفة حياة تحدها على الطرفين حالة ولادة وحالة موت. نعيش على أمل أن نكون مفيدين أو مساعدين أو ربما نمثل مصدر إحسان معيّن في المجتمع الذي ننتمي إليه. نحاول بناء سمعة جيّدة، نسعى لجمع الثروة والارتقاء والشهرة والتميّز على الآخرين. نبحث عن التقدم في المكانة الاجتماعية فنجتهد لنصبح طبيب عظيم أو محامي عظيم أو رأسمالي عظيم أو غيرها من امتيازات تضمن لنا قيمة اجتماعية ولو في بيئتنا المحلية. لكن ماذا يحصل بعد أن يسلم الجسد الروح؟.. كل شيء يزول ويندثر. شخص آخر سوف يتمتع بما كان ملكنا في يوم من الأيام. في

الوقت الذي نترك كل ما نملكه لأبنائنا، أو لعمل خير أو غاية نبيلة أخرى، نكون قد تركنا كل شيء وراءنا ونسير قدماً إلى المجهول، دون أي ممتلكات أو أي قيمة مادية أو اجتماعية من أي نوع. كل ما يبقى لدينا هو أمل واحد فقط، وهو إمكانية وجود شيء بداخلنا سوف يبقى خلال عملية الانتقال هذه إلى العالم الآخر. وحتى لو كان شيئاً باقياً معنا، فسوف يأخذ معه ما نحن عليه فقط. هو لا يستطيع أخذ أي شيء مما نملكه أو راكمناه وجمعناه طوال حياتنا الدنيوية.

مقابل هذه السيرة السابقة يوجد سيرة أخرى. هذه السيرة بالنادر ما فكرنا بها. إنها سيرة حياة تفرض حقيقة أن كل فرد منا له وجود في الأبدية كما له وجود في الزمن. نحن غير مقيدين بحياة قصيرة واحدة، بل لدينا وجود أعظم بكثير ويمثل سيرة حياة من نوع آخر. إنه سيرة حياة كائن في حالة تطوّر مستمر. يسير عبر الزمن في طريق الأبدية.. يحيا إلى الأبد. وهذا الكائن ينمو خطوة خطوة، يرتقي درجة درجة. وما نألفها بأنها حياة الفرد هي ليست سوى لحظة قصيرة في مسيرة أكثر عظمة. داخل كل فرد منا شيئاً يبقى قائماً.. شيئاً يتابع المسيرة.. ليحقق في النهاية الإنجاز العظيم.

نحن في الحقيقة نملك سيرة حياة تشمل مئات بل آلاف الحيوات الدنيوية التي نألفها. لكننا لا نملك أي ذاكرة لها هنا في حياتنا الدنيوية الحالية. لا نملك أي طريقة للحكم عليها أو تقييمها. رغم أن بعض الومضات قد تخترق جدار النسيان أحياناً فنكون فكرة عنها. لكن يوجد شيء في هذه السيرة الحياتية العظمى والتي علينا أن نفهمها: نحن لسنا مقدرين أن نولد ونعيش ومن ثم نموت تاركين جسدنا المادي، بل لدينا وجود آخر يقبع خارج هذا الجسد المادي، وهو وجود يخلق الأجساد لأنه أعلى مستوى من الأجساد. هذا الوجود يصنع أشكال جديدة لكل من تلاشى من العالم المادي. في الفلسفة الهندية تُسمى هذه الحالة مسبحة براهما. هذه المسبحة مؤلفة من حبات عديدة معلقة على خيط واحد. وهذا الخيط الواحد يمثل الحياة الكونية، بينما الحبات العديدة تمثل تجسيدات مختلفة في حيوات دنيوية مختلفة.. فتستمر هذه التجسيدات بالتتابع، الواحدة تلو الأخرى، حتى تشكل في النهاية الجوهرة الرائعة الممثلة للغاية النهائية لدورة الحياة وهي الارتقاء فوق هذه الدورة المتكررة. فيحصل الخلاص أو الانعتاق النهائي.

لوحة فنية هندوسية تعبر تماماً عن الحياة الأبدية التي تستمر دائماً وأبداً بينما الجسد هو عبارة عن مركبة تستخدمها الحياة الأبدية للتجلّي مؤقتاً بصيغة وهيئة ولغاية معينة تحددها الحكمة الإلهية المتجلية عبر مبدأ السببية (كارما).

علينا بالتالي أن نهتم قليلاً بما يحصل إذا أقبلنا على الحياة من وجهة نظر تستند على هذا الوجود الأعظم. أي تستند على سيرة حياتنا الكبرى وليس الصغرى. علينا اعتبار هذا الوجود الأعظم بأنه يمثل سيرة حياة فعلية كما نعتبر سيرة حياتنا الحالية التي نلمسها ونألفها. أي وجب أن نسلّم بحقيقة أننا نأتي إلى هذا العالم ليس ككائنات جديدة بل عريقة وضاربة في القدم. ثم نخرج من هذه الحياة ليس ككائنات كهولة مسنّة بل كائنات متجددة أبداً. كل شيء يسير وينمو. وكل إنسان لديه حياة تقاس بالزمن وحياة أخرى تقاس بالأبدية. إن إدراك هذه الحقيقة هو الذي يشكل جزء مهم من المعرفة التي تقول بأننا نمثل الماضي ونمثل الحاضر ولا بد من أن نمثل المستقبل. لا نستطيع القول بأن الماضي ميّت لأن لا شيء يزول سوى الظلال، بينما وقائع الماضي تبقى حية كما كانت أبداً. هذا الماضي يعيش في كل فرد منا. يعيش في ميولنا وأمزجتنا وقناعاتنا ومعتقداتنا. نحن ننتمي للعصور. نحن ننتمي للعصر الحجري. إذا نظرنا في المجتمع حولنا نجد أن هناك من لازال يعيش في العصر الحجري. بينما البعض الآخر يعيش في العصر البرونزي. البعض الآخر يعيش في العصر الذهبي أو الفضي. جميعنا نمثل أجزاء من عملية نمو عظيمة. عملية تقدم إلى الأمام. نحن نجلب من الماضي كل ما كنا عليه، ومن ثم نمنح للمستقبل كل ما نحن عليه.

كل هذه الأمور تمثل جزءاً من سيرة حياة واحدة. هذه السيرة التي إذا فهمناها جيداً فسوف نعيشها بشكل أفضل. علينا أن نأمل دائماً بأنه إذا فهمنا بشكل أفضل فسوف ننمو بشكل أسرع عبر هذه المسيرة الأبدية، فنصبح جزءاً متناغماً مع الخطة العظيمة للوجود.

نحن منشغلون جداً اليوم بخصوص مستقبل حضارتنا الدنيوية، وها قد دخلنا إلى القرن الواحد والعشرين. نحن مقبلون حتماً على عصر جديد. ونحن نحضّر أولادنا، والذين بدورهم سيحضرون أولادهم، لهذا التحول الكبير الذي بانتظارنا، والذي سوف تتقدم فيه البشرية خطوة كبيرة للأمام في سلم التطور العظيم. لكن دعونا لا ننسى بأننا سنكون أيضاً هناك في ذلك العصر القادم عندما يحين. إن كنا أحياء في هذا العالم أم لا، سوف نكون أحياء في كلا الحالتين في القرن القادم. إذا متنا قبل ذلك فسوف نجد

لأنفسنا مراكب جديدة، أجساد جديدة، لنكمل مسيرتنا وحاملين معنا الميول والنزعات التي طورناها هنا في الوقت الحالي. إذا كنا أنانيين هنا ولم ننمو إلى ما هو أفضل من هذه النزعة، فسوف نولد أنانيين أيضاً في تجسيدنا القادم. سوف يكون لدينا نفس السمات والمواصفات النفسية والأخلاقية التي نملكها اليوم، وخلال اجتهادنا إلى تغيير المواصفات السيئة أو ننمو فوقها خلال خبراتنا الحياتية (التي تمثل دروساً وليس صعوبات ومشقات كما يعتبرها معظم الناس) سوف نتحرك قدماً إلى مستقبل أفضل. المستقبل الأفضل هو في الحقيقة نوع جديد من مسيرة النمو، لكن النمو سوف يستمر إلى الأبد.

المشكلة هي ماذا نقصد عندما نقول بأن النمو سوف يستمر إلى الأبد؟ ألا نحصل على فترة راحة؟ أليس هناك مكان للسلام بل فُرض علينا خوض معركة النمو التدريجي إلى الأبد ولانهاية؟ الجواب هو: نعم، أعتقد بأن الأمر مقدر له ذلك. لكن مع زيادة حكمتنا خلال مسيرة النمو هذه فسوف لن يعد النمو مؤلماً. حتى أن النمو سيصبح حالة إنجاز.. سوف يصبح الأمر الذي نريده أكثر من أي شيء في الوجود.. لأننا نكون قد اكتشفنا حقيقة أن النمو هو عبارة عن الارتقاء فوق المحدودية وليس الارتقاء فوق الحياة التي هي أبدية وخالدة. سوف نستمر في الحياة، ونصبح أكثر سعادة وحكمة وأكثر فائدة.. مع نمونا وارتقاء مستوى حكمتنا سوف نفهم أكثر تلك الأسرار الغامضة المتعلقة بالحياة التي ننتمي إليها.

لذلك فإن الاستمرار إلى الأبد يعني النمو إلى الأبد. وفي التحليل الأخير لهذه الظاهرة تبين أن أكبر سعادة في الحياة هي متعة النمو. الاستمرار قدماً نحو عوالم جديدة وآفاق جديدة ومفاهيم جديدة.. لكن علينا أن نأخذ معنا أمتعتنا التي تحوي الأشياء القديمة. علينا أن نأخذ معنا كل المسائل غير المنجزة التي اختبرناها في الماضي. في مكان ما في العصور القديمة كنا نمثل الفرس والإغريق.. كنا الرومان والهندوس.. ونعود إلى ما هو قبل ذلك حيث أطلنطس وراما ولوميريا.. نحن نمثل كل أولئك الناس.. إنهم يعيشون في داخلنا الآن.. نحن هم.. لأن هذا العالم ليس مؤلفاً من مجموعة حيوات جديدة، بل هو يتألف من تطوّر متسلسل من فصيلة معينة من المخلوقات ولدت ونشأت في راحب الحكمة الإلهية. لذلك نحن ننمو دائماً على مستوى الذات المركزية لدينا (الشمس

الباطنية)، وبهذا نحن ننمو فوق الأنا الدنيوية الصغرى التي نسعى جاهدين إلى إرضاء نزواتها والدفاع عنها بكل ما نملكه. نحن ننمو فوق البدايات الصغيرة إلى شيء أكبر وأكثر عظمة. مسيرة نمونا تشبه صدفة النوتيلوس البحرية Nautilus المقسمة إلى حجرات متعددة. كلما انتقلنا من حجرة إلى أخرى كلما زاد نمونا الروحي بالتناسب مع حجم الحجرة التي انتقلنا إليها. نحن في حالة إنجاز دائم ومستمر، وعبر الإنجاز تأتي السعادة النهائية والحكمة النهائية التي تمكننا من الاستمرار بالعمل الإلهي الذي قدر لنا إنجازه.

مسيرة نمونا تشبه صدفة النوتيلوس البحرية Nautilus المقسمة إلى حجرات متعددة

في مكان ما في حقول الفضاء علينا أن نزرع ونحصد. في مكان ما في لانهائية الأشياء علينا أن نقترب أكثر وأكثر من المبدأ الإلهي. وبالإقتراب منه نكون قد اقتربنا من قلوب وأرواح الذين يحتاجون إلينا. وخلال اكتمال الحياة واكتمال الإدراك النهائي نكون قد حققنا الغاية التي خُلقنا من أجلها.

من خلال هذا النوع من الإدراك الناشط بداخلنا يتكون لدينا ذلك المفهوم الذي تحدث عنه الحكماء القدامى حول سيرتي الحياة. وجب إدراك حقيقة أن سيرة الفرد في حياته الحالية هي مجرّد صفحة واحدة فقط في كتاب ضخم يمثل البداية والنهاية. هذا يقودنا إلى حقيقة أخرى مهمة، نحن كما نحن عليه اليوم لسنا فقط أفراد أبناء الآن. نحن لسنا هنا لاكتساب كل شيء من أجدادنا أو نصبح ضحايا لبيئتنا. نحن نمثل بيئتنا، نحن خلقناها، هي تمثل طول السلم الذي نقف عليه الآن. هي تمثل المكان الذي وصلنا إليه. وبداخل كل فرد منا يكمن كامل ماضينا. كما أن في كل فرد منا يكمن الإدراك بحاجات مستقبلنا. نحن بالتالي نعيش بشكل مستمر ودائم في مسيرة نمو تم تغذيته من قبل خبراتنا القديمة جداً والتي تحركت قدماً للأمام إلى المستقبل الذي لم يولد بعد. كما أنه علينا الإدراك في المجريات الغامضة حقيقة أننا نحوز بداخلنا على كمية هائلة من المعرفة، قدر عظيم من الحقائق التي ربما عندما تتجلى في البداية لن تكون مفهومة. الأمر ذاته يحصل اليوم، حيث نحن وسط حالة طارئة تعيشها أمم العالم، نحن وسط حالة خطيرة ناتجة من سوء فهم وسوء تطبيق لمبادئ الحياة. بالتالي علينا أن ندرك بأنه بداخلنا مخزّنة كافة الخبرات والتجارب التي حصلت في الماضي. كل شيء حصل معنا من قبل، عبر تاريخنا الكوني اللانهائي، هو موجود هناك في ماكن ما بداخلنا. نحن لا نملك أي ذاكرة واعية بوجودها، لكن لدينا إحساس بوجودها في العالم الخارجي من حولنا. وكافة الدروس التي تعلمناها والحكمة التي اكتسبناها وبالإضافة إلى الدروس التي لم نختبرها بعد، جميعها تشكل أجزاء من مجموعة الإمكانيات الملكات التابعة للحياة الإنسانية المتكشفة على الدوام.

إذاً لدينا كل هذا المخزون المتراكم من الماضي البعيد، منذ الزمن الأوّل. لكن السؤال هو: ما الذي نقدمه للعالم من هذا المخزون؟ هل نقدم للعالم تلك الفنون والعلوم الرائعة التي زخر بها العالم القديم؟ أين هي عجائب مصر القديمة وعجائب الهند والصين وأمريكا الجنوبية؟ ما الذي جلبناه معنا في مخزوننا الداخلي من إنجازات وروائع ذلك الزمن القديم ونقدمه الآن للعالم الحالي؟ الجواب هو بسيط: لقد جلبنا معنا ما نستحقه فقط. لقد مررنا عبر تجارب واختبارات معينة ونحمل معنا عبر الزمن ردود أفعالنا تجاه تلك التجارب والاختبارات. لدينا كافة أنواع الدروس غير المختبرة بعد، وكذلك الدروس

المختبرة جزئياً، وأيضاً تلك الدروس التي لم نتعرف عليها بعد. هناك أشياء علينا اختبارها لكننا الآن لم نسمع عنها أبداً. هناك أشياء فعلناها لكننا نرغب في نسيانها. كل هذه تمثل جزء من الماضي.

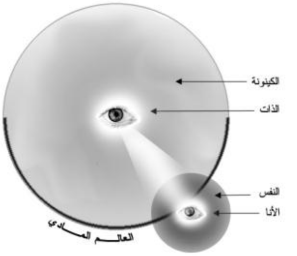		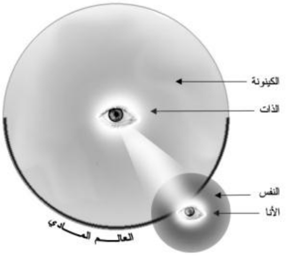
[١] الحياة هي عبارة عن تجلّي النفس في العالم المادي باندفاع من النبضة الشمسية، فتتخذ جسداً مادياً كمركبة لها. (شرحت العملية في الجزء العاشر)	[٢] الموت هو عبارة عن دمار الجسد الذي يمثل مركبة للنفس، فتعود هذه الأخيرة إلى المحتوى الشمسي الباطني (عالم النور)	[٣] ما تلبث النفس أن تمكث لفترة وجيزة داخل محتوى النور الشمسي فتعود مرة أخرى باندفاع من النبضة الشمسية للتتجلى بهيئة مادية مرة أخرى

المعنى المقصود من كلمة "تقمص" أو "تناسخ"، أو أي كلمة مرادفة لهذا المعنى، هو إعادة التجسيد المادي للنفس بشكل متكرر (حياة/موت حياة/موت حياة/موت.. إلى آخره)، ويعتبر أحد أهم المبادئ الأساسية التي أخذ بها الحكماء القدامى. هي تعني أن الكائن الحي لا تنتهي حياته بعد الموت بل تعود نفسه لتولد مرة أخرى بصيغة مادية لكن تتخذ شكل أو هيئة حياة جديدة مختلفة. النفس إذاً قابلة للتجلي أكثر من مرة بصيغة مادية حيث تحتل جسد جديد في كل حالة تجلّي. الحكمة وراء هذه الفرضية لها أساس علمي متين، حيث طالما بقيت الرغبة مستعرة في النفس عند فراقها للجسد بعد الموت فسوف تجذبها مرة أخرى نحوى المستوى المادي مع كل نبضة شمسية تدفعها إلى التجلّي مرة أخرى. هذه العملية تتكرر لعدد كبير من المرات حتى تتجلي منها تماماً هذه الرغبة في المغريات الدنيوية وهنا تستعيد النفس عذريتها ونقائها فتبقى مندمجة مع المحتوى الإلهي حيث لم تعد عملية التقمص ضرورية. فتتحرر الذات (موكشا بالهندوسية) من دورة الضرورة (سامسارا بالهندوسية) التي غايتها انجلاء النفس تماماً من ملوثات العالم المادي.

إنها خطة كونية رائعة بحيث تمثل أحد أسرار الخيمياء، وهو أنه ما من كائن حيّ يأتي إلى الوجود ويمكنه أن يفشل. قد يفشل مؤقتاً بمقياس اليوم، لكنه سينجح في النهاية بمقياس العصر. قد لا يتمكن من تحقيق إصلاح أو تصحيح معيّن في حياة واحدة أو عشر حيوات، لكنه سينجح بكل تأكيد بعد مضي ألف حياة. كل هذا يعني أننا نبني شيئاً. هناك شيء بداخلنا ينمو ويكبر عبر الحيوات المتكررة. أي أن حياتنا الحالية القصيرة لا تنتهي في قبر مع شاهد رخامي. أنا لا أقصد ذكرى حياتنا الحالية التي سوف تستمر عبر أولادنا وأحفادنا، بل عن حياتنا الأبدية التي نسافر عبرها بحيث الموت الجسدي المؤقت يعتبر محطة قصيرة فنتابع بعدها الرحلة عبر ولادة أخرى في حياة أخرى. كل هذه الأمور التي تحصل هي جزء من خطة كونية. الخطيئة في هذه الخطة هي بنفس قيمة الفضيلة. المسألة تكمن في سعينا الدائم إلى مراكمة الفضائل والاستمرار في تصحيح خطايانا. إذا فعلنا هذا فسوف تتطور غاية الحياة لدينا. ونجد أنفسنا فجأة بأننا نعيش في وحدة هائلة من الحياة. نعيش وسط عظمة يتعذر استيعابها.

قد يقول البعض بأن كل هذا يبدو غير عقلاني، وذلك بناء على حقيقة أنه ليس لدينا أي دليل على صحة هذه الأمور. حينها علينا أن نسأل أنفسنا ما الدلائل التي نحوزها بخصوص هذا الموضوع؟ هل من سبب رئيسي لعيش هذه الرحلة الأبدية؟ إذا كنا نعيش على كوكب يتلاشى تدريجياً فهذا يعني أننا سنتلاشى معه لأننا نمثل جزء منه. هذا بكل تأكيد ليس مثالاً جيداً على خطة إلهية حكيمة، بل يمثل مسيرة عشوائية متوجهة حتماً نحو الدمار والاندثار. هناك أيضاً من يقول بخصوص هذه المسائل بأنها غير قابلة للحل، أو علينا الانتظار حتى تحلّ نفسها بنفسها. أو علينا انتخاب قيادات مناسبة لكي تعمل على إيجاد حل مناسب لهذه المشاكل، لكننا جرّبنا هذه الطريقة لكنها لم تثبت جدواها أبداً. ها هي الأمم المتحدة تشرف على كل الحروب دون أن تنجح ولو مرة واحدة في إيجاد حلول ومخارج سلمية لها. لكننا نعلم بأنه داخل هذه الفقاعة الصغيرة التي نسميها كوكب الأرض نعيش وننشط ونتمتع بكينونتنا، وليس هناك أي دليل بأننا سننتقل للعيش في كوكب آخر. سوف يأتي اليوم الذي نأتي فيه وجهاً لوجه مع المشاكل المستعصية. لقد قمنا بكل ما بوسعنا لكي ندمّر هذا الكوكب الصغير الذي يسافر بنا في الفضاء. لقد فعلنا كل ما بوسعنا لنضع كل الأهمية على الوقت الآني، أي الآن. أي أنه

علينا تجميع كل ما يمكن من أموال الآن. علينا أن نحقق الشهرة والتميّز الآن. علينا تلبية كافة رغباتنا وغرائزنا الآن. لكن كل هذا لا يمثل أي منطق. لأن ما نعتبره الآن سوف يصبح من الماضي حيث الصمت والنسيان. لذلك ليس هناك أي تفسير لوجود الإنسان اذا انتهى كل شيء بخصوصه في المقبرة المحلية. لا بد من وجود شيء آخر.

لقد حاولنا أيضاً الأخذ بفكرة الجنة والنار. لكن هذه الفكرة لم تكن ذات شعبية بسبب عدم منطقيتها وبالتالي لم تحل جميع المشاكل. نحن لم نشعر أبداً بأننا مقبلون على تلك اللعنة الأبدية التي نسميها جهنم أو الجحيم سوى من قبل جيراننا أو زملائنا أو غيرهم من الذين لا يحبوننا فيصدرون أحاكمهم الإلهية علينا. لقد حُكم علينا من قبل الدين والعلم والسياسة والثقافة وغيرها.. مهما فعلنا من أشياء فلا بد من أن يظهر من يعارضها. بالتالي لا يمكننا إيجاد حلول جذرية في فكرة الجنة والنار. الحل هو أننا الآن نحمل بداخلنا حكمة العصور والتي عمرها آلاف بل ملايين السنين. ولازلنا نرفض الاعتراف بحقيقة أننا نمثل لحظة قصيرة في حياة ممتدة بشكل هائل يفوق مستوى استيعابنا. نحن نخاف من الاعتراف بحقيقة أننا نمثل الماضي كما نخاف الاعتراف بأننا ربما نمثل المستقبل أيضاً. كل هذا لأننا غير راضين بحقيقة أننا نمثل الحاضر. كل هذه الأمور تصبح جزءاً من الفلسفة التي يحوزها ما يمكن تسميتهم بـ"حراس الحكمة". هم الذين يحافظون على إدراك حقيقة الغاية النهائية وراء كل هذه التغييرات التي تبدو تافهة أو غير منطقية. قد يقول أحدهم ما هي الحقيقة التي تخفيها هذه التغييرات؟ ما هي الدلائل التي تثبت الكلام السابق؟ في الحقيقة هناك الكثير من الدلائل، لكن هناك أمر آخر وجب أخذه بالحسبان، وهو التالي: إذا كان هناك أي مبرر لوجودنا، إذا كان هناك شيء بخصوصنا يجعلنا أكثر أهمية من حييون البروتوبلازما فهذا يعني بأن فلسفاتنا الحالية غير مجدية. ليس هناك أي طريقة لتبرير الكائن البشري بصفته يمثل جزءاً من كون عملي ومحسوس إلا إذا افترضنا وجود شيئاً عملياً ومحسوساً فوق مستوى الكائن البشري. أن نفترض وجود عالم تولد فيه الكائنات ومن ثم تموت إلى الأبد دون أن تترك أثراً مادياً أو تجاوزياً، فهذا العالم سيكون في عبودية دائمة لشيء ما. البشرية تحارب دائماً لنيل الحرية، يقتلون بعضهم البعض دائماً وباستمرار في سبيل الاستقلال، في الوقت الذي يكون الإنسان في حالة عبودية من قبل ذلك الاستقلال الذي ناله. علينا

معرفة هذه الأمور. وبالتالي علينا أن نسأل بعدها: ما هي المشكلة؟ أعتقد بأن الحكماء القدامى لخصوا الأمر في معادلة واحدة بسيطة: ".. هل يوجد سبب للوجود أو ليس هناك أي سبب للوجود؟..". الأمر بهذه البساطة. إما أن يكون هناك سبب لوجودنا أو ليس هناك سبب لوجودنا. وفي الوقت نفسه لا يمكننا أن نصدق بأن الكون الذي يملأ الفضاء بالمجرات والأنظمة الشمسية، ليس لديه سبب للوجود، وأن كل هذا هو نتيجة صدفة كبرى، ونحن مجرّد صدف صغيرة في الصدفة الكبيرة. هذا لا يمثل أي منطق عقلاني. لا يمكننا تبرير قوانين الفيزياء وقوانين البيولوجيا وقوانين الكيمياء وقوانين الموسيقى والفن بالاستناد على فكرة أننا مجرّد سلسلة صدف أو سلسلة أحداث عفوية، وبأن بقائنا يعتمد كلياً على تجارب أجدادنا وبالتالي ليس هناك أي سبب عاقل لأي شيء. هنا يدخل العلاج الشافي لكل هذه المشكلة. إنه إجراء يتم الاحتفال به عبر عصور طويلة. هو طقس يجري داخل المحافل السرية منذ أزمنة غابرة.. حتى اليوم. هذا الطقس يسمى: ".. تسليم واستلام المصباح.."، وهو في الحقيقة يرمز إلى تسليم الحكمة السرية من جيل إلى جيل.. من الكهول إلى الشباب. الحكمة هي النور الذي يشعّ من المصباح أو الشعلة التي لم تنطفئ منذ الزمن الأوّل.

كل من يألف معاني أوراق التاروت Tarot لا بد من أن يعرف الورقة التاسعة التي تحمل رمز الزاهد الحكيم HERMIT. هو يحمل المصباح أو الفانوس المشع بالنور، ويصورونه أحياناً بأنه يحمي نار الفانوس بعبائته منعاً لانطفائها. هذه الورقة تمثل ايضاً رمز استخدم عبر العصور ليمثل عملية حفظ وصيانة نور الحقيقة أو نور الحكمة. لطالما ذكر فانوس التقليد أو شعلة التقليد في الكثير من المراجع التاريخية لكن القليل من الناس يستوعبون المعنى الفعلي لهذا المصطلح. أشهر من ذكره هو فرانسيس بايكون وقد أشار إلى فانوس التقليد، وسما الفانوس بـ"الطريقة" التي وجب نقلها من جيل إلى جيل من أجل المحافظة على العرق البشري.

هذا هو ذاته التقليد السري الذي تحدثت عنه مراجع باطنية أشهرها الهرمزية وكذلك العديد من الفلسفات الشرقية مثل البوذية (زن zen) والطاوية Taoism وغيرها. سوف نتعرف لاحقاً على هذا التقليد السرّي أو حكمة العصور والتي انبثقت منها كافة الأديان العظمى السائدة في العالم اليوم.

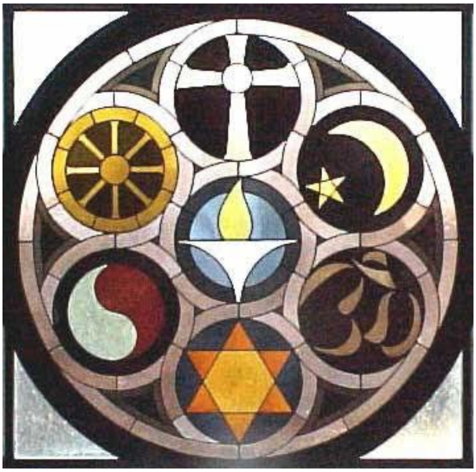

حكمة العصور، تمثلها الشعلة في وسط الدائرة. هذه الحكمة تمثل المصدر الأساسي لكافة الأديان العظمى حول العالم (التي تحيط رموزها حول الشعلة في المركز). أنظر في موضوع حكمة العصور في نهاية الكتاب.

إذاً، لدينا ككائنات بشرية حياتين: حياة دنيوية مؤقتة وحياة علوية أبدية. عندما نتناول الحياة الأبدية للإنسان فلا بد من أن تتوسع معرفتنا لتطال مفاهيم أخرى متممة لهذا الموضوع بحيث تساهم في تكوين صورة أوسع وأوضح. أوّل المفاهيم هو مبدأ السببية أو الكارما كما يشيرون إليه في التعاليم الهندية. هذه وحدها تفرض على الفرد أخلاقيات وسلوكيات محددة تتوافق مع قوانينها. (سوف أتناولها بشكل مفصل في إصدار آخر).

دعونا نستغل هذه الفرصة لذكر موضوع آخر يأخذه الرجل الحكيم في الحسبان قبل إصدار حكمه على الأمور. هذا الموضوع لا يقل أهمية عن الموضوع السابق وهو يتعلق بشمولية الحياة الكونية. هذه النظرة المختلفة للحياة الكونية تفرض علينا النظر بطريقة مختلفة لكافة الكائنات الأخرى التي تشاركنا الحياة في هذا الوجود الأرضي. الموضوع التالي يوضح المسألة بشكل جيّد.

تعددت التجليات لكن تبقى الحياة واحدة

قوة الحياة في نظام كوني كامل متكامل

قبل وقت قصير في تاريخنا لم يكن هناك أ اهتمام أخلاقي أو حتى بيئي باتجاه الممالك المختلفة للطبيعة، لكن في العقود القليلة الماضية ساهمت مؤسسات صناعة الأفلام والبرامج التلفزيونية الوثائقية في توجيه الانتباه نحو مسائل بيئية ومنحتنا فهم أكثر عمقاً وتفهماً وتعاطفاً مع المسائل المختلفة لحياة الحيوان. الكثير من تلك الأفلام الوثائقية كانت مؤثرة بشكل كبير وكان لها معنى عظيم بالنسبة للأشخاص المتفكرين. يمكن استخلاص كل ما عرفناه من هذه الأفلام في مفهوم واحد أساسي: هناك حياة واحدة تحي كل شيء موجود في الطبيعة، وهذه الحياة الواحدة يتم تقاسمها من قبل كافة ممالك الطبيعة، وأن الإنسان لا يملك أي سيطرة على قوة الحياة الكونية. هذه القوة موزعة بين الكبير والصغير.. بين المعقد والبسيط.. هذه القوة تستمر بنفس الدفع والنشاط ونفس الوتيرة، جيل بعد جيل، تمنح الحياة وتجد طرق لامحدودة للمحافظة على استمراريتها.

في العالم الغربي مثلاً، لم يلقى الحيوان أي اهتمام يليق به ، في السجلات القديمة جداً لكل من الحضارات المصرية والكلدانية والبابلية والإغريقية والرومانية، نقرأ قصص مختلفة عن الصيادين العظماء الذين ذهبوا في رحلات صيد تستهدف أنواع مختلفة من الحيوانات. وأن أولئك الصيادون كانوا يعتبرون الصيد نوع من الرياضة. بينما بعض الشعوب الأخرى الأقل شأناً اعتبرت الصيد ضرورياً لبقائها. لكن في جميع الأحوال، كان المزاج العام في تلك الفترة القديمة، وفي محيط البحر المتوسط خصوصاً، يعتبر الصيد امتيازاً بحيث لا أحد كان يولي أي اعتبار للحيوانات المستهدفة. وحتى أن الصياد كان يُكافأ لإنجازاته، مع أنني في الحقيقة لا أرى أي إنجاز في هذا الموضوع. لم يكن للحيوان أي خيار أو أي طريقة للدفاع عن نفسه ضد وسائل الصيد المتطورة للإنسان والتي تتميز بحرفة عالية وخداع ماكر.

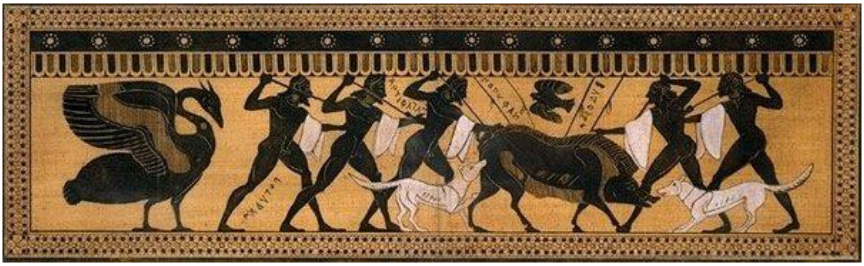

صيد الحيوانات كان معروفاً كرياضة لدى الكثير من الحضارات القديمة

لذلك علينا البحث أكثر في هذه المسألة لنرى إذا كان بمقدورنا التوصل إلى ما يمكن مساعدتنا على فهم أهمية هذا الموضوع تحديداً. دعونا نذهب إلى حيث يمكن فهم الحيوانات بشكل أفضل. أقصد لدى شعوب شرق آسيا. هذا لا يعني أن هؤلاء الشعوب الآسيوية لم ينسوا أيضاً تلك الفلسفات والأديان العريقة التي سادت يوماً مجتمعاتهم (بعضها لازال حتى اليوم)، لكن بشكل عام فإن فهم حياة الحيوان قد تم استكشافه في الديانة الهندوسية والبوذية أكثر من أي ديانة أو فلسفة أخرى حول العالم. يبدو أن أتباع هذه الديانات الشرقية قد شملوا الحيوانات في مفهومهم الخاص للمخطط الكوني للأشياء. لكن في فترة ليست ببعيدة بدأ المتصوفون الغربيون يفعلون الشيء ذاته. نتذكر مثلاً كيف القديس فرانسيس الأسيسي صلى للطيور. وقد سمعنا عن بعض الكنائس التي منحت الحيوانات معاملة خاصة في مناسبات سنوية محددة. وكانت الحيوانات أحياناً تُجمع لكي يتم تعميدها.

كان هذا يمثل جزء من تقليد قديم يسبق فترة المسيحية لكنه ليس منتشراً بشكل واسع في الغرب. بالنسبة للإنسان الغربي لازال الحيوان يعتبر شيئاً تافهاً لا يُحسب له حساب في المسائل الجدية. بعض الحيوانات الأليفة والتي كان لنا علاقة قديمة معها أظهرت صداقة جيدة مع البشر. وعلى المستوى الفردي نجد أن الكثير من الناس قد منحوا اهتمام وعاطفة كبيرتين للحيوانات. لكن هذه تبقى مبادرة شخصية أو صداقة نشأت بالصدفة أو حالة تعاطف تجلت لدى الشخص لأسباب تعود إلى تلبية حاجاته النفسية الخاصة، وأخيراً هناك القليل من هؤلاء الذين أقاموا صداقتهم مع الحيوانات لاعتبارات نابعة من حكمة داخلية تتعلق بنظرتهم الخاصة للحياة.

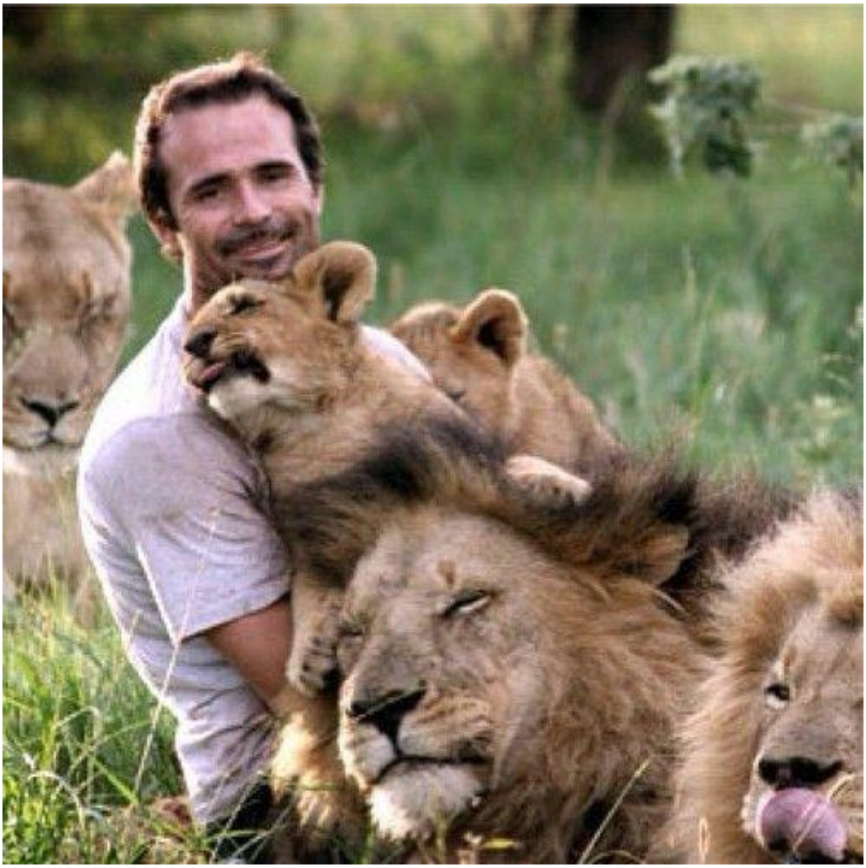

Animals want love and to live in peace

© Matt Tabaccos / Barcroft Media

لكن في البلاد الآسيوية الشرقية ذهبوا بهذه العلاقة الحميمة مع الحيوانات إلى أبعاد متطرفة، خصوصاً بين الشعوب البوذية. مع العلم أن الفلسفة البوذية مشتقة أصلاً من الهندوسية التي لها احترام كبير للحيوانات أيضاً. الفلسفة المتعلقة بالحيوانات والتي تُعلم في الأنظمة الشرقية ربما تمثل المفتاح الوحيد حالياً لأصول العلاقة بين البشر والحيوانات. في القرن السابع الميلادي أصدر أحد الأباطرة اليابانيون أمر ملكي يمنع قتل الحيوانات لأي سبب من الاسباب. ومن أجل تعزيز هذا الأمر الملكي الصارم كان

على الامبراطور الأخذ في الحسبان أولئك الذين يعتاشون من صيد الحيوانات، خصوصاً الأسماك. فما كان عليه سوى التعويض لهم بالمال. هذا الأمر الملكي بقي سارياً حتى بعد اعتلاء الامبراطور التالي العرش، ومن ثم التالي.. وهكذا حتى رسخ هذا التقليد مع مرور الزمن. طوال هذه الفترة الزمنية المديدة كانت الدولة تدفع لصائدي الأسماك تعويضاً عن امتناعهم الصيد. كافة الأشخاص الذين يعملون في المجالات المتعلقة بنشاطات الحيوانات المختلفة والتي يعتاشون منها كانوا يقبضون تعويضاً من الدولة لكي لا يجدوا أي ضرورة لقتل الحيوانات. بقيت الحال كذلك حتى القرن الثامن عشر حيث وصل أوّل قنصل عام أمريكي إلى اليابان، وأوّل شيء طلبه عند وصوله هو أن يأكل قطعة لحم بقر مشوية على الفحم. هذا الطلب الصغير أدى إلى حصول أزمة على المستوى الوطني! لأنه ما من ياباني واحد كان يتصوّر أن لحم البقر يمكن أكله. بعد أن أعلن عن طلب القنصل الأمريكي أسرع كل مزارع ياباني إلى إخفاء أبقاره. لا أحد أراد أن يضحي بصديقه الحميم، أو أخيه ذو الأربع أرجل، من أجل هذه الغاية. لكن في النهاية تمكنت الحكومة من إيجاد وسيلة لشراء بقرة، فتم ذبحها وقدم لحمها للقنصل. لكن بعد هذه الحادثة وكتذكار للمصير المأساوي للبقرة، شيدوا مشهد يخلّد ذكرى البقرة! بالإضافة إلى أنهم أضافوا اسمها بين أسماء شهداء الوطن.

ربما يظن البعض بأنه تم المبالغة في رواية هذه القصة عن حالة المنع التي فرضها امبراطور اليابان، لكن المؤكد هو أن صيد الحيوانات بقصد الرياضة كان ممنوعاً تماماً في الجزيرة، وكذلك تعذيبها أو سوء معاملتها. وما هو صحيح أيضاً هو أن المزارع الياباني كان يعتبر الثور أخوه، كانا يعملان في حقول الرز سوياً كزملاء. وعندما كان الثور يموت نتيجة التقدم في العمر يُشيّد مشهد صغير في زاوية الحقل تخليداً لذكراه. وكانوا بين الحين والآخر يقدمون لضريحه العطايا من زهور وإشعال بخور وغيرها. هذه العلاقة القائمة بين الإنسان والحيوان لم نسمع عنها أبداً في بلادنا. صحيح أن لدينا أشخاص مستعدون لفعل ما يمكن فعله لرعاية الحيوانات بشكل جيد، لكن تبقى هذه مبادرات فردية ولا يوجد قوانين أو تشريعات صارمة تضبط هذه المعاملة. حتى ثقافتنا الشعبية لم ترتقي إلى هذا المستوى من الإنسانية.

اليوم نجد هذا الوضع المأساوي قائماً في الحضارة الغربية، خصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر أكثر البلاد استهلاكاً للحوم في العالم. هذا يعني أن الشعب الأمريكي يستهلك أكبر كمية من اللحم بالمقارنة مع أي شعب آخر. وكنتيجة لذلك فإن الثمن الصحي والمعنوي الذي يدفعه الشعب الأمريكي يتصاعد بسرعة. كانت في البداية مجرّد فرضية منتشرة بين الناس تقول بأن هذا الاستهلاك غير العقلاني للحوم ليس فكرة جيدة. هذا إذا تجاهلنا التأثير السلبي على حياة الحيوانات. لكن مع الوقت أصبحت حقيقة علمية أنه ليس من الصائب تناول كميات كبيرة من اللحوم حيث هذا الأمر يؤدي بشكل مباشر للإصابة بأمراض جسدية عديدة، كما أنها تساهم بشكل كبير في تقليص العمر، وأنه خطأ الافتراض بأن اللحم يمثل مصدر الطاقة. قد يمنح بعض التحفيز للنشاط الجسدي خصوصاً لأولئك الذين يجهدون أجسادهم في أعمال يدوية شاقة، لكن بالنسبة لباقي الناس فإن الإفراط في أكل اللحوم يؤدي إلى خلل في الصحة الإنسانية كما أن له تأثير عميق على الحالة النفسية أيضاً.

الفرد الذي يأكل اللحوم بكثرة يكون أقل إحساساً وأقل تعاطفاً وأقل تكاملاً كإنسان، بالإضافة إلى أنه يصبح أقل لطفاً وتسامحاً وإحساناً. لذلك هذا أمر وجب علينا جميعاً تذكره، إذ لا يجب على الكائن البشري الذي هو مفترس بطبيعته، لكنه ليس كائن لاحم، أن ينغمس في أكل اللحوم بالكميات التي يتناولها في الحالة العادية. لكن في النهاية، وخلف كل هذه الأمور، لا بد من وجود فلسفة ما، لأن هذه المسألة أثارت اهتمام الكثيرين. ربما أشهر الشخصيات التاريخية النباتية في العالم الغربي كان الفيلسوف فيثاغورث، ومن مدرسته تفرعت مجموعات عدة امتنعت عن أكل اللحوم. الفلاسفة المنتمين للمدرسة الأفلاطونية المستحدثة في الاسكندرية كتبوا بإسهاب عن الامتناع عن أكل اللحوم، لأن هذا الامتناع يمثل عامل جوهري وأساسي في تكشف الجانب الباطني السامي للوعي البشري بكل ما يشمله من قدرات عقلية وروحية كامنة.

أما في الشرق الأقصى، فقد تم الافتراض (وهذا ربما مثل أساس الكثير من التوجهات الفكرية لاحقاً) بأن كافة الكائنات الحية تمثل في النهاية عائلة واحدة. الإنسان الشرقي دائماً يشير إلى الحيوان بصفته أخوه الأصغر، بحيث يفترض بأن قوة غامضة معينة

(إله ما) تقبع في الفضاء تحمي البشر وبالتالي فإن الإنسان يمثل إله بالنسبة لممالك الكائنات التي تدنوه المرتبة.

بالتالي فإن الإنسان يعتبر إله مملكة الحيوانات والنباتات وكذلك مملكة المعادن. الإنسان الشرقي يولي اعتبار لحقيقة أن كافة هذه الممالك هي حيّة. فكرة أن بعضها قد يبدو حياً ليس لها أي اعتبار بالنسبة لمعظم الشعوب الشرقية. هذه الفكرة مناقضة أيضاً للقناعة التي توصل إليها أبرز علماء النبات الغربيين وهو "لوثر بوربانك" الذي كان مدركاً بشكل جيد بحقيقة أنه في الوقت الذي يحوز فيه الإنسان على خمسة حواس، فإن للنباتات عشرين حاسة مختلفة! لكن هذه الحواس التي للنباتات تختلف عن حواسنا. لأن النباتات تعيش في عالم مختلف عن عالمنا، وبالتالي بالنسبة لها فإن عالمنا يبدو مكاناً لئيماً وشريراً حيث الأشباح والشياطين (أي نحن) تهدد حياتها دائماً، أي كما كنا نؤمن في العصور الوسطى حيث نتصور الأشباح والشياطين تهدد حياتنا. في معظم الأحيان، نحن لازلنا نُعتبر أشباح وشياطين بالنسبة لمعظم أعضاء الممالك المختلفة الأقل مرتبة منا.

لكن هناك ظاهرة عجيبة بخصوص وجود علاقة غريبة بيننا وبين الحيوانات لا يفطن لها أحد سوى الذين اختبروها بأنفسهم. وتشير بوضوح إلى حقيقة أن تأثير الإنسان على حياة الحيوان هو أعظم بكثير مما نظنه. الحيوانات إذا تعرضت لأي هجوم أو اعتداء سوف تركض باتجاه الإنسان طلباً للحماية! هذه ظاهرة غريبة لكنها حقيقية ولا يمكن التحقق منها سوى بعد اختبارها شخصياً. فمثلاً، أحد صيادي الغزلان كان يصطاد في إحدى الغابات الكندية، وبعد عناء طويل وجد أخيراً أحد الغزلان فصوب البندقية باتجاهه وكان على وشك إطلاق النار عليه. لكن فجأة، ركض الغزال باتجاه صياد آخر واحتمى به (أي وقف بجانبه)! صحيح أن الصياد الآخر كان مسلحاً لكن الحيوان آمن بطريقة غامضة بأن هذا الصياد الآخر لن يؤذيه. وبالفعل، هذا الصياد الآخر كان متأثراً بهذه المبادرة من الحيوان لدرجة أنه أقنع الصياد الأول بأن لا يقتل الغزال، وبعدها سار معه الغزال لمسافة طويلة قبل أن يفترق عنه ويدخل إلى أعماق الغابة.

يبدو واضحاً من خلال العديد من التجارب أن للحيوان احترام غريب للإنسان. وفي البوذية يوجد العديد من الأمور المؤكدة لهذه الحقيقة. تقول الفلسفة البوذية بأن بوذا لم يتقمص فقط بهيئة بشرية، بل تقمص في كل دورة حياة بهيئة مختلفة تنتمي لأحد ممالك الطبيعة (حيوان، نبات،.. إلى آخره)، وقد أصبح حامي وحارس تلك المملكة تحديداً، وأن كل مملكة لديها معلمها الروحي الموكل لها، وذلك المعلم يتخذ هيئة الحيوان أو النبتة التي تنتمي للمملكة التي وكل بها. بهذه الطريقة المعلم يتجلى في ممالك الكائنات الأخرى بحيث يكون لديه طريقته الخاصة للتواصل مع أعضاء تلك المملكة من أجل إرشادها نحو تكشّف طبيعتها الأصيلة.

ملاحظة: بعد أن علمنا حقيقة أن بوذا يمثل النفحة الشمسية (رسول الله) فأصبح واضحاً ما تقوله الفلسفة البوذية. أي أن كل كائن في الوجود هو عبارة عن تجلّي ظاهري لنواة شمسية باطنية، وأن النفحة الشمسية النابضة تمثل المعلم الروحي بداخله.

لهذا السبب نرى أن معظم الشعوب الآسيوية متشددون من هذه الناحية المتعلقة بالكائنات الأخرى. حتى الآن في المعابد والمقامات المنتشرة في الشرق الأقصى نجد أن الحيوانات والطيور تكون حاضرة دائماً. وحتى أن بعض المعابد تقدم لها الطعام وتقيم لها الاحتفالات في مناسبات معينة. يعاملون تلك الحيوانات هناك كأفراد عائلة واحدة وليس ككائن شرير يسبب الخراب في المعبد، لذلك فإنها تلقى التأهيل والترحيب من قبل كهنة المعبد. وفي المعابد البوذية، عندما تموت حيوانات المعبد كانت تّدفن وفق مراسم التشييع البوذية كما لو أنها كائنات بشرية. قد يبدو هذا كله أمر مستغرب بالنسبة لنا، لأننا لا نفكر حتى بهذه المواضيع أصلاً، لكن ما هو تفسير هذا الترفع من قبلنا على عالم الحيوان؟

الأفلام الوثائقية التي نشاهدها دائماً هذه الأيام عن عالم الطبيعة تكشف عن التعقيد الهائل الموجود في كافة ممالك الطبيعة. إنه غير قابل للاستيعاب ما أظهرته الطبيعة من حكمة وحرفة وقوة حيوية غامضة بحيث يمكنها مثلاً خلق العدسات المتعددة لعين الذبابة. كل شيء حيّ يمثل تحفة فنية ميكانيكية تم إحياءها بمبدأ حيوي. حتى الأشياء

الأكثر بساطة في الوجود هي مفعمة بالحياة. والحياة التي تجلّت في هذه الأشياء البسيطة جسّدت كافة أنواع الأشكال والظروف التي يمكن تصورها. يوجد الآلاف من أشكال النباتات، بعضها جميلاً ورائعاً لدرجة أنه يخطف الأنفاس.

يوجد الآلاف من أنواع المعادن والبلورات المخفية في باطن الأرض. وكل من هذه المعادن والبلورات المختلفة تمثل تحفة فنية كيماوية. لها ألوانها الخاصة وذبذبتها الخاصة ووجودها الخاص.. إنها حيّة بكل تأكيد. ليس هناك شيء ميت في هذا العالم.. ما عدا الإنسان الأحمق والمغفل والجاهل! كافة الأشياء الأخرى هي مفعمة بالحياة. ولأنها حيّة فلديها مسؤوليات وكذلك امتيازات. والبحث عن امتيازات تلك الكائنات الحية هو الذي يجعل الإنسان العصري أكثر طمعاً وتدميراً.

بدأنا ندرك أيضاً أن التدمير التدريجي للبيئة الطبيعية أو تشويهها وتلويثها بأنواع مختلفة من الملوثات والتي تجري يومياً وفي كل ساعة، كل هذه الأمور لا تمثل خطراً على الحياة البشرية فحسب بل أيضاً على الحياة التي يمكن اعتبارها عاجزة عن الدفاع عن نفسها بحيث هي مجرّدة من أي وسيلة لحماية نفسها ضد اعتداءات الإنسان المستمرة. وسط كل هذه المشاكل نحن لازلنا نبحث عن حلّ جذري أو إجابة شافية على تساؤلاتنا المتعددة. ماذا يستطيع العلم شرحه لنا بخصوص كيفية خلق الحياة للتركيبة الريشية لجناح الطير؟.. أو كيف يمكن للعلم أن يوصلنا إلى فهم كامل للتركيبة المعقدة والحياة المثيرة للدودة الصغيرة في أرض الحديقة؟.. هذه الأمور، وغيرها الكثير، يعجز العلم عن تفسيرها وشرحها. علماءنا يجهلون كيف ولماذا توجد الكائنات أصلاً. الشيء الوحيد الذي استطعنا فعله هو تصنيف الكائنات ضمن مجموعات وفصائل.. تحليلها وتصنيفها وفقاً لوظائفها وتكوينها ومحاولة تسجيل مميزاتها وخصائصها ونولي الاهتمام الأكبر بما يمكن استخلاصه من هذه الكائنات من مواد لها جدوى مالية مربحة. نحن لا نعلم شيئاً عن الحياة العاقلة الكامنة داخلها. بنفس الطريقة التي نجهل فيها عن الحياة العاقلة الكامنة بداخلنا. المنهج العلماني المادي المسيطر على مدارسنا وأكاديمياتنا لا ينفعنا أبداً في هذا المضمار.

الفيلسوف الشرقي (الآسيوي) يعيد الأمر ببساطة إلى فرضية مشابهة تماماً لفرضية فيثاغورث، وهي أنه: ".. يوجد فقط حياة واحدة شاملة وكاملة في الوجود..". كليّة الوجود هذه والتي نسميها حياة، لا تشمل فقط ممالك الطبيعة التي نراها ونقدرها بل أشكال حياة أخرى عديدة غير مرئية. هذه الحياة الكلية الواحدة تشمل الكواكب والنجوم وكل شيء موجود في الكون. **يوجد هناك حياة في كل مكان في الكون!!** ولو أنها لا توجد هذه الحياة المنتشرة في كل مكان في الكون لما رأيناها متجلية في كافة المخلوقات وأشكال الحياة المختلفة في الطبيعة. أما من أين تأتي هذه الحياة الشمولية فنحن لسنا متأكدين بعد. البعض يفترض بأنها تصدر من الشمس. البعض الآخر يفترض بأنها نتيجة الأغذية التي نتناولها. وبعضهم يفترض بأنها تأتي من أعماق الفضاء ووفق آلية لا نستطيع استيعابها. لكن المهم أن هذه الحياة الشمولية موجودة، وهذا أمر لا يمكن إنكاره.

بالإضافة إلى ذلك، هذه الحياة الشمولية تمثل قوة تحفيز غريبة. هذه الحياة الشمولية تحيِي الأشكال والهيئات المختلفة في الطبيعة. أو حتى أنها تخلق تلك الأشكال أصلاً.. وكذلك تدفعها إلى التكاثر والتعدد.. وهذه الحياة ذاتها تدمّر تلك الأشكال مع مرور الزمن.. أو تحولها إلى أشكال حياة أخرى مختلفة.. لكنها تبقى في النهاية طاقة حيوية واحدة هائلة تسهم في إحياء الكون بكامله.

المفكر الشرقي وخلال معالجة هذه المسألة لا يستطيع سوى التوصل إلى استنتاج واحد وهو أن هذه الحياة الأبدية المتجلية في كل مكان.. هذه الحياة المتجلية والنشطة في كل مكان وكل زمان وفي كافة المستويات الوجودية.. هي بكل تأكيد إحدى خصائص الإله الأعلى. لهذا السبب، يمكن اعتبار الحياة المتجلية في أي شيء بأنها تمثل الإله الكامن في ذلك الشيء. وأن الإله الكامن في ذلك الشيء يمثل الكمون الغامض الأكثر قوة على الإطلاق. لأنه يكشف عن القوة الإلهية خلال مجريات الخلق الأبدي.. والإصلاح الأبدي.. أو الصيانة المستمرة لهذه الأنواع المختلفة من أشكال الحياة الموجودة على كافة مستويات المنظومة الكونية. كل هذا يؤدي بنا إلى فكرة راسخة تقول بأنه هناك حياة شمولية في كل مكان وزمان. وهذه الحياة يمكن اعتبارها الخالق [عزّ وجلّ]، وإذا لم تكن الخالق [جلّ وعلا] فلا بد من أن تمثل أحد تجسيداته الرئيسية.

DOSENG.ORG
© Photoshot

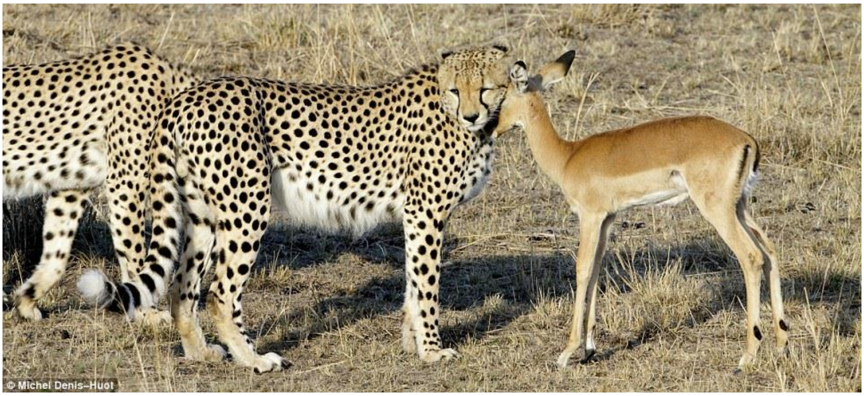

خلال دراستنا لهذه الحياة أكثر وأكثر، ندرك بأنها تحتوي ضمن نفسها تنوع واسع من الطاقات والقوى والاختصاصات. وعلينا أن نوافق الفلاسفة القدماء الذين أكدوا منذ ذلك الزمن القديم بأن هذه الطاقة الحيوية هي عاقلة وذكية. وأن هذه القوة ليست عمياء. هي ليست شيئاً يعمل على تنشيط الأشياء كما يفعل وقود السيارة مثلاً. هذه الحياة تمثل الوقود الوحيد في الكون والذي يصلح ويحي آلياته اللامحدودة. وليس هذا فحسب بل

يعمل على تعقيدها وتفريعها ويحافظ على استمراريتها. الأمر ليس مجرّد وقود وإحياء بل حالة بقاء والمحافظة على هذا البقاء بوسائل ذكية ومبدعة. بداخل هذه القوة الحياتية يكمن تجلي لذكاء وتخصص فائق الإبداع. كل شكل من أشكال الحياة في الطبيعة هو مصمم بطريقة هندسية مبدعة.. يتألف من أجزاء لامحدودة أقل مستوى، خلايا وذرات وغيرها، وهذه الأخيرة متنوعة جداً بحيث تجلى من تركيباتها المختلفة أعضاء متنوعة جُمعت معاً في تركيبة مذهلة وفائقة الروعة.. والقوة التي تحيي هذه التركيبات المختلفة، وتخلقها أصلاً، لا بد من أن تمثل الشيء الوحيد الراسخ في الوجود.. وهو الحياة الكونية.

يبدو أن أحد تجليات هذه الحياة الكونية مبطنة في أشعة الشمس. وعندما تضربنا أشعة الشمس فهذه ليست مجرد أشعة ضوئية كما نضنها، بل هي إجراء إحيائي بحيث التركيبة المعقدة لجسمنا يتم إنعاشها ومنحها الحيوية. هذا الضوء القادم من الشمس يتوزع على تفرعات هائلة من التجسيدات المتنوعة في الطبيعة. يمكننا رؤيتها في أحد المروج حيث أشعة شمسية واحدة تنعش مئات الأشكال من الزهور والأعشاب والأشجار. كل من هذه النباتات تتلقى الكمية الكافية بالنسبة لتكوينها الخاص. كل منها تأخذ هذا النور ثم تحوله وتصيغه بحيث يتوافق مع حاجات وجودها الخاص.

هذه الظاهرة هي مذهلة جداً بحيث يمكنها تحويل العالِم الأكاديمي إلى رجل دين. لأنه ما من طريقة لتفسير هذه الظاهرة دون افتراض وجود عقل كوني بقبع عند مصدر الحياة. وهذا العقل الكوني كليّ المعرفة بحيث يمكنه التمدد والتغلغل في أدق التخصص الحيوي في الوجود. الفيلسوف الشرقي الذي يعمل وفق هذه الطريقة في التفكير توصل إلى استنتاج بسيط يقول بأنه يوجد مسؤولية مباشرة بين أشكال الحياة المختلفة، بحيث أنه كل شكل حياة أعلى مسؤول عن الأشكال الأدنى منه في مستوى التطور. كل شيء أعلى منزلة يكون على علاقة مع الأدنى منزلة كما علاقة الوالد بالابن. لذلك، وفقاً للفلسفة الشرقية، كل شكل من أشكال الحياة مسؤول بطريقة معينة أو بدرجة معينة عن حماية أشكال الحياة الأخرى الأقل تقدماً أو الأقل تخصصاً. هذا الفيلسوف الشرقي يشير طبعاً إلى موضوع العقل. العقل البشري هو مجرّد تخصص فرعي، أي يمكنه الوجود

فقط لأنه يمثل أحد مظاهر العقل الكلّي، أو العقل الإلهي الشمولي. الذي لا يكون عقل لا يمكنه أن ينتج عقل. لا بد من وجود بذرة لهذا العقل في المحتوى الكوني المطلق لكي يتجلى في الإنسان. لكن هذا العقل يمنح الإنسان فطرة سلوكية محددة، يمنحه فهم سليم للحياة، يمنحه طريقة لقياس وتقدير طبائع الكائنات الأقل شأناً، يكشف له شيئاً من جلالة الكون، كما يوفر له فهم معيّن لملايين الكائنات المجهرية التي تحويها قطرة ماء.

هذا العقل بصفته متفكّر ومقدّر لكل الأشياء، يحوز بداخله على القوة القادرة على خدمة وحماية أشكال الحياة التي تعجز عن حماية نفسها. لذلك على الكائن البشري، مع عدم ضرورة لأن يكون متشدداً في الموضوع، أن يتذكر كونه خادماً في حديقة الرب، هو وُضع في الحديقة أصلاً لكي يعتني بها. وبالتالي فهو مسؤول عن كافة أشكال الحياة الموجودة في تلك الحديقة. عليه أن يكون الصديق الوفي.. الطبيب الشافي.. هو الذي عليه حماية الحديقة من الأعشاب الضارة.. وبطريقة أو بأخرى، حماية الأعشاب الضارة من بعضها البعض. في هذا الغموض العظيم المتعلق بالحياة، لدينا هذه الحيوية الهائلة. وعندما نُدمر كائن حيّ نكون قد جرّدناه من الجسم والحيوية، حيث نترك الحيوية مجرّدة من منزل أو مركبة تحويها، أو نكون بذلك قد دمرنا الهيكل أو الشكل الذي من المفروض أن تعيش فيه تلك الحيوية طبيعياً.

لكن لأن حياة الأشياء هي لانهائية، ليس هناك أي إمكانية لتدمير الإنسان للحياة بشموليتها. ما نسميه تدمير الكائن يعني نزعه من حالة التجسيد بهيئة أو شكل مادي معيّن. ما نسميه موت هو عبارة عن انتقال الحياة وليس إلغائها. في هذه الحالة تنتقل الحياة من وجود مادي إلى وجود غير مادي، أو من وجود متجلي إلى وجود غير متجلي. الأمر لا يتعلق أبداً باستمرارية الحياة ذاتها. هذا أمر منحه الشرقيون الكثير من الاهتمام والتفكّر، وحاولوا استخدام هذا الموضوع كوسيلة لفهم أسرار مملكة الحيوان.

عبر الأفلام ووسائل الإعلام المختلفة التي يتم إنتاجها مؤخراً، لقد طورنا مفهوم، أو أصبحنا مدركين بمفهوم سلسلة الغذاء، حيث يبدو أن كل شيء يبدو أنه يعيش على حساب كل شيء آخر. أي كل شكل حياة يعيش على حساب أشكال حياة أخرى. ومن الظروف الأدنى إلى الأعلى منزلة نرى أن أشكال الحياة تمثل أغذية أو أطعمة بالنسبة لأشكال حياة أخرى. هذه الحالة أدت إلى حالة أسى وقلق لأولئك الذين يحبون الحيوانات. لأنه يبدو أنه ما من طريقة لمنع الحياة من الاعتماد على الحياة من أجل البقاء. قد لا يكون الأمر مأساوياً كما نظن، لسبب بسيط وهو أننا نتعامل الآن، ليس مع حياة مؤقتة تنتقل من شيء إلى آخر أو من حالة إلى أخرى، بل نتعامل مع حياة متجلية في كل مكان وفي كل زمان.. دائماً وأبداً. وبالتالي ففي حالة الموت، الشيء الوحيد

الذي يندثر أو يزول هو مركبة تلك الحياة، وبما أن المركبة الجسدية بذاتها لا تمثل الحياة فهذا يعني أن الحياة لم تُدمر مع دمار المركبة بل تخرج منها فقط. لكن السؤال هو: **أين تذهب الحياة بعد خروجها من مركبة الجسد؟** هنا يأتي دور مفهوم **التقمص** لملئ الفراغ. الحياة التي تتجرّد من مركبة الجسد تنتقل إلى مركبة أخرى وتستمر في البقاء.

لطالما افترض الفلاسفة الهنود الشرقيين بأن الكائنات الحيوانية لها حياة خالدة كما البشر تماماً، أو أي كائن آخر في الوجود. حتى النباتات والمعادن تتمتع بنفس الحياة الخالدة أيضاً. هذا الموضوع بختلف كلياً عن ما نؤمن به ونعتقده في ثقافتنا لكنه موجود على أي حال. ما أحاول قوله هو أن حياتنا لا تنتهي عند زوال الجسد حيث يمكن لهذا الأخير أن يموت ويندثر لكن الحياة التي تقبع فيه لا يمكن تدميرها بأي حال من الأحوال. حتى حياة الكائنات الأخرى تتمتع بنفس الميزة والخاصية. تذكر أن الحياة واحدة في كل مكان في الكون. والكائنات المختلفة هي عبارة عن تجليات متباينة لحياة واحدة موحّدة.

نحن وكافة أنواع الكائنات (حيوانات، نباتات، وحتى معادن وبلورات...) نتقاسم الحياة ذاتها بكافة خصائصها وميزاتها. هذه الحالة هي أقرب إلى الحقيقة مما نظنه. أي بمعنى آخر، النفحة الإلهية تجري في كافة أنواع التجليات في الوجود. وبالتالي فإن أي فعل ضد الحياة أو يؤذي أي كائن مفعم بالحياة يكون هذا الفعل موجهاً ضد الله [تعالى]. أي سوء استخدام للحياة أو أي كائن مفعم بالحياة هو نوع من التجديف أو الكفر. كل كائن حيّ هو معزّز ومدعوم من قبل حياة القوة الإلهية. الممالك الدنيا في الطبيعة مدعومة أيضاً بهذه القوة، لكنها تجهل لماذا. لهذا السبب فهي، كما تقول الأديان، مجرّدة من الخطيئة. لا يمكن أن يكون هناك خطيئة حيث لاوجود للتمييز بين الخير والشر. الحيوانات غير محكومة بالشرور والفضائل (كما الإنسان) بل محكومة من قبل قوانين خاصة بنوعها، لذلك فهي لا تستطيع اقتراف الخطيئة. أما الإنسان، الذي يملك حق الاختيار وحق التمييز وحق المفاضلة، هو مسؤول عن تصرفاته وأفعاله.

وإذا نظرنا إلى الموضوع من زاوية مختلفة، علينا إدراك حقيقة أن أفعالنا تعتمد على الحياة التي تنعش وتنشّط تلك الأفعال. إن فعل شيء يعني القيام بنشاط معيّن، لا يمكن أن يوجد أي نشاط دون حضور حياة. والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي نعرفه، في هذا الكوكب على الأقل، والذي يدرك مصدر حياته كما يدرك كيفية استخدام وسوء استخدام تلك الحياة. كل أنواع التدمير والتخريب هو سوء استخدام لحياة واحدة. ليس هناك عدة أنواع من الحيوات التي يمكننا الاختيار فيما بينها، لا يوجد سوى حياة واحدة.. لا يوجد سوى قوة إلهية واحدة غير منقطعة تنبع من الكائن الأعلى [جلّ جلاله]. هذه القوة الواحدة غير المنقطعة تمنح الحياة والحيوية والطاقة وكذلك الفرصة لكافة الكائنات الحية، ابتداء من أدنى الكائنات (الذرّة والخلية..) إلى أعلى الكائنات التي تمثل بنى كونية معقّدة.

بالتالي فهذه الحياة الواحدة هي التي نعيش منها وعبرها ومعها. هذه الحياة الواحدة تمثل سبب وجودنا أصلاً. من دونها لا نستطيع حتى البقاء. كل كلمة نقولها هي ممكنة بفضل تلك الحياة الواحدة، بالتالي إذا تكلمنا كلاماً غير صحيحاً فنحن بذلك نسيء استخدام هذه الحياة الواحدة. كل مزاج ينتابنا يمثل تلك الحياة الواحدة، وبالتالي إذا كان ذلك المزاج غير لطيف أو غير محبب فنحن بذلك نسيء استخدام الطاقة الكونية.. الحياة الواحدة. هذه الحياة الواحدة هي التي جعلت كل شيء من حولنا حياً ومفعماً بالحياة، بالتالي فإن التدمير المقصود، أو الكره أو اللعن أو غيرها..، جميع هذه العواطف السلبية هي خطايا وكفر ضد الحياة الواحدة. هذه الحياة التي تنشّط الجميع وتحيي الجميع.. هي نور العالم.

بالتالي، في جميع ممالك الطبيعة، في مملكة المعادن والنباتات والحيوانات والإنسان.. توجد تلك القوى والطاقات التي تمثل تباينات مختلفة للحياة الواحدة للقوة الإلهية. في الله نعيش ونتحرّك ونكون. في مجالات الطاقة الإلهية في الوجود يقبع مصدر الوجود هنا والآن. لو لم يكن لذلك مصدر الحياة لما كان هناك أصلاً متشككين بوجود خالق [جلّ وعلا]. لولا وجود تلك الحياة الواحدة لما استطاع الملحد أن يعبر عن عدم إيمانه. كل شيء نفعله، إن كان خير أو شر أو عدم مبالاة، هو نتيجة لاستخدام وسوء استخدام

وعدم استخدام هذه القوة الحيوية الواحدة العظيمة. نحن نتلقى الطاقة من كل مكان وأكثر من مصدر. بعضها يأتينا من الشمس، وبعضها من النجوم، وبعضها من الكواكب، وبعضها يأتينا من الأرض تحت أقدامنا، والبعض الآخر يأتينا من النباتات التي تنمو من الأرض. لكن كل هذه المصادر هي مجرّد تجسيدات متنوعة للحياة الواحدة التي مُنحت لكل الكائنات الحية لتحقيق كمالها النهائي والكمال النهائي لبعضها البعض تحقيقاً لغاية المخطط اللانهائي للأشياء.

بالتالي أصبح لدينا، وبدرجة معيّنة، مشاركة مستمرة فيما بين المجتمع الإلهي الذي يشمل كامل الكون، ولدينا دور دائم في التجلّي المتحوّل للخالق [جل جلاله]، وهذا يجعل لدينا دور أكيد في غموض الحصاد النهائي. نحن أمام غموض كبير متعلق بهذه الحياة الواحدة والذي يتجاوز التعريف أو حتى الاستيعاب. ربما لا نكوّن أي معرفة كاملة بخصوص هذه الحياة الواحدة، وبكل تأكيد ليس في مستوى تطورنا الذي هو بعيد جداً عن هذه الغاية. لكننا على الأقل نستطيع تمييز ذلك الذي لا نستطيع فهمه. مجرّد أن فكرنا لدقيقة واحدة سوف ندرك مباشرة بأن هذه الحياة الواحدة هي التي تمثل الوقود الوحيد الذي يحرّك الكون.

مثلاً إذا أسرفنا وقود السيارة فسوف ينقص مخزوننا من الوقود. لكن إذا استنزفنا هذه القوة الحيوية المتجلية فينا عن طريق القيام بأفعال ونشاطات غير سليمة وغير مجدية، فنكون بذلك قد عطلنا تلك المسارات في طبيعتنا بحيث تجري عبرها تلك الطاقة الحيوية للوصول إلينا. هذا العطل سوف يتجسّد بكل تأكيد عند انحراف نشاطاتنا، مثل شرب الكحول وتناول المخدرات والتدخين والإفراط في الممارسة الجنسية وتناول الأطعمة بكميات كبيرة.. وأنواع كثيرة أخرى من سوء استخدام الجسم. نكون بكل تأكيد قد قطعنا مصدر إحياء الجسم وفق طريقة سليمة. طبعاً لن ينقطع هذا المصدر كلياً لأنه يجري وفق مسارات عديدة في كياننا بحيث يصل إلى أدق الكائنات المنتمية لكياننا والتي تعد بالمليارات. الطاقة الحيوية هي طاقة مركّبة أي هي متفرعة بحيث تستطيع المحافظة على كل خلية وكل ذرة في كياننا المركّب بطريقة معقدة جداً.

بالتالي إذا دمرنا، وكذلك غدرنا، وبترنا، الدورة المتكاملة لجريان الطاقات الحيوية المتنوعة، نكون بذلك قد سببنا في كياننا ما يمكن تشبيهه على مستوى الكوكب بالهزة الأرضية أو طوفان عظيم أو غيرها من كوارث كبرى، ومع انحراف استخدامنا العقلاني للطاقة الحيوية لا بد من أن الكائنات الحية الدقيقة التي يشمله كياننا الكلي سوف تعاني وتتعذب وقد تموت. بالتالي فنحن نمثل بطريقة غريبة إله أعلى بالنسبة للكائنات المجهرية التابعة لتكويننا الجسدي. كما أننا نمثل معلمون وأهل، ليس فقط لأولادنا البشر، بل أيضاً لمملكة الحيوان وكذلك مملكة النبات. ففي اليابان مثلاً، المناسبة السنوية التي يكرمون فيها النباتات (مناسبة تفتح الزهور) تهدف إلى تمجيد هذا المفهوم. استخدموا تفتح الزهرة لتعليم هذا الجزء من سر الحياة.

أعتقد بأنه علينا أن نصبح أكثر وعي وتفكّر. أعتقد بأنه قد آن الأوان لأن ننظر إلى رياضة الصيد على أنها تمثل نشاط إجرامي وليس له أي علاقة بالطبيعة الحقيقية للإنسان. هذا النشاط ليس ضروري لبقاء الإنسان. علينا ألا ندمّر الحياة أبداً إلا بشرط واحد وهو أن ذلك التدمير يكون ضرورياً. الطبيعة لا تقتل أبداً بهدف المتعة والتسلية. كما أنها لا تقتل بهدف إقامة التجارب العلمية أو ما شابهها من أعمال وحشية. هذه الأعمال المنحرفة لا تؤدي فقط إلى تعطيل العلاقة بين الإنسان والحيوانات بل تساهم أيضاً في تشويه الطبيعة الإنسانية. سوف يفقد الفرد شيئاً من ذاته الجميلة والطيبة.. شيئاً من نبل عواطفه.. عندما يساهم في عملية تدمير الحياة بأي شكل من الأشكال.

إذا كان هذا الأمر صحيح بالنسبة لمملكة الحيوان فما بالك عالم الإنسان؟!! ها نحن نعيش في عالم واسع وكبير بحيث أصبح يشمل ستة أو سبعة مليارات من البشر. منذ الزمن الأوّل ساهمت الحروب في تشويه وتخريب وإتلاف أمم الأرض. الحروب هي أعلى درجة من سوء استخدام الطاقة الحياتية. وإذا أسئنا استخدام الطاقة الحياتية لفترة طويلة من الزمن، بحيث وجهنا مصادرنا الداخلية وسخرنا الطاقة الحياتية الكونية لهدف التدمير ونشر المعاناة والبؤس.. وغيرها، لا بد من أن نجلب إلى أنفسنا في النهاية انتقام السماء.

© Getty Images

كما يقول الفيلسوف الشرقي، الكارما السيئة هي ليست سوى نتيجة سوء استخدام كوامننا الإلهية. الكارما الجيّدة تمثل نتيجة لحسن الاستخدام. والأولى هي حقيقية كما الثانية. لكن خلال استخدامنا للطاقة في داخلنا أو باتجاه الآخرين أو باتجاه الكائنات الأخرى، علينا أن ندرك ما قاله بوذا: ".. أنه في كل مجال من مجالات الحياة، النتيجة تتبع السبب، كما عجلة العربة تلحق الثور الذي يجرها..".

بالتالي فإن الشخص السعيد هو من يستخدم الطاقة وكذلك يستخدم مصادره الحيوية المختلفة ليس فقط بطريقة بناءة بل أيضاً مع إدراك شعائري لقدسية الحياة التي يحافظ عليها. علينا أن نحاول بكل طريقة ممكنة أن نقلّص المعاناة والمحافظة على الحياة بكل تجلياتها واستخدام مصادرنا الإلهية بطريقة سليمة. إذا فعلنا ذلك فسوف تكون مدة زيارتنا ممتعة وسعيدة في الأرض التي منحنا اياها الرب. أما إذا لم نلتزم بهذه القوانين فسوف تكون زيارتنا زاخرة بالمصاعب والمشاكل على أنواعها.

مجرّد إلقاء نظرة على مجموعة مواضيع مختلفة كالمثالين المذكورين في الصفحات السابقة لا بد أن يجعلنا هذا نتوصل في النهاية إلى استنتاج يفرض علينا ضرورة تغيير طريقة تفكيرنا. لا بد من وجود نوع آخر من المعرفة.. معرفة شمولية بكافة مجريات الكون وكافة مستويات الوجود. معرفة أوسع وأشمل من المعرفة الحالية التي نألفها والتي هي محدودة وموجهة بأغلبها. لقد توصل الحكماء إلى هذا النوع من المعرفة، لكنهم أشاروا إليها بـ"الحكمة"، وهي ذاتها التي تسمى في المحافل الروحية المختلفة حول العالم بـ"حكمة العصور" (سأتناولها لاحقاً في الكتاب). مهمتنا إذاً هي الانتقال من المعرفة إلى الحكمة. الموضوع التالي يوضح المسألة بشكل جيّد.

من المعرفة إلى الحكمة

سوف نجري الآن دراسة مختصرة عن المعاني والمصطلحات والمفاهيم التي نربطها بموضوع المعرفة. لذلك اخترت مصطلحين ربما يمثلان قطبين متعاكسين لموضوع التعليم، وهما المعرفة والحكمة.

لنتحدث عن المعرفة أولاً: فهي تمثل شيئاً نألفه جميعاً، إنها ما تلقنه لنا المدارس الرسمية التي نألف وجودها في كل مكان، صحيح أنه ليس جميع سكان العالم دخلوا المدرسة لكن بشكل عام، كل من يولد في هذا العالم لا بد من أن يُلقن بجانب من جوانب هذه المعرفة المدرسية على الأقل.

لكن المعرفة قد لا تكون تلك التي تُعلم في المدرسة حيث يوجد أنواع مختلفة للمعرفة. حتى القبائل التي تقطن الأماكن النائية، مثل سكان أستراليا الأصليين وقبائل الغابات في كل من آسيا وأمريكا الجنوبية وأفريقيا، وقبائل الصحارى وسكان الأقطاب المتجمدة وسكان الجزر... وغيرها، جميعهم لديهم منهجهم المحلّي الخاص للمعرفة.

المعرفة إذاً تتعلق بمسألة التعرّف على كيفية مجاراة الحياة اليومية في هذا العالم، التعرف على التأقلم مع بيئة لا يمكن العيش فيها دون التعرف على الخبرات المتراكمة للأجيال السابقة.

تمثل المعرفة إذاً الثقافة التقليدية للمجتمع البشري، هي الشيء الذي نعتمد عليه جميعاً لنجتمع حول اتفاق جماعي بخصوص المسائل العادية للحياة اليومية. هذه الفكرة بخصوص المعرفة تجعلها سطحية بدرجة كبيرة لأنها لا تتمتع بالعمق ولا بالبصيرة ولا بالحكمة. هي عبارة عن اتفاق حول الآراء والقرارات الجماعية للناس، وهي الطريقة التي قررنا وفقها تعليم أولادنا، وما سوف نعلمهم هي المعرفة التي نألفها، والحقيقة أنّ المعرفة التي نألفها نحن ليست جيّدة.

لدينا اليوم منهج تعليمي متنوع وواسع ومتفرّع، لكن رغم ذلك يبقى السؤال يفرض نفسه: ما الذي تتعلمه الأجيال الصاعدة اليوم؟

هل نعلّم الفرد كيف ينمو روحياً وعقلياً؟ أم أننا ندرّبه ليصبح مؤهلاً لوظيفة معينة في الحياة؟

في الحقيقة، في معظم الأحيان فإن الفرد يتدرّب ليصبح مؤهلاً لوظيفة فحسب ولا يتعلق الأمر أبداً بنموه الروحي أو العقلي أو أي نوع من النمو الداخلي. المشكلة هي أن الأمر لا يتوقف عند التدريب على وظيفة بل التدريب على وظيفة غير دائمة.

في بعض الحالات نجد أن الطالب لم يلبث أن ينتهي من تدريبه على مهنة معينة ما تلبث المهنة أن تختفي من الساحة العامة وتندثر إلى الأبد، وهذا أمر مؤسف فعلاً. لاحظنا هذا الأمر بوضوح في بدايات ظهور أجهزة الكمبيوترات على الساحة، حيث الكثير من الطلاب اليافعين الذين انخرطوا في مدارس التدريب على الآلة الطابعة اكتشفوا بأنهم لن يستفيدوا أبداً مما تعلموه لأن الآلات التي تدرّبوا على استخدامها أصبحت غير مجدية في سوق العمل.

هذه المسألة تطال مجالات كثيرة في عالم المعرفة أيضاً، فالكثير من الحرف والاختصاصات قد اندثرت بهذه الطريقة في العصر الحالي، والكثير من الاختصاصات اليوم سوف تصبح غير مجدية في المستقبل القريب، فإنّ بقائها مرتبط بمبرر وجودها، وإذا ذهب مبرر وجودها فسوف تذهب دون رجعة.

تمثل المعرفة إذاً أمراً غير مستقرّ بل متقلب على الدوام وفقاً لتحولات طريقة الحياة اليومية للإنسان، وهي مجرّدة من أي أساسات صلبة في الحياة الأبدية للإنسان، لأنها تمثل طريقة معيّنة للنظر إلى الأمور، لكن هذه الطريقة المعينة للنظر قد تتغيّر في أي وقت.

تعتبر المعرفة طريقة مجدية لضبط مفهومنا بخصوص ما هو عقلاني وغير عقلاني، كما أنها تصف لنا تاريخ نشاطات مجتمعنا، وتاريخ أمتنا، وتاريخ عالمنا، لكن هذا

التاريخ يتعامل مع حالات ومواقف لم تعد موجودة، وحتى لو كانت موجودة فإنها تمثل حالات ثانوية بحيث لا جدوى من الاستمرار في المحافظة عليها.

هذا كله يجعلنا نستنتج بأن المعرفة تمثل شيء سطحي، وجهة نظر متصلة بالحالة المعيشية الراهنة فحسب، هي مضبوطة لكي تتوافق مع الحاجات الراهنة فقط، وهذا بالضبط ما نحصل عليه في المدارس الرسمية حيث أننا لا نحصل على فهم عميق وواسع بخصوص الطبيعة البشرية مثلاً، ولا نتعلم عن المثل العليا المتعلقة بمصير الإنسان، ولا يُسمح لنا أصلاً إدخال عوامل دينية أصيلة إلى المنهج التعليمي لأنها ستعكّر الصفاء السطحي للمنهج التعليمي ذو الطبيعة العشوائية.

هذه الحالة تعني أن لدينا معرفة لا تتناسب سوى مع حالات معيشية محددة، نحن نرسل الطفل إلى المدرسة فيعود إلينا بورقة تشرح لنا ماذا يتعلم هناك، التعليم الذي يتلقاه الآن لا يشبه أبداً التعليم الذي كنا نحن نتلقاه قبل ذلك بعقود، أي عندما كنا نحن أطفالاً، لقد حصلت تغييرات جذرية، كل شيء مختلف، الطرق القديمة في الشرح أصبحت غير مجدية الآن، أو الوسائل التقنية التي كانت تتمحور حولها المعرفة سابقاً لم تعد موجودة اليوم.

خلال عيشنا اليوم وسط البيئة الحالية، نكتشف بأننا نقوم تدريجياً بتغيير العالم الذي نعيش فيه، نحن نغيّر سطح الكرة الأرضية، والمجتمعات البشرية تتراكم فوق بعضها في مساحات صغيرة نسميها مدن، مما يهدد المقومات الأساسية للحياة، فنحن نسير قدماً بدعم سياسة تسعى تدريجياً إلى قطع أساسيات الحياة من حياتنا، هذا الأمر بالغ الأهمية ويستحق التفكير فعلاً.

لهذا فإن ما نسميه عموماً بالمعرفة هو بكل بساطة عبارة عن قصة تروي استمراريتنا في فعل ما كنا نفعله سابقاً ونحاول الاستمرار في فعله دائماً وأبداً، لكن بعد أن ننظر إلى ما تفعله المعرفة العصرية في الدمار البيئي مثلاً أعتقد بأن هذه القصة لن تدوم طويلاً.

في اللحظة التي يتخرّج فيها الطالب من الثانوية العامة، يكون قد تشكل لديه صورة محددة عن وضعنا الحالي، لكن كافة النواحي السلبية في هذه الصورة قد تم تجاهلها بينما النواحي الإيجابية مبالغ بها، وبهذا نكون قد خرجنا بمعرفة سطحية، أو نوع من المجهود المزيّف نحو تقييم مسؤوليتنا وسط عالم لا يتحمل أي مسؤولية تجاه أي شيء.

المعرفة أيضاً قابلة للتغيير والتحوّل حسب الحاجة والظروف، يمكن أن نرى هذا التغيير المستمر في كافة المجالات والمهن والفنون، حتى العلوم التطبيقية غير محصنة من التغيير، و حتى النظريات الدينية تتغير، والهندسة تتغيّر، وإذا دققنا النظر في الأمور من حولنا نكتشف أن معظم التغييرات هي للأسوأ ، فنحن اليوم لا نعمل بنفس مستوى الأجيال السابقة ، بل إنّ الأبنية على سبيل المثال التي بُنيت في عصرنا الحالي لا تظهر أي فخامة أو جمال أو إبداع مذهل كما كان سائداً في عصر النهضة قبل قرون. والموسيقى لم يعد لها أثر جمالي على أرواحنا كما فعلت موسيقى القرن الثامن والتاسع عشر، صار كل شيء يبدو هشّاً وسطحياً ومخيّب للأمل.

فإنّ ما فعلناه هو غرس هذه الهشاشة والسطحية المخيبة للأمل في نظامنا التعليمي الحالي، وهذا ما نسميه اليوم المعرفة.

فصار هذا المصطلح يدل على عملية دراسة وفهم الأشياء كما هي قائمة الآن. كما أنه يمثل عملية استدامة أكاذيب وأوهام عبر النظام التعليمي والتي هي أصلاً واهية ومجرّدة من الأساس المنطقي السليم.

ما سبق هو مجرّد إحدى وجهات النظر المتعلقة بهذه المسألة، بالإضافة إلى ذلك، فإن المعرفة التي نألفها هي ما يتعلق بالعالم الخارجي وليس ما يكمن في داخل أنفسنا، فنحن ننهل هذه المعرفة من الكتب، أو من الشرح المرئي والمسموع، لكن كل ما نتعلمه يتعلق بالوقت الآني، أي أنّ الفرد يواجه المستقبل بالاستناد على تقييم الظروف القائمة في الوقت الراهن وما يصحبه من حالات ومواقف آنية، وعندما يدخل الفرد المستقبل تكون الأمور قد اختلفت تماماً فيصاب بالإرباك.

أصبح لدينا الآن مشكلة تتعلق بالتعليم، كيف يمكننا تعليم الناس حول ما يتعلق بعالم قد لا يكون موجوداً بوضعه الحالي عندما يتخرج الطلاب من المدارس؟

أنا لا أقصد أن العالم سوف ينهار ويزول، بل أقصد أن سياسات عالم المستقبل قد تتغيّر تماماً وفي كافة المجالات، السياسية والاقتصادية والطبية.. إلى آخره. حتى القيم والمعايير الأخلاقية قد تتغيّر، ويبدو أنه تدريجياً وحتمياً سوف تندثر العلمانية المادية من الساحة كلياً، فنحن نعلم اليوم طبعاً بأن المعرفة راسخة على أساس علماني مادي حسب العلم المنهجي المادي، وهذه الطريقة في التفكير هي نظرية محددة لفهم العالم وفق الطريقة التي خلقناها بأنفسنا، وهذا طبعاً ليس له علاقة أبداً بالعالم على حقيقته، فنحن لا نستطيع الاستمرار في اعتبار الكون المحيط بنا أنه كون ميّت.

فالحقيقة أنّ العلمانية المادية قد خلقت عالماً مجرّداً تماماً من جمالياته وقيمه وصداقاته وعواطفه واجتماعيته. إنه عالم الفردانية الخشنة ويتمحور بشكل كبير حول موضوع الربح، حتى صار هذا العالم مصراً بشكل حتمي وعنيد على استمرار الظروف بالطريقة ذاتها السائدة الآن، وهذا طبعاً لا يمكن أن يكون مجدياً في المستقبل، فما على الأجيال الحالية سوى الدراسة والتعلّم والانخراط في دورات تدريبية وحتى دورات تعليم لغات أخرى لأنه يمكن أن يحتاجها الفرد في يوم من الأيام، تعتبر اللغة الأخرى اليوم من الممتلكات النافعة والثمينة، لكن من ناحية أخرى، بغض النظر عن طريقة عيشنا وتوجهنا الفكري، فإن تعدد اللغات التي نصبو إلى اتقانها تمثل دليل على أننا نتوجه نحو وحدة عالمية كبرى بحيث لغة واحدة لم تعد تكفي لمجاراة الحياة.

لدينا أيضاً فنون مختلفة تصارع للبقاء، لدينا من جهة أخرى تلك الظاهرة السخيفة والتافهة التي تجعل أحدهم يشتري لوحة فنية بمبلغ مليون دولار أو حتى عشرة ملايين دولار، هذه الحالات الشاذة هي حالات غير مسؤولة بكل تأكيد، لقد أصبحت القيمة الفنية تقاس بالقيمة المالية وهنا تكمن المشكلة الكبرى، فقد أصبح سوق الفن تحت سيطرة صالات المزايدات المملوءة بأشخاص لا يفقهون شيئاً عن الفن لكنهم يجيدون المضاربة بهدف شراء القطع الفنية، لكن لماذا لا يفهمون الفن أو لا يستطيعون تذوقه؟ لماذا لم نعد نفهم الفن بمعناه الراقي؟ لماذا لم نعد نفهم الموسيقى بمعناها الحسّي الرقيق؟

السبب بسيط جداً: نحن لم نتعلم كيف نتذوّق الفن بكافة أفرعه. إذا رغبت في تذوّق أحد فروع الفن بشكله الصحيح فالمدرسة الرسمية لن تنفع، عليك الانضمام إلى إحدى المؤسسات المتخصصة، وإذا كنت محظوظاً يمكن أن تجد إحدى المؤسسات الصادقة والمثالية بما يكفي لتجعل الطالب يمضي فترة دراسية مجدية فيها، وهكذا مؤسسات أصبحت نادرة اليوم.

إذاً، لدينا الآن ما نعتبره معرفة وعلم، لكن المشكلة مع السلطات العلمية والمعرفية القائمة اليوم هي أنهم يزعمون بأن المعرفة الموجودة تعتبر الحالة القصوى في الوجود، هذه المعرفة تمثل التحقيق النهائي لكافة أحلامنا، وأنها تمتلك القوة التي ستغيّر مسار التاريخ.

لكن الحقيقة أنّ ما سوف تفعله هذه القوة هو المساهمة بشكل كبير في استنزاف المصادر والثروات الطبيعية التي نستمد منها أساسيات حياتنا اليومية لأن توجهنا المعرفي مهتم أكثر بكماليات الحياة وليس أساسياتها. ومن أغرب الخدع التي يسوقونها اليوم أن رحلات الفضاء التي سيقوم بها الإنسان قريباً – بفضل تطوّر هذه المعرفة – سوف تغير مسار حياتنا بشكل جذري، لكن في الحقيقة، لن تحل هذه الرحلات الفضائية أي من مشاكلنا الأساسية ككائنات بشرية، لأننا لا ننتمي إلى الفضاء بل نعيش هنا على كوكب الأرض، لا يمكننا الاستمرار في استنزاف كميات هائلة من ثروات كوكبنا الثمينة من أجل قضاء مجموعة صغيرة من الناس بضعة أسابيع في الفضاء الخارجي. هذا العمل غير مجدي وليس له أي قيمة مهمة.

والورطة التي أوقعوا الناس فيها هي تلك المشاريع العملاقة التي بُنيت بسبب تلك الفكرة التي تحكمنا الآن وهي إمكانية استعمار بعض الكواكب هناك في الفضاء، حيث لازلنا نؤمن بأن الفضاء هو عالم يمكننا استنزاف ثرواته واستعماره، كما فعلنا هنا على كوكب الأرض.

لكننا طوال ذلك الزمن ومنذ الأزل لم ننجح – بواسطة معرفتنا الحالية – في حلّ أي مشكلة أساسية في حياتنا، حتى أننا لم نفهم أي شيء بعمق.

نولد في هذا العالم جاهلين ونموت جاهلين، الشيء الوحيد الذي نتعلمه هو كيف نعيش حياتنا اليومية الاستهلاكية والبائسة أصلاً، والبعض منا يتعلم كيف يصنع ثروة كبيرة بأساليب ملتوية. لكن بعد التدقيق في حالتنا اليوم يطرأ السؤال الكبير: أين نحن؟ القيم الكبرى في حياتنا لا تنمو وتزدهر لأننا لا نسمح لها بفعل ذلك. فنحن لا نملك أي سبب وجيه يقنعنا بأنه علينا النمو والتحسّن. كل ما نفكر به هو المحافظة على حالتنا الراهنة وكسب المزيد وامتلاك أكثر وأكثر. نرغب في أن نكون أكثر ثراء وأكثر شهرة ونتوق إلى أن نصبح نجوم سينمائيين تقدسنا الجماهير ونتعاقد مع شركات السينما بعدة ملايين من الدولارات سنوياً.. أما فكرة تحسين أنفسنا وتنمية مصادرنا الداخلية فليس لها أي مكان في خاطرنا، نحن كائنات سطحية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى!

إذا سألت أحدهم **لماذا لا تحاول تحسين نفسك (تطوير وعيك)**؟، فسوف يكون جوابه (إذا فهم السؤال أصلاً): هل تعرف أحداً أفضل مني في هذا المجال؟ لماذا علي تحسين نفسي في الوقت الذي لا أحد يفعل ذلك؟. هذا بالضبط ما يحصل مع عالم تملأه المدارس الرسمية التي تعلّم مجالات واسعة تهدف للمتعة والاستنفاع الدنيوي، ويعمل ضمن صفوف موظفيها معلمين مجرّدين من أي فهم حقيقي للقيم اللاإنسانية الكونية ومعانيها. أين أصبحت أعمال فلاسفة القرن التاسع عشر؟ كيف ستكون أعمال فلاسفة القرن الواحد والعشرين؟ هل سيتصرفون كما تصرفوا دائماً وهو تجاهل كل مشاكل الحياة الأساسية التي ساهموا هم في خلقها أصلاً؟

كل ما سبق يؤدي إلى استنتاج مهم يقول بأن المعرفة الحالية لا تمثل معرفة نهائية ومطلقة، بل إنها عبارة عن إلمام بمجريات الأمور في الوقت الحالي، وهذه المجريات هي منحرفة بكل تأكيد وفقاً لمنطق الكون الحقيقي المختلف تماماً عن ذلك الذي تستند عليه المعرفة الحالية.

إحدى المبادئ الراسخة للمعرفة الحالية تقول بأنه إذا استمرينا في ارتكاب نفس الأخطاء الفادحة فسوف نصبح أغنياء ومشاهير ونتمتع بالحياة كما يفعل أسياد المجتمعات اليوم. رغم أن معظم هؤلاء هم مخادعين ومجرمين وفقاً للمنطق الحقيقي، إلا أنهم يشكلون

المثل الأعلى لنا وفقاً لمنطق معرفتنا الحالية. تذكر أن معرفتنا الحالية محكومة بالمنطق الدارويني الذي يتمحور حول فكرة صراع البقاء والبقاء هو للأنسب (للأقوى). هذا المنطق أدى بنا إلى تقديس المجرمين ونبذ النزيهين الذين نعتبرهم ساذجين بسطاء يستحقون السحق والاندثار. حتى أنّ النظام القضائي يعمل وفق مبدأ يوضح هذه المسألة ويدعمها من خلال مقولته الشهيرة: (القانون لا يحمي المغفلين!)، ومن برأيكم هو المغفل وفق هذا المفهوم؟ هو الإنسان الطيب والكريم وأخلاقه العالية تجعله يخجل من الاعتماد على الاتفاقيات المكتوبة والمصادق عليها قانونياً، هو يؤمن بأن الإنسان مربوط بلسانه وبأفعاله، ومن يزرع الخير يحصد خيراً، فماذا تكون نهاية هكذا أشخاص وسط مجتمع تعلم كيف يحترف الخديعة والغدر! هذا القانون الذي لا يحمي المغفلين أدى بنا إلى ما نحن عليه اليوم: مجتمع يحكمه أسياد منافقين وحتى مجرمين!

بالإضافة إلى ذلك لقد ازدادت نسبة الأطباء بشكل هائل في العقود القليلة الأخيرة، لكن السؤال هو: **لماذا تتزايد الأمراض باطراد نسبي يتوافق مع تزايد عدد الأطباء؟!** هل تساءل أحدكم حول هذه المسألة المريبة؟

وأيضاً عبر قرن من الزمن، وبعد تشكل حكومات وطنية في بلادنا أصبح من شروط تسلم أحد المسؤوليات كالوزارات وغيرها من المناصب الحكومية أن يحمل المسؤول شهادات أكاديمية عليا، لكن السؤال هو: لماذا استشرى الفساد والخداع والتضليل طوال هذه الفترة بالذات؟ **لماذا ارتبط الفساد بفترة ظهور أكاديميين في الوزارات والمناصب الحكومية؟!** هذه مجرّد عينات من النتائج المدمرة لسيطرة المعرفة العصرية المادية على العالم، هل لا زلت سعيداً بالمعرفة التي نهلتها من المدرسة؟ عيش وتهنى يا مسكين.

إذاً لدينا الآن هذا العالم بكافة دوله وأممه ومؤسساته وأكاديمياته الفنية والعلمية والسياسية والاقتصادية وغيرها من مجالات يمكن أن تخطر في بالك.. وجميعها مكرّسة لتحقيق برنامج واحد كبير لكن ليس هناك أي تقدم فعلي من أي نوع يمكنه أن يفيد الإنسان.

كل ما نراه هو تحرّك فكري كبير وشمولي وسط غابة الأسواق الاستهلاكية العالمية بقيادة الرأسمالية المتوحشة، وحياتنا أصبحت تشبه إلى حد كبير العبودية القديمة لكنها

الآن أكثر قساوة وغدراً. لكن مع ذلك يبقى هناك مجموعة قليلة جداً من الناس التي هي واعية لما يجري لكنها لا تستطيع فعل شيء سوى بذل مجهود كبير في التأقلم مع هذا النظام المعيشي المرهق ومجاراة الوضع الراهن لتحافظ على بقائها.

علينا أن نتذكر بأنه عندما يصرّح العلم توصله إلى اكتشاف علاج لمرض ما فهذا التصريح يكون مؤقتاً لأن هذا العلم ذاته سوف يصرح في السنة القادمة بأنه اكتشف علاج مختلف تماماً عن السابق.

وعندما نشتري شيئاً يمثل ابتكاراً جديداً لا مثيل له فسوف نجد بعد سنة أو سنتين ظهور شيء آخر جديد يفوق السابق بالجودة والخدمة. هذه هي ميزة السوق الاستهلاكية المدعومة من قبل العلم المنهجي، وسوف تستمر هذه الحالة غير المستقرة إلى لانهاية.

لكن عندما يتعلق الأمر بالقيم الأساسية للحياة نكتشف حينها الكارثة التي أصابت حياتنا المعاصرة، حتى أنّ العلاقة الإجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة قد تفككت وانحلّت أخلاقياً وحتى تربوياً، لأنّ أبناء هذا الزمن لم يعودوا يتلقون تربية نزيهة ومستقيمة وفق قيم أخلاقية وأدبية أصيلة وهذا يؤدي بهم إلى طرق بعيدة جداً عن الحقيقة دون أي ذنب منهم ولكنهم قد لا يستطيعون تغيير ذلك إلا إذا استيقظوا وطوروا وعيهم الحقيقي لينقذوا أنفسهم وينقذوا مستقبلهم. فحتى المهن المختلفة لم تعد مهن شريفة ومستقيمة، والشخص العادي لم يعد مهتماً ببناء شخصية محترمة خاصة به اجتماعياً بحيث يعيش معها لباقي حياته. ما من معاملة عادلة للأطفال ولا لكبار السن.. ولا للمرضى أو حتى السليمين.. أو حتى للأغنياء والفقراء. كل شيء يسير في حياتنا برتابة وكأنه ما من مشكلة أبداً، ونسعى بحذر إلى إخفاء عيوب كافة وجوه نظامنا المعيشي المنحرف. وتحت العنوان الكبير: "المعرفة"، نضع حدوداً لما يمكننا التفكير به وما يمكننا الإيمان به وكيف يمكننا ترجمة أسرار وحقائق الحياة بطريقة علمية منهجية. كلما خرجنا من تلك الحدود المرسومة بعناية نكون قد أصبحنا غير منطقيين وغير عقلانيين ومهوسين بنظرية المؤامرة!

نحن لا ندرك بأنه من خلال العيش على التفكير السطحي نكون بذلك مساهمين في خلق حياة سطحية، أي بمعنى آخر، بسبب طريقة العيش التي صنعناها بأنفسنا فقد تحولنا إلى كسالى متخاذلين بدلاً من بشر حقيقيين، علينا إدراك حقيقة مهمة وهي أننا لم نخلق من أجل العيش وفق الهوامش السطحية للعقل، ولا بهدف العيش من أجل متعة العقل أو متعة الجسد أو متعة العاطفة أو متعة الرخاء الدنيوي. بل إننا جئنا إلى هنا كأفراد لكي نتحسّن، لننمو، لنفكّر، ولكي نفهم الحياة ونطوّر وعينا الحقيقي. نحن هنا أيضاً لكي نجتهد في سبيل ترك هذا العالم للأجيال القادمة في حالة أفضل، بدلاً من عالم مشوّه ومنحرف نتيجة طريقة تفكيرنا المشوّهة والمنحرفة.

على الطرف الآخر من هذا الموضوع نجد موضوع الحكمة. **كيف يمكننا تعريف الحكمة؟**

إنّ الحكمة لا تتعلق بالتفكير السطحي أو أي فعل أو رد فعل أو أي شيء آخر يتعلق بالجانب السطحي لكينونتنا، بل إنّ الحكمة تمثل ترجمة للقيمة الحقيقية لكل شيء، وهذا يعني أنه يمكن فحص كل جزئية من المعرفة بواسطة الحكمة.

تلعب الحكمة إذاً دور المقياس، فما من شيء نفعله أو نملكه أو نأمله لا يتعلق بطريقة أو بأخرى بمفهوم الحكمة. يمكن أن تمثّل الحكمة ما يمكننا تسميته المعنى، أي هي التي تقيّم خبرة الانسان في مضمار معيّن، وبنفس الوقت هي التي يمكن استخلاصها من اختبار الانسان في مضمار معيّن. **دور الحكمة هو منح الروح للأفكار والمعلومات التي تقدمها المعرفة**، وكذلك تمنحها ميزة وشخصية مناسبة.. وكذلك تمنحها معنى.. وتمنح كل مجال من مجالات المعرفة بعداً خاصاً للنمو.

إن للنمو أنواع، وجميع هذه الأنواع من النمو مشمولة في الحكمة، على المعرفة أن تنمو وتتحسن وترتقي، فالمعرفة تأتينا من الخارج بينما ترجمتها تأتي من داخلنا. فقد بدأنا للتو نتعلم تدريجياً بأنه علينا تفسير الأمور الحاصلة في العالم الخارجي المحيط بنا انطلاقاً من داخل أنفسنا. لكن هذه العملية ليست سهلة، لأن الأمور الحاصلة في الخارج هي غير متوافقة مع معظم القيم التي تصدر من الحياة الداخلية للفرد، الأمر الذي جعل هذه

المسألة معقدة اليوم هو أنّ الحكمة الكامنة داخل الفرد لم يتم تطويرها أبداً في حياتنا، لهذا السبب نجد أنه رغم الأوهام والمغالطات السائدة في العالم الخارجي إلا أن الفرد لا يبدي أي علامات تمرّد أو ثورة من داخله. التمرّد هو أمر فردي. الفرد الذي نال ما يكفي من العذاب والبؤس لا بد من أن يقرر عمل شيء حيال حالته السيئة، بينما على الجانب الآخر نجد الكثير من الذين يعانون أسوأ الحالات لكنهم لا يفعلون شيئاً حيالها ولا يتمردون.

المعرفة تكون ثمينة وذات قيمة فقط وفقاً للدرجة التي يكون فيها روح، حينها تكون معزّزة بحيث صار لها معنى، فتمثل شيئاً يساعد على تحسين مرتبة أو حالة الإنسان، فننظر حولنا لنرى ما يمكننا فعله لزيادة تطوّر الحكمة لدينا.

أين هو المكان الأفضل للبحث عن الحكمة؟ الحكمة تنتمي بقسمها الأكبر لما نسميها المثالية، ومعنى المثالية هنا هو نوع من الدافع أو المحفّز. عندما يتم إنجاز أمر مثالي فهذا يعني أن الدافع بناء، وهذا يعني أن هدفه هو تحقيق الخير العام وأنه مكرّس لتحقيق حالة جيّدة وأنه لن يساوم على السماح بإفساد القيم.

لذلك عندما نبدأ التفكير وفقاً لمنهجية الحكمة، نأخذ العائلة التي تشتت أفرادها وانهارت تماماً بفعل المعرفة ونعيد تجميعها وموائمتها عن طريق الحكمة، أي نحاول تحقيق إنجاز معيّن بواسطة الإصلاح عبر القلب (قوة العاطفة وقوة الروح والوعي الداخلي) ما تم تخريبه بواسطة الفكر، أي أننا نفعل كل ما بوسعنا لكي ننفخ الروح في المعرفة التي دمرتنا، وبفعل ذلك نكتشف بأن هذه المعرفة يمكنها أن تكون مصدراً هائلاً للخير.

المعرفة لا يمكنها أن تكون خيّرة إلا إذا كانت مفعمة بالروح، ليس هناك خير في مقولة "**.. الصدق هو أفضل سياسة..**" إلا إذا تم تطبيق هذه المقولة بشكل عملي لإثبات صحتها عملياً. **المقولة لوحدها تمثل معرفة بينما تطبيق هذه المقولة عملياً يتطلب حكمة.** ويتم إثبات صحة هذه المقولة فقط عبر تغيير نمط حياة الفرد، فالحياة تسير قدماً عبر المعرفة، لكنها لا تتغيّر سوى عبر الحكمة، فالحياة تكبر وتتعاظم لأنها منحت

معاني أكثر عمقاً وتكاملاً بواسطة الحكمة. هذه المعاني تدفع الإنسان إلى التطوّر والنمو، ولا تتركه يولد ويعيش ومن ثم يموت وهو في نفس الحالة البائسة.

لا يمكن للحكمة أن تتركه يعيش في منزل مكسور وأسرة مفككة أو مع أولاد متمردين، ولا يمكنها أن تتركه مصاباً بمرض غير قابل للعلاج والناتج من طيشه وحماقته.

عبر العصور المختلفة والأزمنة المتقلبة كانت الحكمة تعالج وتشفي الروح والجسد وتحوّل الحياة إلى الأفضل وتساهم في التطوّر الذاتي والإنساني العام، لكن رغم ذلك عليها العمل مع نفس ظروف الحياة الخاصة بالفرد.

فعلى الإنسان مثلاً، والذي يشهد تحولاً في حياته بفعل الحكمة، أن يتابع عمله في وظيفته كما المعتاد، ومع استمراره في وظيفته تدخل الحكمة محاولة فعل شيء جديد لهذه الوظيفة، أي بمعنى أن الفرد الذي في الوظيفة لم يعد يعتاش من هذه الوظيفة فحسب بل بدأ يعيش طريقة حياة مختلفة، أصبح لها أهمية وقيمة. مثلاً إذا كان الفرد في الحالة العادية يلتحق بالدوام صباح كل يوم الساعة التاسعة على مدى أربعين سنة ثم يتقاعد من هذا الروتين الطويل فسوف يخرج كهلاً عجوزاً متعباً من أرق السنين الطويلة. بينما في حالة الفرد الذي أيقظ بداخله، بفضل الحكمة، تلك القوة المحفّزة على النمو يستطيع تغيير الروتين المملّ للوظيفة من خلال السيطرة على وظيفته كلياً، وذلك من خلال صنع شيئاً منها يسعى إلى الإنجاز وبالتالي يتجنب رتابة الروتين المملّ.

والرتابة تمثل إحدى المشاكل التي تعاني منها المعرفة، فقد تكون المعرفة غير مجدية بفعل الرتابة والملل والإرهاق، لقد تعبنا من الوقوع بنفس الهفوات، تعبنا من الجلوس وراء نفس المكتب على مدى العمر، تعبنا من معالجة نفس الظروف والمواقف التي تطرأ بشكل متكرر، تعبنا من الحروب التي تنشب بين الحين والآخر، كما تعبنا أيضاً من السلام الزائف الذي يأتي بعدها ، تعبنا من رؤية كل شيء ينهار ويفشل في النمو.

لدينا الآن خيارات محدودة لتصحيح المشكلة لكن يوجد دائماً حلول مناسبة إذا غيرنا طريقة تفكيرنا. يوجد الكثير من المصابين باليأس والكآبة نتيجة الأحوال الراهنة وظروف

حياتهم الشخصية، لكن في الحقيقة إن سبب كآبتهم وقنوطهم يعود إلى عجزهم عن خوض عملية تحوّل في تفكيرهم للتخلص من الرتابة أو الإكراه أو الإنهاك، هنا يدخل دور الحكمة مرة أخرى.

يوجد نوع من التحوّل الخيميائي الذي يترافق مع الحكمة، جميعنا نعلم أنّ **الخيمياء هو علم تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب. لكن وفقاً للحكمة فإن الخيمياء يمثل شيء مختلف تماماً. إنه القوة التي تحول التجارب اليومية للحياة إلى طريقة نمو وتطوّر ذو معنى.** حينها يستطيع الفرد ترك هذا العالم بحالة أفضل من تلك التي جاء بها إلى الحياة.

وفقاً لما يسود العالم اليوم من معرفة منحرفة تعتمد على منطق علماني مادي فلا بدّ أن الإنسان قد أصبح أسوأ بكثير مما كان عليه عندما جاء إلى هذه الحياة. والسؤال هو كيف يمكننا تغيير الأمور للأفضل؟ **كيف نستطيع تحويل رتابة المعرفة إلى ديناميكيات الحكمة؟** رتابة المعرفة اليوم لا تتمتع بالإثارة ولا الإنجاز ولا متعة من أي نوع، لا يوجد سوى روتين مستمر، يهدف إلى أن تستمرّ الوظيفة أو المهنة أكثر من الإنسان، وهذا ليس أمر مجدي، لذلك علينا اكتشاف كيف يمكننا الخروج من هذه الحالة البائسة.

أحد الأمور التي وجب معرفتها هو أنه علينا الاعتماد على أنفسنا في هذا المسعى. علينا إدراك الحاجة إلى الانخراط في المجريات المؤدية نحو التقدم الذي نأمل في إحرازه. العائلة الفتية المؤلفة من الأبوين وثلاثة أولاد صغار لا يمكنها الاعتماد كلياً على المدرسة الرسمية لتحرير الأولاد من الرتابة والقنوط عديم المعنى اللذان يرافقان دائماً المعرفة عديمة الجدوى. لذلك وجب على الإصلاحات أن تبدأ من الفرد، هنا يدخل دور السليقة (الفطرة) في المسألة، **السليقة تعني الإدراك السليم أو الفطرة السليمة أو حسن التمييز**.. إلى آخره، لكن للأسف الشديد فإن السليقة أصبحت شبه منقرضة في عالمنا المعاصر، والسبب هو انتشار المعرفة المدرسية بشكل شبه كامل حول العالم وأصبحت تمثل القوة الرئيسية التي تتحكم بحياتنا، بينما السليقة، والتي هي معرفة غير مدرسية، تقلصت بشكل كبير وراحت تنقرض من حياتنا اليومية.

السليقة تقول لنا ما يجب علينا فعله عندما نسأم من الفشل المتكرر داخل أنفسنا، نذهب للدراسة في جامعة السوربون، وهي من أفضل جامعات العالم، ونقوم بكل ما يمكنه تحسين معرفتنا لكن في النهاية نحن نبقى عالقين في نفس المستوى المعرفي، أي مثلنا مثل أي خريج من جامعة في سيريلانكا مثلاً. نحن نبحث عن اختصاص علمي يساعدنا على التقدم في الحياة لكننا لم نحاول أبداً أن نصبح أشخاص أفضل، نحن لا نحاول النمو بل البحث عن طرق سريعة لنصبح أغنياء دون تعب أو مجهود.

السليقة تدخل في المعادلة عندما تفشل المعرفة في تحقيق آمالنا، فهي ليست سوى صدق طبيعي ، إنّ **السليقة تعني الإدراك الفطري للواقع، وربما تمثل القوة التعليمية الأقوى في الوجود.** لكن رغم ذلك فنحن لا نجرؤ على الوثوق بها، لأن السليقة قد ترشدنا إلى اتخاذ التوجّه المعاكس تماماً لذلك الذي نأمل منه المرابح المادية والشهرة والمجد، وهذا التوجه المنحرف الأخير هو ذاته الذي تكرّسه المعرفة العصرية. لكن في جميع الأحوال، إذا استمرينا في الاعتماد على المعرفة وليس الحكمة فيمكن التنبؤ بالمستقبل البائس الذي ينتظر عالمنا، نحن لم نتعلم حتى الآن كيف نقوم بتغيير أو استبدال ذلك الذي أثبت فشله مراراً وتكراراً. لازلنا مشغولين في محاولة إيجاد طريقة لاستدامة ذلك الشيء الذي لم يكن حقيقي، لذلك **علينا أن نفكر ملياً في المسألة والبحث عن طرق لاكتساب المزيد من الحكمة بدلاً من المعرفة.**

أوّل ما علينا فعله في هذا المضمار هو تحضير أنفسنا للتسليم بحقيقة أن كل شيء في الطبيعة يتألف من جسد وروح، أو بمعنى آخر، **كل شيء يتألف من جانب ظاهري وجانب باطني.** طبعاً نحن لن نعتبر هذا الأمر بأنه منطقياً لأننا لم نعتاد على ذلك. المعرفة المدرسية لم تقرّ بذلك، لكن في الحقيقة، كل شيء من حولنا له روح. ليس فقط الكائنات الحية بل كل شيء! مثلاً، مجال الرياضيات له روح، الموسيقى لها روح، الفن له روح، حتى مهنة حفر الخنادق لها روح. كل مهنة أو مصلحة أو صناعة أو حرفة لها روح! وتمثل روح مجيدة تنشد الكمال! لكن للأسف الشديد، معظم العاملين في هذه المجالات لا يرتقون إلى مستوى كمال أرواحها.

منذ أكثر من ألفي عام ظهر قسم **أبوقراط** الشهير في مجال الطب، لكن طوال القرن الماضي حاولنا جاهدين التخلّص من هذا القسم، لا نرغب بهذا القسم لأنه يتطلب المثالية والنزاهة ويفرض على الطبيب أن يكون خادماً شريفاً للمجتمع.

هكذا تفرض الحكمة شروطها، لكننا نحاول الدنو بمرتبة الطب إلى مستوى المعرفة فقط، نحن نعلم فطرياً كافة الضوابط الأخلاقية لكل مهنة، لكننا لم نفكر يوماً الالتزام بها لأنها تعيق تقدمنا في الحياة، هذا لأننا لم ننمي في داخلنا السليقة أو الفضائل الطبيعية أو النزاهة الفطرية التي منحتنا اياها الطبيعة، كل هذه المقومات الداخلية قد تعرضت للتشويه من قبل البرمجة البشرية الدنيوية.

إذاً، نحن الآن نبحث عن طريقة ما لتحسين حالتنا بحيث نستطيع مواجهة المستقبل. واعتقد بأن أحد الأمور العامة التي يمكننا فعلها هو أن نسلم ببساطة في أن كل ما نفعله له مستويات عدة وجب أخذها في الحسبان. عندما ندخل في مجال العمل فهذ يعتبر قرار أخلاقي أيضاً وليس مجرّد أمراً اقتصادياً يخص الربح وتأمين المصاريف.

علينا ألا نتوقع من الأمور أن تسير بحالة ميسرة وسهلة، بل علينا أن نسلم بحقيقة أنه مهما كانت الظروف والحالات التي مررنا بها فإنها تعلمنا شيئاً ذو قيمة وتكسبنا مزيداً من الخبرات، ووجب عدم اعتبار القيمة شيئاً مرتبطاً حصرياً بالثروة أو الشهرة. **القيمة هي التي تكشّف الإمكانيات الداخلية للجزء المقدس من الإنسان.**

التقدم هو نمو الفرد إلى مستواه الحقيقي، لأنه في داخل كل منا يكمن شيئاً أفضل وأكثر حكمة من جانبنا العادي الذي نألفه في حياتنا اليومية. بالتالي فإنه يستحيل على أي فرد أن يعجز عن التحسّن، القليلون فقط لم يجدوا أي قيمة في تقدمهم وتطورهم ولهذه الحالة الأخيرة أسباب طبعاً وتتعلق بمستوى ارتقائه الروحي المتراكم عبر حيواته السابقة.

إذاً، نبدأ بالتفكير بكافة الطرق التي يمكننا من خلالها استخدام المعرفة ، وذلك بهدف زيادة مستوى الحكمة لدينا، وكذلك من أجل خلق عالم أفضل لنا ومناسباً للعيش بسلام. وكذلك لكي نصبح أشخاصاً أفضل في هذا العالم.

دعونا نرى الآن ماذا يحصل عندما نبدأ العمل بالحكمة، السؤال هو: **من أين أتت الحكمة؟** تم تطوير هذه الحكمة من قبل القدماء لغاية واحدة فقط وهي فهم معنى الوجود.

يوجد طرق مختلفة للتوصل إلى فكرة معينة عن هذا المعنى، يمكن البدء من المعرفة. يمكننا قراءة كتاب عن موضوع الجغرافيا أو علم الآثار أو الفلك أو الهندسة أو عن موضوع آخر، ومن ثم نتعلم كافة الأمور المثيرة والمذهلة التي نراكمها بصيغة معرفة. لكن ما نفعله اليوم في الحقيقة هو تطبيق أو معالجة بعض ما تعلمناه فتصبح أمور فكرية، كما يفعلون في المدرسة حيث يتم اختبار درجة معرفتنا من خلال الفحص النهائي، ولأننا نجحنا في الفحص النهائي نحصل على وظيفة جيدة.

لكن رغم هذا كله نحن لم نشهد أي تحسّن من أي نوع، إذ كل ما نفعله هو المحافظة على استمرارية الدرب الأعمى الذي نسير فيه وسار فيه آبائنا من قبلنا. نحن بذلك نستمر في تمجيد الأمور كما هي على حالها بدلاً من الاجتهاد إلى تغيير الوضع إلى ما وجب أن يكون.

لكن في النهاية، كل مشكلة لها حل، والحل هنا يعني أنه علينا تغيير علاقتنا مع تلك المشكلة المعنية، علينا أن نفعم قوتنا الداخلية بالروح والتي تمنحنا الحق في الحكم على المشكلة بشكل سليم.

إحدى المشاكل التي قد تطرأ عموماً هي مشكلة الدين، فقد قامت شعوب العالم المختلفة منذ وقت مبكر من التاريخ بتطوير تشريعات دينية، وقد زُعم بأن هذه التشريعات مصدرها سماوي، أو من مصدر عميق في داخل بعض الأشخاص، لكن مهما كان الأمر فإن الفكرة الرئيسية هي أن كل شيء موجود يمثل شاهداً على الروح الإلهية، تمثل شاهداً على القيمة القصوى وراء هذه الروح. أي بمعنى آخر، يستطيع الفرد أن يمضي

حياته في دراسة الجزرة أو التفاحة، لكنه لن يستطيع أبداً تعلم كيف يخلق جزرة أو تفاحة.

يستطيع الإنسان استخدام الأشياء وتحويلها والتلاعب بها جينياً أو كيميائياً أو غيرها لكنه لا يفهمها من ناحية الخلق والتكوين. هو مثلاً يستوعب قيمتها المالية في السوق، أو يستوعب لماذا يوصي خبراء التغذية بضرورة تناولها، لكن الغاية من خلق الأشياء أصلاً والتي تتدرج من المستوى الكوني إلى المستوى الذري فهي مجهولة تماماً بالنسبة للإنسان لأنها تفوق مستوى استيعابه. كل هذه الأمور لها معنى لكننا نجهله، وإلى أن نجد مكاننا في هذا التسلسل والتراتب الكوني الهائل لا نستطيع إدراك العلاقة بين العالم الدنيوي والقانون الكوني، لهذا السبب لا يمكننا مجاراة القانون الكوني بحيث يتناسب مع حاجاتنا الدنيوية، وهذه تعتبر من الصعوبات التي تواجهنا. نحن نقوم بشكل مستمر ومتكرر بتغيير القوانين الوضعية التي وضعناها بأنفسنا، لكن هذه القوانين التي نألفها لا تشبه في أي حال من الأحوال تلك القوانين الكونية التي تنتمي إلى مستويات أعظم وأشمل مما يمكننا استيعابه، لهذا السبب نجد أن الإنسان العادي، وحتى الإنسان المتعلّم، لديه فهم بسيط، أو حتى معدوم، حول مسائل مثل: ".. من أين جئنا.. لماذا نحن هنا.. إلى أين نحن ذاهبون؟..". هذه الأمور تمثل وقائع كبرى ومع غيابها من ثقافتنا يستحيل بناء حضارة راسخة وقوية. لكننا للأسف الشديد لا نولي لهذه التساؤلات أي اهتمام أو نحاول البحث عن إجابات شافية لها، نحن فقط مشغولون بالاكتشافات العلمية التي تعتبر سخيفة وتافهة بالمقارنة مع المسألة السابقة، خصوصاً تلك الاكتشافات التي نالت أهميتها ليس لأسباب روحية بل بسبب جدواها المالية والمادية.

لهذا السبب نحن نجهل كلياً بمسألة الروح البشرية ومرتبتها الجليلة على المستوى الكوني العظيم، نحن نجهل بأنه داخل كل فرد منا يوجد حياة إلهية مقدسة، وأنّ موطننا الحقيقي ليس في هذا العالم، حيث أنّ هذا الموطن يمثل منفى مؤقت لنا، ونحن نستمر في المجيء إلى هذا المنفى ومن ثم العودة إلى موطننا السماوي بشكل دائم ومتكرر (حياة، موت، حياة، موت،..) حتى ننال الخلاص النهائي فنعود دون رجعة إلى هنا. هذا الخلاص النهائي يحصل بعد عملية طويلة من التنقية التي يخضع لها المخلوق خلال

تجلياته المتكررة، والتنقية هنا تأتي عبر خوض التجارب والاختبارات المختلفة. المشكلة مع أبناء هذا العصر العلماني المادي هي أنهم يجهلون كلياً هذه العملية الطبيعية والهدف منها أصلاً، وهو النمو والتقدم والارتقاء والتطوّر الروحي.

ما القصد من النمو الروحي؟ هذا النوع من النمو ليس له علاقة بالثروة أو المكانة الاجتماعية أو غيرها من ارتقاء دنيوي. يمكن تعريف النمو الروحي بطريقة سهلة قابلة للاستيعاب، وهو القدرة على التعامل بشكل سليم وبناء مع ظروف دنيوية فشلنا سابقاً في التعامل معها. إذا أصبحنا، عبر مسيرة النمو الروحي، أكثر حكمة من قبل فهذا يعني أننا صرنا أفضل من قبل، فمن دون أن تزيد حكمتنا يستحيل أن نصبح أفضل، وكلما أصبحنا أفضل يكون قد زاد نقائنا وصفائنا.

بالتالي فإن الحكمة لا تمثل أمر فكري، بل **يمكن تعريف الحكمة بكلمة واحدة: السليقة الفطرية**، هذه السليقة الفطرية التي يخطئ البعض في دمجها مع الغريزة هي متناغمة مع السليقة الكونية. لكن بسبب سوء التوجيه وسوء التنشئة وسوء العيش والتفكير، أصبحت السليقة لدينا مشوهة أو ملوثة نتيجة تراكم الكثير من المفاهيم والخبرات الحياتية الزائفة، لذلك فإن تنقيتها تتطلب الكثير من التجارب الحياتية والتي تمثل صعوبات يمر فيها الفرد لكي يتعلم، وهذه هي الطريقة الوحيدة لإعادة تنقية الحكمة المتأصلة بداخلنا. إن أبسط حقائق الوجود تمثل القواعد الأساسية للحكمة التي ليس لها علاقة بالتعلّم الذي نألفه. الحكمة مثلاً لا تعني <u>تعلّم لغة أخرى</u>، بل تعني تعلم لغة أخرى من أجل <u>التواصل مع شخص آخر</u>، الحكمة تعني التعلّم ليس من أجل الربح بل من أجل النمو.

حاول القدماء تطوير طرق معينة للتوصل إلى الحكمة ، لكنهم توصلوا إلى استنتاج نهائي وأكيد يقول بأن الحكمة لا يمكن تدريسها عنوة للإنسان كما في حالة المعرفة ، لا يمكن تشريعها في حياتنا اليومية بحيث تصبح الحكمة فرضاً قسرياً، لا يمكن للحكمة أن تدوم وتستمر في مجتمع لا يرغب بها، لذلك قرر القدماء اصطفاء مجموعة من الناس الذين تمتعوا بدرجة كبيرة من النزاهة والاستقامة وسعوا لنهل العلم بصدق ولهم ميول روحانية ولديهم تكريس موجّه للخير العام والذي كان ضرورياً لاستمرارية التقدم، وتم إنشاء ما يمكن تسميتها "مدارس الحكمة"، مثل المدرسة الأفلاطونية والمدرسة

الفيثاغوررثية، أو المدارس السريّة في كل من مصر واليونان والهند والصين وباقي الحضارات القديمة، وذلك بهدف تدريب الأفراد الذين أرادوا معرفة الواقع الحقيقي الكامن وراء الواقع المألوف والمدرك من قبل الجميع. وفي البداية تم نشر المعرفة التي تم استخلاصها واستنتاجها في تلك المدارس، لكن مع وقوع تلك المعرفة الجليلة في أيدي الدنيويين الجهلاء غير المسؤولين تم تحريفها وتضليلها وتدميرها عبر سوء استخدامها. بالتالي تم إنشاء قانون يحكم طريقة الكشف عن هذه المعرفة الجوهرية إذ وجب أن تكون في حوزة الأشخاص المناسبين لتحمل المسؤولية الأخلاقية. **لا تستطيع نشر هكذا معرفة بشكل عشوائي دون دفع ثمن كبير مقابل ذلك.** العواقب الوخيمة التي تنتج من هذا الانتشار غير المدروس لهذه المعرفة قد تدوم سنوات قبل إعادة السيطرة عليها ومن ثم لملمتها وإخفاءها وقد ينتج من ذلك خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات وفي الطبيعة عموماً. قد يتساءل القارئ الكريم: كيف يمكن أن تكون هذه المعرفة خطيرة بهذه الدرجة في يد الدنيويين؟ يمكن توضيح المسألة من خلال مثال واحد يمثل أحد جوانب هذه المعرفة لكنه يعبر عن باقي جوانبها، المعرفة المتقدمة بعلم الفلك والتي كانت تحوزها تلك المدارس السرية كانت مكرّسة للخير العام، وغالباً ما تتعلق بأمور جوية وبيئية وزراعية وصحية، لكن إذا وقعت هذه المعرفة في حوزة أحد الدنيويين وقرر أن يستخدمها لتحقيق غاياته الدنيوية غير المسؤولة (أي غايات شريرة) فسوف يتمكن من ذلك. يمكنه استخدام الجداول الفلكية المستخلصة من تلك المعرفة المتقدمة لتحديد المواعيد المناسبة لكل نشاط يرغب في إجراءه، مثل الحرب والحصار والتجارة وغيرها من نشاطات دنيوية، وبذلك يستطيع الشخص الحائز على هذه الجداول الفلكية أن يتحوّل من قطاع طرق بسيط ينشط في إحدى المقاطعات النائية إلى امبراطور عظيم يخضع قارات بكاملها لسيطرته، كما الحال مع جنكيز خان وتيمورلانك وغيره من شواذ تاريخية يصعب استيعاب الإنجازات التي حققوها وفق التفكير المنطقي الذي نألفه.

علينا أن نتمكن من تمييز حقيقة أن اكتساب المعرفة يمثل أرقى أعمال الإنسان. وأن اكتساب المعرفة يمثل أساس كافة أنواع الإحسان وعمل الخير، وأساس كل التفاني وكل التعاون وتعزيز كافة العواطف البناءة في تركيبة الإنسان، لذلك من أجل تحقيق هذه النتيجة الخيّرة عبر المعرفة فلا بد من وجود الانضباط، وهذا ما فعله القدماء، حيث

وضعوا منهج انضباطي محدد لأولئك الذين أرادوا معرفة الحقيقة أكثر من أي شيء آخر، وهكذا تشكلت المدارس السرية. هي ذاتها المدارس التي ازدهرت في مصر القديمة وكذلك لدى الفينيقيين والكلدانيين والإغريق وهكذا حتى أيامنا هذه حيث المحافل الماسونية وغيرها من محافل سرية ارتبط اسمها بالمؤامرات السياسية العالمية.

المسألة التي عالجها القدماء كانت ضرورة إيجاد مجموعة من الأشخاص المكرّسين تماماً للمحافظة على إحياء القوى التي حافظت بدورها على حياة البشرية على هذا الكوكب. وكان على هذه المجموعة أن تستعرض عبر تصرفاتها وعواقب أعمالها حقيقة أنها تمثل فعلاً حماة البشرية، وكانت هذه المجموعة تمثل فعلاً أهم شيء في العالم أجمع، لأنهم كانوا الوحيدين الذين سعوا لخدمة الحقيقة فقط.

يمكن ملاحظة آثار هذه المجموعة في الأديان الشمولية حيث في المسيحية مثلاً نجد المفهوم المتعلق بسرّ المسيح وهو المفهوم الأكثر أهمية بين الطقوس والشعائر المختلفة لهذا الدين الجليل. المسيحية هي في الحقيقة مسعى مكرّس لمعالجة مسألة الحكمة. قد يبدو للوهلة الأولى بأن الحكمة وفقاً للمسيحية تعتبر أمر فكري لكنها ليست كذلك. إن أعظم جوانب الحكمة هو حب الحقيقة.. حب الواقع.. وأخوية حياة الإنسان. إذا استثنينا البهرجة المبالغ بها والتي تسود كافة الأديان العظمى اليوم، سوف نكتشف بأن المسيحية، كما باقي الأديان الأخرى، تهدف إلى توضيح فكرة واحدة رئيسية: كل من أراد تحسين حياته لديه الفرصة لفعل ذلك وفقاً لاختياره. رغم الانحراف الذي أصاب الأديان والتشويه الذي أصاب مبادئها الأساسية عبر العصور إلى أن وصلت إلينا اليوم بهذه الهيئة وهذا المظهر، إلا أن التجربة التاريخية أثبتت بأن الأديان تمثل شيء مهم وضروري بحيث يستحيل تنحيته أو إلغائه من حياة الناس. رغم كل ما لوّث به الدين اليوم إلا أنه وفق العارف الحكيم يبقى يمثل شيئاً أكثر دقة وواقعية من العلم! والسبب بسيط جداً: العقوبة الحتمية لسوء استخدام القوة أو السلطة هي عقوبة أخلاقية. بالإضافة إلى أن الدين يستطيع الإثبات بشكل حصري أن الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الإنسان حماية نفسه وعالمه هي عبر تطوير مقوماته الأخلاقية.

إذا كان يسعى إلى صنع عالم أفضل فعليه أن يكون شخص أفضل، والتقدم العلمي لا يلعب أي دور في هذه المعادلة.

لذلك علينا الآن الاهتمام بنوع جديد من العلم، وهو علم تطهير النفس، أو **علم الخلاص**، يجب أن يشهد العالم اليوم ظهور تدريجي لأشخاص يؤمنون بأن المعرفة الأعظم هي معرفة الحياة المتنورة، وأنّ باقي الأمور هي مجرّد موشحات وزينة مؤقتة عديمة القيمة. حتى مجالات العمل المختلفة مهما كان نوعها: تجاري، صناعي أو زراعي.. إلى آخره، هي حالات مؤقتة، وذلك بناء على الحقيقة الأساسية التي تقول بأن كافة الأعمال والنشاطات البشرية هي موجودة أصلاً لمساعدة الفرد على النمو. ليس هناك أي جانب من حضارتنا وجد على أساس نظام الربح والكسب ، كافة جوانب النشاطات البشرية أوجدها الحكماء أصلاً.

نحن اليوم ننظر إلى المعرفة كيف تتنامى وتتوسّع وتنتشر وتتفرّع.. لكن في الحقيقة نكتشف بأنها لن تحقق أي إنجاز ذو معنى، لكن المشكلة لا تكمن هنا فحسب بل نلاحظ أن المعرفة تتخذ توجه خاطئ تماماً. هي تهدف إلى المحافظة على استمرارية ما يبدو مصيره الحتمي هو الفشل.

لهذا لدينا الفلسفة تدخل إلى مسرح الحياة، فتتحول إلى قاعدة من قواعد <u>الحكمة</u>، ومنها يخرج القرار النهائي الذي يجعل <u>الحقيقة</u> هي <u>الحكمة</u>. هي اتخاذ القرار المناسب لفعل ذلك الشيء الذي يتناغم مع الخطة الإلهية، فالإنسان الذي يطيع القوانين الكونية هو إنسان حكيم. كل ما يُعتبر من قبلنا بأنه يمثل حكمة لكنه لا يقرّ بهذه الحقيقة السابقة لا يمكن اعتبارها <u>حكمة</u> أصيلة.

لطالما خضعنا عبر سنوات طويلة لسيطرة الحكمة الفاسدة، وسيطرت على عقولنا لسنوات طويلة معرفة مزيفة، وقد أصبحنا الآن بحاجة ماسة إلى كل ما هو أصيل وليس مزيّف. نلاحظ أيضاً بأن كافة التغيرات الحاصلة في المجتمع تديننا باستمرار على أخطائنا، ومعظم المشاكل التي نراها اليوم لم تكن موجودة قبل خمسة وعشرين أو خمسين سنة، حيث كنا نعيش بحالة أكثر تماسكاً. لم نعد نعيش بتلك الطريقة، لقد دمرنا

بأنفسنا كافة الحواجز والجدران التي منحتنا بعض الحماية، لم يعد هناك احترام لقوانين العلاقات الشخصية، لم يعد هناك أي احترام للوالدين أو للعجزة، ليس هناك أي احترام للحقيقة. كما يوجد القليل من الاحترام للمعلمين، لأن الكثير منهم لا يعلمون الحقائق كما هي. كل هذه الأمور وغيرها بحاجة إلى علاج، وخلال عملية العلاج نأخذ كافة أشكال المعرفة ونحاول بثها بالروح، نأخذ مثلاً المعرفة بعلم الرياضيات حيث يوجد الكثير مما وجب قوله بهذا الخصوص، الرياضياتي العادي يدرس هذه المادة أساساً بهدف تطوير علم معيّن أو تقديم بعض الحلول لمسائل رياضية طارئة، لكن في الحقيقة ما نجهله عن علم الرياضيات هو أنها مثلت جزءاً مهماً من الحكمة الأفلاطونية.

قال أفلاطون: ".. الله هو المهندس الأكبر.."، كما يمكن القول بأنه ".. الكيماوي الأكبر..". الله [تعالى] هو والد علم الفلك وهو القوة وراء كل شكل من أشكال المعرفة. وفي جوهره، فإن كل شكل من أشكال المعرفة هو صحيح وسليم، وكل شكل من أشكال المعرفة مبنياً على قانون كوني وواقع كوني. ولأننا لم نعد مهتمين بهذه المواضيع اليوم نقرر أن ننساها أو نلغيها من حياتنا أو ندعها للآخرين لكي يهتموا بها، بينما نحن نستخدم هذه الأشكال من المعرفة بطريقة مختلفة. نحن نفضّل التفكير وفق مفهوم يجعل الرياضيات تمثل عملاً مخبرياً، نرغب في التفكير وفق نمط الإعجاب بإنجازات غيرنا، مثل: يا إلهي.. أنظروا ماذا حقق العبقري أينشتاين! لكن في الحقيقة ماذا فعل آينشتاين بواسطة الرياضيات؟ توصل إلى اكتشاف شيء قد يؤدي إلى موتنا جميعاً، لقد ساهم في صناعة القنبلة الذريّة!

هذا مجرّد اختصار معبّر لما نفعله اليوم بالمعرفة، نحن نسعى إلى تطوير حضارة ميكانيكية كبرى تعتمد على منطق العلمانية المادية، وذلك في عالم لا يمكن للمادية فيه أن تنتصر أبداً. من خلال موازنة هذه العوامل المتعلقة بالوجود المادي والتفكير وفق مفاهيم تؤدي حتماً إلى زوالنا الأكيد، لا يمكننا أن نصل إلى أي مكان مجدي.

الحكمة الحقيقية تستطيع استخدام الرياضيات لمدة ألف سنة دون أن تطوّر قنبلة ذرية. لكن السؤال هو: **لماذا طورنا قنبلة ذرية؟** لأننا كنا بحاجة إلى هفوة كبرى لكي تغطي على باقي الهفوات الصغرى، نحن بحاجة إلى خطر كبير بهدف خلق السلام بين الأمم.

لهذا السبب فعلنا ما فعلناه، لكن على ماذا حصلنا في نهاية الأمر؟ نحن الآن أمام خطر داهم ودائم! وهذا الخطر سيستمر إلى الأبد طالما بقي في أيدي الفوضوية تسعى إلى التحكم بمصير البشرية، لكن رغم ذلك، فإن قوة القدر لن تسمح بحصول أي شيء من هذا النوع.

لا يمكن أبداً خداع الطبيعة، بالإضافة إلى أنه لا يمكن إيقافها عن مساراها أو تعطيل وظيفتها، فلا بد لعوالمها الخاصة، الباطنية والظاهرية، أن تنجح في النهاية في تصحيح الانحرافات التي تعاكس غايتها النهائية، لذلك ماذا نفعل حيال الأمر؟ هل ننطلق نحو بناء نوع جديد ومختلف من الحضارة فوق ركام القمامة التي خلفتها الحضارة السابقة؟ لا يمكن تحقيق ذلك لأن حجم القمامة والنفايات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية... إلى آخره لن تسمح للأمر أن يسير بسهولة ويسر. ببساطة فإن طريقة تفكيرنا منحرفة لدرجة أنه يستحيل إحداث تغيير جذري في حضارتنا الحالية.

أنظر كيف نفكّر وكيف نتصرف من خلال المثال التالي: في مجال الزراعة، نحن نحاول التخلص من الحشرات المؤذية من خلال رشّ النباتات بالسموم الكيماوية رغم أننا نموت نتيجة حالات التسمم، كيف يمكن لأشخاص عقلانيين ومتعلمين أن يقبلوا بهذه الطريقة على أنها وسيلة منطقية ومجدية؟! كل شيء في العالم من حولنا يعمل بنفس الطريقة، والسبب هو أن لا أحد يعمل جاهداً لإيجاد حلّ، بل إنّ الجميع يعمل جاهداً لكي يحافظ على الأمور كما هي. إذا عدنا إلى مجال الزراعة نجد أن الكل مهتم في هدف واحد فقط وهو قتل الحشرات المؤذية ومنعها من أكل المحاصيل، لكن لا أحد يحاول النظر إلى الموضوع من زاوية مختلفة والبحث عن نمط مختلف تماماً للعملية. الكثير من الخبراء النباتيين، مثل "لوثر بوربانك"، أشاروا إلى نقطة مهمة بخصوص هذا الموضوع، قالوا أنه إذا كانت النبتة سليمة وفي حالة صحية جيدة فلن تقترب منها الحشرات، فقط النبتة المريضة تغزوها الحشرات حيث تمرض ومن ثم تضعف وحينها تجتذب الكائنات المفترسة، مثل الحشرات والفطريات، فهذه الكائنات المفترسة لا تأتي إلى نبات سليم ولا حيوان سليم.

بنفس المفهوم السابق، المشاكل الاجتماعية التي نعاني منها اليوم لا تصيب عالم صحّي وسليم، لا يمكنها أن تزدهر في أمة صحّية وسليمة. فإنّ سبب انحراف الأمور عن مسارها الطبيعي هو الدمار الذي لحق بالنزاهة والاستقامة التي تمنعها من الانحراف. نحن لا ندرك ماذا نفعل، ومع ذلك نشاهد أمام أعيننا نتائج انحرافنا، نشاهد مثلاً كل تلك الأمراض والأوبئة تنتشر في العالم دون أن نبحث في سببها الأساسي والذي هو ليس بيولوجي أصلاً!

هناك الكثير من الأسباب التي تجعلنا نفترض بأن معظم المشاكل التي نواجهها اليوم هي نتيجة مباشرة لوتيرة الذبذبة التي نطلقها نتيجة التفكير الجماعي. صحيح أن كل منا مشغول بمشاكله الخاصة، لكن الملايين من البشر مشغولون بمشكلتين أو ثلاثة: كيف يصبح الفرد ثرياً أو كيف يكون الفرداً جميلاً ونظراً والأهم من ذلك كله: جذاباً، وكيف تدعمنا صحتنا لكي نتابع أعمالنا ونشاطاتنا المنحرفة.. إلى آخره. كل هذه الأمور، مع ذبذباتها السلبية، تساهم في إفساد طريقة حياتنا. إنّ مفهومنا للصحة السليمة يقتصر على الاعتناء بالجسد وليس الروح. هناك سؤال آخر يشغل الجميع: ".. كيف تصبح جميلاً.."، ربما لم يفطن أحد بأن هناك طريقتين لتصبح جميلاً: الأولى عن طريق الجمال الخارجي والذي لن يدوم طويلاً، والثانية عن طريق الجمال الداخلي (الأخلاق والفضيلة) وسوف يدوم مدى الحياة وسيذهب معنا ليصنع لنا حياة أفضل في العالم الآخر.

نحن بحاجة ماسة إلى مستوى تفكير أفضل وأرقى، علينا أن نأخذ الحقائق الواقعية ونحولها إلى مسلمات راسخة. علينا أن نأخذ المعرفة ونطهرها ونحررها من قيودها المادية الزائفة التي تجعلها ضحية الأنانيين والمهووسين. ليس هناك طريقة للحصول على عالم أفضل سوى بعد أن نصبح أناس أفضل. وهذه مسألة وجب أن تشغلنا بشكل كبير في هذا الوقت خصوصاً. نحن بحاجة إلى إعادة تجدد، إلى عملية خيميائية تساهم في تحويل الأنانية إلى إحسان، تحويل مركزية الذات إلى مركزية الجماعة، وتسمح للقدر أن يقود الدرب بدلاً من إنحاءه جانباً والاجتهاد غير المجدي لتغيير الخطة الكونية

المرسومة. لدينا الآن الكثير من الأمور التي وجب العمل عليها.. الكثير من الفرص.. والكثير من الدعائم التي يمكن الاستناد عليها. لكن كل هذه الأشياء لن تدوم طويلاً.

لكن بدأنا نلاحظ أمراً مهماً، وهو أن كافة هذه العوامل السابقة تتلاشى وتنقص الواحدة تلو الأخرى. الحلول التي نحوزها الآن تتناقص مع الأيام وتصبح غير مجدية مع الوقت. رويداً رويداً نرى الإفساد المستمر للقوى الحيوية التي نعتمد عليها جميعاً. وهذا الإفساد يعود سببه غالباً إلى الانحراف وسوء الاستخدام. إن إدراك هذا الأمر مهم جداً. علينا تعليم كل فرد يذهب إلى المدرسة حقيقة أن كل إنسان غير صادق هو إنسان مريض.. وأنه ما من إنسان يمكن اعتباره ناجحاً إذا كان يفتقد للنزاهة والاستقامة، بغض النظر عن حالته المادية أو الاجتماعية. أما باقي الأشياء فهي أمور وهمية تتلاشي مع الزمن.

لطالما شاهدنا اتفاقيات السلام بين الأمم تزول وتتلاشى على مرّ التاريخ،كما نرى الفوضى الحالية المنتشرة حول العالم. نلاحظ وجود قوة هائلة من الجهل تصارع بكل ما عندها في سبيل السيطرة والتحكم بالإنسانية. ها نحن صرنا في القرن الواحد والعشرين، ومع تعاظم قوتنا وحرفيتنا وفرصنا وجب أن نوازيها من حيث زيادة نسبة الفضيلة والنزاهة بداخلنا قبل أن تساهم إنجازاتنا العلمية في تدميرنا.

من المهم جداً أن نفكر جميعاً بهذه المواضيع بين الحين والآخر، وأعتقد أن هذا ما أسعى إليه في هذا الكتاب،فربما يترك تأثيراً مهما كان الأثر بسيط سوف يكون نافعاً في كل الأحوال. أرجو، بكل ما عندي من قوة إيمان، أن يتشكل من بين قراء هذا الكتاب نواة لمجموعة مكرّسة لتحويل المعرفة إلى حكمة، لكي ينمّوا تدريجياً القوة والحرفية المناسبة ليصنعوا لأنفسهم حياة أفضل، ولكي يورثوا عالم أفضل لأحفادهم. لقد تبين دون شكّ بأن طريقتنا الحالية في الحياة هي منحرفة بكل جوانبها ولا يوجد سوى طريقة واحدة وهي الطريقة الأصيلة والتي قُدرت لنا منذ البداية. هي طريقة صادقة ومجيدة ومجرّدة من أي ألم، حيث الحكمة تحكم حياتنا بالكامل. إذا استطعنا استيعاب هذه الأمور فلا بد من أن نكون في أفضل حالاتنا وأكثر سعادة.

حب الحقيقة

في القرن السادس الميلادي برز فيلسوف اعتُبر بأنه الفيلسوف الأخير الذي قد يقبله أفلاطون في مدرسته، هذا الفيلسوف هو بويثيوس Boethius (عاش من ٤٨٠ حتى ٥٢٤م) وكان شخصاً رائعاً جاء في زمن بائس من تاريخ أوروبا، وهو الزمن الذي نشير إليه اليوم بعصور الظلام، وكانت تلك البلاد تمثل بالفعل مكاناً مأساوياً بالنسبة للمفكرين والفلاسفة، حيث كان كل مفكر لديه أموراً مهمة ليقولها يُسحق بطريقة وحشية. كان "بويثيوس" أحدهم، حيث حُكم عليه بالإعدام لكنه عاش قبل ذلك وحيداً لمدة سنوات في زنزانة منفردة، قبل موته كان قد انتهى من وضع كتاب صغير بعنوان "عزاء الفلسفة" The Consolation of Philosophy وقد تحول هذا الكتاب إلى أحد أعظم المراجع الفلسفية في العالم، حيث كشف أمور كثيرة بخصوص الفلسفة والحكمة والتي لا تحويها أي من المراجع السابقة أو اللاحقة. علينا بالتالي إدراك حقيقة أن بويثيوس كان مفكراً ملتزماً، وكان شخص يتمتع باستقامة ونزاهة كبيرة، وقد كرّس معظم حياته بحثاً عن الحقيقة، وكل جزئية وجدها من الحقيقة كان يعالجها محاولاً إظهارها للناس. لهذا السبب يمكننا القول بأن هذا الرجل كرّس حياته في سبيل الحقيقة. وقد مات معزياً نفسه بأن هذا التكريس في حب الحقيقة لم يذهب هباء.

يبدو أنه في تلك الزنزانة الصغيرة التي قضى فيها وقتاً طويلاً من العزلة قبل موعد إعدامه بقي وحيداً مع أفكاره، لم يكن لديه ما يساعده أو يرشده سوى حياته الداخلية. كان يعلم جيداً بأنه لن يُطلق سراحه أبداً، كان يعلم أن موته حتمياً رغم جهله متى وكيف، في ظل هذه الظروف جميعاً لم يكن لديه ما يستند عليه سوى حياته الداخلية. مع إدراكه لهذه الحقيقة وتصميمه على العيش وفقها استقر بهدوء على التأمّل في موضوع الحقيقة، وفي أحد الليالي خلال تأمله العميق في تلك الزنزانة الحجرية الضيقة حول روائع الحياة وعجائب الكون، تجلّى نور عظيم في الزنزانة، ووسط ذلك النور المبهر ظهرت امرأة رائعة المظهر وبدا عليها جلالة المقام، كانت ترتدي ثوب ملكي مهيب وتشعّ منها هالة الروعة والجلالة بكل ما تعنيه الكلمة من عظمة ومهابة. اقتربت منه وقالت أنا هي التي كنت تخدمها، والآن أنت بحاجة إلى مساعدة وبالتالي أنا سوف

أخدمك، وشرحت له بوضوح بأنّ سعيه في سبيل مساعدة الناس قد خلق ديناً على الحقيقة وبالتالي على هذه الأخيرة السداد، وطوال ما تبقى من حياته في هذا العالم المادي سوف ترشده الحقيقة وتقوده، وتمنحه الذكاء والحكمة والمحبة الكافية لكي يتمكن من معالجة الأمور التي حلم بها وآمن بها، وكنتيجة لذلك خرج بكتابه الذي كان بعنوان "عزاء الفلسفة" و الذي أصبح لاحقاً يمثل مرجع فلسفي عظيم.

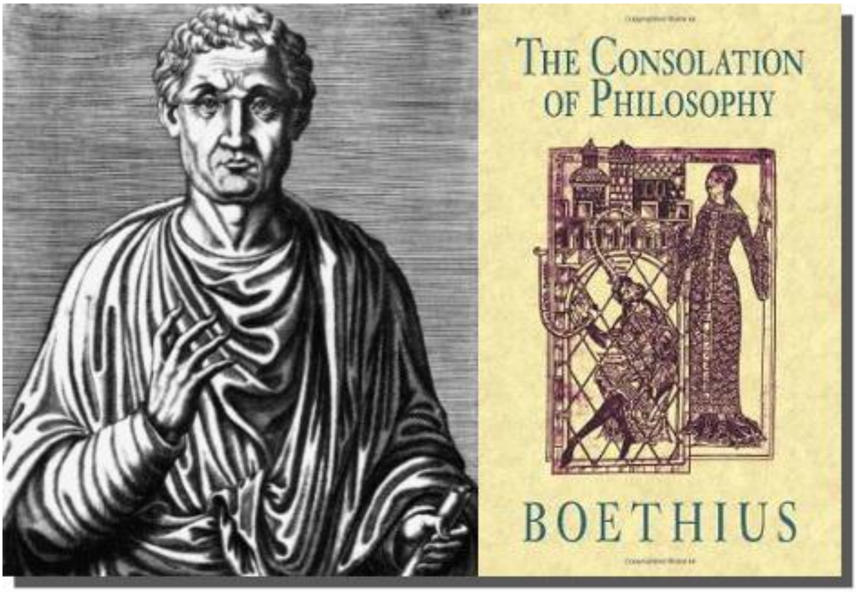

إنه من خلال هذا الإدراك لإمكانية مكافأة صاحب المبادرة الحسنة توصل "بويثيوس" إلى معرفة أمر مهم، وهو أن الحقيقة ليست مجرّد كلمة ولا مذهب أو عقيدة، الحقيقة لا تمثل توجه فكري أو مدرسة، بل كما أدرك القدماء، **الحقيقة تمثل كائن حيّ**، هي مخلوق قائم بذاته، هي شيء له كيانه ووجوده الخاص، كائن له حياته ومماته، له بداية ونهاية وسط هذا الوجود اللامتناهي. الحقيقة إذاً تمثل كائن واعي، وهذا الكائن ظهر أمام "بويثيوس" في زنزانته، ومن هذه الحقيقة تعلم كيف يعيش أيامه، وحصل على الإجابات الشافية لكافة الأسئلة التي طرحها، واكتسب المعرفة عن الأماكن البعيدة وكذلك الأماكن التجاوزية، العليا والدنيا، كما أنه تعرف على أسرار الزمان والمكان، وأدرك فجأة أن الحقيقة تمثل معلّم عظيم. الحقيقة هي وحدها التي تعلم كل شيء، هي الوحيدة التي تقود

الإنسان نحو الكمال، وعلى الإنسان أن يستحق هذا الكمال من خلال تكريس حياته للحقيقة.

عندما نتتبع طريقة تفكير القدماء بخصوص أسرار الحياة نكتشف أمراً مهماً مثيراً للاهتمام، نجد أنه في الوقت الذي ننظر فيه إلى الأشياء المختلفة بصفتها أشياء جامدة، ننظر مثلاً إلى موضوع الأمل بصفته مجرّد كلمة تمثل نزعة وجدانية معينة. ننظر إلى الحكمة بصفتها نوع من النشاط الفكري. ننظر إلى الحب بصفته عاطفة شخصية أو نزعة فردية يتشاركها الناس فيما بينهم. لكن بالنسبة للحكماء القدامى كانت هذه الأشياء المختلفة تعتبر كائنات قائمة بذاتها. كان الحب يمثل مخلوق وليس مجرّد علاقة عاطفية متبادلة. ومن خلال الكتابات القديمة نجد أن الإغريق والمصريين والفرس والصينيين والهندوس وغيرهم من حضارات قديمة مختلفة، جميعهم كانوا يشخّصون الفضائل والنزعات العاطفية والفكرية المختلفة. عندما كانوا يتناولون موضوع العزم والشدة مثلاً كانوا يصورون قوة معيّنة وكأنها كيان خاص (الإله مارز أو المريخ).

وعندما يتناولون موضوع الحكمة كانوا يصورون كائن حكيم، وبهذه الطريقة خلق القدماء مجموعة كبيرة من الآلهة بحيث كل نزعة عاطفية أو فكرية أو جسدية يمثلها إله خاص، لهذا نجد كوكب المشتري يحكم موضوع معين بينما كوكب زحل يحكم موضوع آخر، بالنسبة لنا اليوم تُعتبر هذه الأشياء عديمة المعنى لكن بالنسبة للقدماء وطريقة تفكيرهم كانت هذه الأشياء المختلفة تمثل كائنات مختلفة. كان الأمل بالنسبة لهم يمثل كائن حي وليس مجرّد شيء جامد أو حالة نفسية عابرة. كان الأمل يمثل شيء قادر على الولادة والنمو كما يفعل الطفل، كان الأمل يمثل لحظة تبجيل عظيمة بحيث يُحتفى به كما يُحتفى بمولود جدديد أو زيارة إنسان جليل القدر. وفي النهاية كافة الأشياء المختلفة والتي تمثلها شخوص أو آلهة مختلفة تمثل في النهاية أجزاء متفرقة من كائن واحد عظيم. كافة هذه الأشياء أو الأمور أو الحالات المختلفة تمثل تشخيصات لمبادئ كونية مختلفة والتي تظهر لنا بهيئة لغة رمزية نستطيع مشاركتها عاطفياً أو فكرياً فيما بيننا.

لذلك نظر "بويثيوس" في زنزانته إلى ذلك التجلي للرؤيا أمامه على أنه تحقيق لحلم العصور. قيل له من قبل الرؤيا بأنها كانت معه منذ البداية، منذ أن بدأ تكريس حياته للحقيقة وسوف تبقى معه حتى نهاية حياته، وفي نفس الوقت سوف تبقى مع الآخرين الذين يعيشون نفس الحالة وبذات التوجه، لأن لا أحد يسير في الحياة وحيداً، وكل من كرس نفسه لخدمة الآخرين كان يرافقه ذلك الحضور النوراني دائماً وأبداً، كان شيء مكرّس لحراستهم وحمايتهم لأنهم يستحقون ذلك، ولأنهم استحقوا نعمة السلام الداخلي سوف يحصلون عليه بالرغم من ما يسود العالم الخارجي من اختلالات ومصاعب وعدم استقرار. كان هذا عزاء عظيم بالنسبة للفيلسوف "بويثيوس"، منحه الشجاعة والقوة لمعرفة أنه مجرّد ما كرّس الفرد نفسه لخدمة الحقيقة سوف لن يكون بعدها وحيداً، بل انه سوف يجد دائماً أحدهم في مكان وزمان مناسب مستعداً للمساعدة والمؤازرة والحماية، ونجد أن هناك دائماً من ينتظر لاستخدام الحقيقة التي تم اكتشافها وذلك بصفته نوع من المخلّص الذي يجنّبه العذاب والألم الذي يعانيه نتيجة الجهل.

الحكمة التي صاغها الفيلسوف "بويثيوس" لتنوير الآخرين لاحقاً كانت تعلم له في تلك اللحظات في الزنزانة، كُشف له بأن أحلامه لم تكن مجرّد خرافات وأفكاره لم تكن فارغة وأن الحقيقة تمثل كائن حيّ وتؤازر كل من يخدمها، إنّ هذا الأمر قد منح عزاءً كبيراً للسجين البائس الذي كان ينتظر موته كعقوبة على محاولته تنوير ومساعدة الآخرين.

وقبل موعد إعدامه، سافر بويثيوس مع الحقيقة إلى كل مكان وزمان واستكشف العوالم المحجوبة، فقد استعرضت له الحقيقة أين كان مخطئاً وأين كان صائباً في أفكاره وكتاباته السابقة، وكشفت له عن أنها وراء كافة الاستنتاجات الصائبة التي خرج بها في كتاباته الفلسفية، هي من كان يزرع في وعيه تلك الاستنتاجات، وكانت تؤكد له دائماً على فكرة أنه طالما بقي يخدمها فسوف تلازمه ولن يكون وحيداً أبداً، وعندما حان موعد الإعدام واجه "بويثيوس" الأمر دون خوف أو وجل، وكان كتابه الذي خلفه مصدر عزاء وبصيرة لملايين الناس.

هذا يؤدي بنا إلى المفهوم الذي تناولناه في الفقرات السابقة والذي يتحدث عن الحقيقة بصفتها محبة، الحقيقة بصفتها كائن أو قوة أو خليقة. الحقيقة تمثل الطريقة الأكثر ديناميكية وتحفيزاً والذي يقود إلى الواقع الفعلي. ما هي الحقيقة بالنسبة لنا؟ كيف نفهم الحقيقة؟ ربما نفهمها كما فعل "بويثيوس"، نفهمها عبر بذل مجهود نحو النمو الروحي، محاولين أن نكون اليوم أفضل مما كنا البارحة. ونستمرّ في النمو كل يوم. لكن الخطوة الأولى التي نتخذها نحو إدراك الواقع الفعلي تجذب إلينا ذلك التواصل، ذلك الكائن الذي يمشي معنا على طول الطريق. المجهود الأوّل المخلص والملتزم لعيش حياة الحقيقة سوف يجلب لنا الحقيقة. وتسير معنا الحقيقة إلى نهاية أيام عمرنا. هذه هي الفكرة التي أخذ بها الفيثاغورثيون والأفلاطونيون، حيث كان الفرد يجتذب التكريس الخارجي نتيجة لتكريسه الشخصي. عندما نقوم بعمل خيّر، عندما نخدم المحتاجين، عندما نحسّن طبيعة تأملاتنا، نكون قد أنجزنا تواصلاً مهماً في الحياة. ومجرّد أن تم هذا التواصل فلا يمكنه أن يموت. مجرّد أن قدمنا ولادة من أرواحنا إلى روح الحقيقة فهذه الروح سوف تستمر في الحياة. سوف ترافقنا جيل بعد جيل، حياة بعد حياة. قد نتراجع في الدرب حيث ننسى أو نخسر أو نأثم، لكن مجرّد أن بذلنا مجهود صادق بالمحاولة نكون قد اتخذنا خطوتنا

الأولى نحو الأبدية ، نكون قد قمنا بحركتنا الأولى باتجاه السلام الأزلي ، بالتالي كان مناسباً بالنسبة للقدماء أن يفكروا بموضوع الحقيقة بصفتها صديقاً وفياً، بصفتها شيء قادر على الاستمرار وتجاوز كافة مشاكل العقل.

يمكن للعقل أن ينخدع ويمكن للجسد أن يُعاقب لكن الحقيقة في الروح تستمر دائماً حيث لا شيء يستطيع إعاقتها مجرّد أن انطلقت في مسيرتها، وأوّل عمل خير يُكرّس دون أنانية يمثل بداية الطريق الطويل المؤدي إلى الولادة الجديدة أو تجدّد الشخصية وتحولها، وقد قصد "بوذا" Budha نفس الفكرة عندما قال أن الرحلة نحو الحقيقة تبدأ بخطوة واحدة، أما في المنظومة الفلسفية الإغريقية فهذه الخطوة الأولى تعني مجهود غير أناني مكرّس لخدمة الآخرين، في تلك اللحظة من حياتنا التي نكون فيها أكبر من أنفسنا ووضعنا إحدى أعمال الخير في مقام أعلى من مصلحتنا الشخصية.

لكن طالما بقينا أنانيين فسوف تبقى الحقيقة وحيدة وحزينة. في اللحظة التي نكون فيها أنانيين في تفكيرنا وتصرفاتنا نكون قد قطعنا الصلة بالحب الأبدي المخزون من أجلنا في الرحاب السرية للحياة الباطنية. لكن في فترة معينة من حياتنا نقوم بهذا المجهود نحو الحقيقة، فيمثل الخطوة الأولى في الطريق، وكما يقول "بوذا" بعد الخطوة الأولى، الثانية تكون أسهل. لكن خلال قيامنا بالخطوة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة .. إلى آخره، تدخل ضغوطات القوى الخارجية، فنتعرض باستمرار لحالات توتر وأرق وإغراءات. لكن في اللحظة التي نبدأ فيها رحلتنا، يتجلى شيئاً مكرساً لمساعدتنا، ويرافقنا على طول الدرب. قد نظن بأن عمل الخير يقف دائماً وحيداً في الساحة، لكنه في الحقيقة يقف في حضرة الخير المطلق الذي يملأ الفضاء، فالخير يمثل مبدأ كوني قائم بذاته ، انه مبدأ عام وهو لا يتطلب تعليم عالي أو ثقافة واسعة ولا ذكاء لامع، بل يتطلب قراراً نتخذه في أنفسنا، خطوة واحدة نتخذها فننتقل من الأنانية إلى التفاني، من الظلام إلى النور، ومجرّد أن اتخذ الفرد هذا القرار بالالتزام يتم دفعه تدريجياً إلى الأمام، خطوة تلو الأخرى، إلى أن يصل في النهاية إلى كمال بلوغه الروحي الذي يسعى إليه.

القصة التي نتناولها في هذه الفقرات هي قصة المحبة بصفتها الحقيقة، نحن أمام مفهوم يتكلم عن مستوى من الفضيلة، مستوى من النزاهة، الذي لديه القدرة على تجاوز مستوى العلاقات المادية الدنيوية المختلفة.

أعتقد بأن الإغريق اقتربوا من الحقيقة عندما قرروا تشخيص كافة القوى المثالية في الحياة، فالإغريق مثلاً لم ينظروا إلى الكرة الأرضية كشيء جامد بل بصفتها كائن حيّ. لم يعتبروا السماء بأنها مجموعة من النجوم المتناثرة، بل اعتبروها أم عظيمة تطلّ على العالم أجمع، وحتى النجوم بذاتها لم تكن مجرّد نقاط مضيئة أو عبارة عن تفجرات كيماوية في الفضاء (كما نعتبرها اليوم)، بل اعتبرت كائنات قائمة بذاتها وتنظر إلى العالم وتمنحه قواها التي تشعّ بخصائص مختلفة، كل شيء في العالم كان مفعم بالحياة بالنسبة للقدماء، كل شيء في الطبيعة كان واعياً وحيّاً.

نحن اليوم لا نألف هذا النوع من التفكير، لكن من خلال نمو معيّن وتطوّر معيّن نستطيع بعدها تقليص المسافة بين فهمنا الشخصي للأشياء وهذه القيمة الأكبر للحياة، هذا المشهد العظيم للطبيعة الحيّة والذي يجلب البهجة والطمأنينة للنفس. صحيح أن معظم كلام القدماء بهذه الطريقة كان رمزياً دون أدنى شكّ، لكنه أمر مهم وجب منحه المزيد من الاهتمام لأن نتائجه مجدية من الناحية الروحية.

كافة معتقدات الشعوب القديمة، الاغريق والهنود والصينين والمصريين وحضارات أمريكا الجنوبية وقبائل أفريقيا وأمريكا الشمالية.. إلى آخره، جميعهم آمنوا بوجود كائنات مسؤولة عن مفاصل الحياة المختلفة. فقط في عصرنا الحالي المحكوم بالعلمانية المادية حوّلنا هذه الكائنات المختلفة إلى معادلات علمية مؤلفة من أرقام وأحرف وجعلناها ترجمات علمية ملموسة لأسرار الحياة. لا نستطيع اتباع المنهج العلمي السائد اليوم خلال سعينا لاكتشاف أسرار الأشياء. في الحقيقة فإن كافة ألغاز العلم، بما فيها مصادر القوى ومصدر الحياة وطبيعة الزمن وثنائية النور والظلام وثنائية الخير والشر.. إلى آخره، جميعها معادلات وصيغ ووتائر ذبذبية مختلفة، وجميعها مفعمة بالحياة. كل شيء له درجة أو نوع من الحياة بداخله. الحياة تكمن في الحجر كما في النجم. كافة الأشياء متصلة ببعضها ومندمجة في النهاية ضمن وحدة نهائية ومطلقة.

توصل إذاً الفيلسوف "بويثيوس" إلى رؤيا المرأة النورانية وتأمّل بمشهد الكون كما أظهرته له هذه الكائنة الجليلة. رأى الكون مفعماً بالحياة وليس بأجواء ساكنة ميتة. والعالم ليس مجرّد تراب وهواء وماء، بل تملأه كائنات حيّة، كائنات جميلة ورائعة. لكن إلى جانب الكائنات التي يراها الإنسان من حوله في الطبيعة، يوجد كائنات تحيط به لكنه لا يدركها، كائنات تسكن عالم خفي لا يؤمن الإنسان بوجوده أصلاً، رغم أن هذا العالم الخفي يؤثر عليه كل يوم وساعة ولحظة. عالم خفي له تأثير على مزاجه وسلوكه وتفكيره. هذا العالم يعاقبه عندما يكون أنانياً.. عالم يمجّده عندما يكون صائباً.. وإذا كان حكيماً بما يكفي سوف يدرك بطريقة غامضة وجود قوى في هذا العالم الخفي وسوف ترشده إلى مصيره الفعلي إذا التزم بالقوانين.

كل فرد يعيش هذه الحياة سوف يحوز على التعاليم المناسبة. مجرّد أن مشى في درب الحقيقة وعاش حياتها سوف يدرك مباشرة أن ما يتواصل معه ليس مجرّد طاقات وقوى ميتة. عندما يلتزم بالقوانين سوف يكون كامل الفضاء معه، الزمن يكون معه، حتى الأبدية تكون معه.. رويداً رويداً يقترب من تحقيق غايته، وفي النهاية يتحول إلى طاقة واعية تسبح في رحاب المجال العظيم للحياة الكونية.

إذا نظرنا حولنا اليوم ورأينا مسألة التلوّث البيئي وخصوصاً تلوّث الهواء الذي يموت بسببه آلاف الملايين من الكائنات المختلفة. هذا التلوّث الجوي هو مخالف للقوانين الكونية، وبالتالي فإن الطبيعة لن تدعمه بل سوف تستمر في معاقبته حتى يتم تصحيحه في النهاية. الطبيعة لن تسمح للشرّ أن يبقى. لن تسمح للخطأ أن ينتصر. سوف تكون هناك فترات ينتصر فيها الخطأ لكن هذا يكون مؤقتاً، لكنه سيزول في النهاية، وربما بعد فترة تحوّل تستغرق عقود وحتى قرون من الكوارث الجوية والأعاصير إلى أن تستقر صحّة الطبيعة مرة أخرى. **كل شيء من حولنا يعيش وسط بحر من الحقيقة**. يعيش وسط كائن عضوي عملاق وهائل يستند على حكمة مطلقة ومحبة مطلقة. هذه هي القوى الحاكمة في الكون. **الكون ليس خامل بل مفعم بالحياة.** الكون ليس مجرّد فضاء فارغ ولا أنه مجرّد أفلاك تسير بشكل عشوائي وسط فراغ. هو ليس مجموعة معادلات رياضية أو كيماوية أو فيزيائية تملأها الأحرف والأرقام والتي يمكن كتابتها على لوح

الدراسة. الكون هو كائن حيّ. كل شيء موجود هو مفعم بالحياة. وبينما نحن نكبر في أحد المستويات نجد أن شيء آخر يكبر على مستوى آخر. خلال إحرازنا المزيد من الحكمة نجد أن شيء آخر يمنح الحكمة لكل خلية في أجسادنا. في كل مكان نجد أن الأشياء تعيش وتكبر وتنمو. وعندما يتدخل الانسان بعملية النمو هذه في أي وقت ومكان يكون قد ارتكب الخطيئة الأكثر فظاعة. عندما يحاول منع عملية النمو أو يصبح غير مبالي بالعملية أو ينكرها يكون حينها قد وضع نفسه في موقع العقاب على ما فعله. والعقوبة طبعاً لن تكون لعنة أبدية كما تشرحها الأديان، العقوبة لن تكون شيئاً يتعذر إصلاحه، لكن عندما تبدأ العقوبة فسوف لن تنتهي قبل أن يصبح الخاطئ متمتعاً بالفضيلة والصبر. العقوبة تكون بهذا المعنى عبارة عن نتيجة لسبب وهذا السبب هو ما اقترفه الفرد من خطيئة. وهنا يتجلى مبدأ "السببية" الهرمزي (الكارما وفق المفهوم الهندوسي) والذي سوف أتناوله بالتفصيل لاحقاً. طالما بقي الخطأ قائماً سوف تبقى العقوبة قائمة. **وما هي القوانين الأساسية لهذا الكائن الكوني الغامض؟** هذا الخير المطلق الذي نعبده بشكل أو بآخر حسب اختلاف الثقافة والذي نسميه نحن الله [تعالى]. ما هو قانون هذا الكائن الكلّي العظيم؟ القانون الأساسي هو المحبة. قانون هذا الكائن الكلّي هو أنه في كافة المستويات نجد اللطف والرقّة المطلقة ترشد الحياة وتقودها إلى مصدرها الأصيل عبر دفعها إلى الأمام حتى تبلغ الكمال.

لقد أدرك القدماء هذه الأمور لكننا لم نعد ندركها اليوم، لكن عندما تحدث كارثة كبرى في حياتنا فلا بد من وجود سبب لذلك رغم أن العكس قد يبدو ظاهرياً. الكارثة لا تحصل هكذا بشكل عشوائي. وما من كارثة تستمر للأبد إذ كل شيء قابل للإصلاح، وما من شيء في الحياة يكون حقيقياً ويمكن تدميره، حتى الكائنات الأدنى منزلة لابد من أن تنمو، لابد من أن تحوز على مكانتها في مسرح الوجود، ولا بد من أن تحصل على فرصة للفوز والانتصار. وإنه قانون عام يحكم الطبيعة حيث كل شيء سيفوز في النهاية. ليس هناك خسارة في الوجود، يستحيل حصول ذلك. لكن يوجد فقط تأخير أو تأجيل. يوجد فقط لحظة تباطؤ وتأني، ومع ذلك فإن الحياة الكونية تعتبر رحلة رائعة ومجيدة.

ها هو الفيلسوف "بويثيوس" يدفع للدولة دين خلقته هي بنفسها، والثمن هو حياته. لكنه لم يعد يخاف من الدولة، لم يعد يخاف من العالم أجمع، لأنه أدرك بأن العالم بذاته هو خيّر بطبيعته. لكن أولئك المستبدين الذين يظهرون على مسرح الحياة لا يعيشون سوى يوم واحد ثم يموتون في اليوم التالي وفق التوقيت الزمني الأبدي للكون. وخلال هذه المسيرة الزمنية الكونية على كل واحد منا أن يكتشف طبيعته الأبدية على طريقته الخاصة. على كل منا أن يدرك بنفسه مدى حجم الخطة الكونية التي ننتمي إليها. وجب أن ندرك بأننا لم نولد عندما أتينا إلى الحياة، وأننا لن نموت عندما نرحل عن الحياة. كل شيء في الحياة يستمر في الحياة حيث ليس هناك موت في الوجود. كل شيء مفعم بالحياة، ينمو ويتكشّف باستمرار.

إذا نظرنا إلى أحد المروج الممتدة أمامنا في الطبيعة نلاحظ النشاط النباتي المتنوّع الحاصل فيه. هذا النشاط النباتي تحكمه الإلهة "فلورا" Flora لدى الإغريق، وهي آلهة الحصاد وآلهة الزهور وآلهة الأعشاب. هي تمثل المبادئ التي تجسدها مملكة النباتات.

بمعنى آخر فإن مملكة النبات تمثل كائن حيّ في طور النمو، إنها ليست مجرّد مكان، ولا مجرّد مجموعة أعشاب برية أو أشجار مثمرة أو غيرها، مملكة النبات تمثل كيان قائم بذاته. كائن حيّ. لديه فتراته الصاعدة وأخرى هابطة، لكن أبديته غير مشكوك بها. سوف يستمر في الحياة إلى النهاية. وإذا أسيء التعامل معه أو إفساده فسوف يباشر فوراً في تصحيح مكامن الفساد وقد تدوم العملية قرون طويلة إلى أن يتم التصحيح في النهاية. أي شيء يسعى بشكل واعي ومقصود إلى تدمير عملية النمو هذه أو إعاقتها أو إرهاقها يكون جهله حينها هو مصدر محنته. الفرد الذي يحاول قتل كائن ما، سوف يأتيه اليوم الذي يرتعب فيه من الموت وسوف يكون خاطئاً بأنه ظنّ أنه قتل ويكون خاطئاً بأنه ظن أنه سيموت. كافة الأشياء تعتبر جزء من خطة شمولية أكبر حجماً من مستوى تفكيرنا لدرجة أننا نعجز عن التأمّل بمداها. لكن هذا الواقع العظيم هو في الحقيقة مصدر أمننا الوحيد، وهو الشيء الوحيد الذي لا يفشل أبداً. يمكن للسياسات الدنيوية أن تبرز ومن ثم تندثر، وهي أيضاً تعتبر كيانات قائمة في الوجود. البعض

يتحدث عن أخطار المنظومة الرأسمالية. هذه المنظومة تمثل في الحقيقة كيان قائم بذاته، وبالتالي له فترة صعوده وازدهاره ومن ثم هبوطه واندثاره.

الإلهة "فلورا" Flora الإغريقية

الإغريق والرومان اعتبروا "بلوتو" إله الثراء، وهو يمثل النظام الرأسمالي العصري بجوانب عدة. لكن إله الثراء هذا اعتبر كائن مقدس عند القدماء. وعلى إله الثراء أن ينمو فوق طبيعته الساعية للثراء، كما باقي المخلوقات التي هي أيضاً في طور النمو. لهذا السبب أينما يوجد الثراء فعليه أن ينمو فوق طبيعته المادية. وجب أن يتحول إلى شيء أفضل.. شيء غير مادي. هذا لأنه كائن حيّ ويتمتع باستمرارية الوعي وبالتالي سوف لن يرتاح أو يستكين إلا بعد أن يتوقف الثراء عن كونه يمثل خطر داهم على أي كائن حيّ. كل شيء ينمو نحو كماله الخاص وخلوده الخاص الذي لن يتحقق إلا بعد أن يبرأ من أي نزعة تدميرية في الحياة.

مع تعمقنا أكثر في هذه المسألة المعقدة نوعاً ما، نصل إلى موضوع الدين، وكما هو معروف يوجد حول العالم أنواع مختلفة من الأديان. معتقدات مختلفة ومسلّمات مختلفة. العديد من الآلهة والعديد من المذاهب والطرق الصوفية التي تتشعب وتتشابك كلما تعمقنا في هذا الموضوع أكثر. لكن الدين يمثل في النهاية كائن واحد، وهذا الكائن الواحد هو الذي تشير إليه الأمم باسم الله [تعالى]. الدين هو الدم الجاري في عروق الله [تعالى]. الدين يمثل جزء من هذه القوة الهائلة التي تمثل جسدها الطبيعة بينما الله [تعالى] يمثل روحها. نحن إذاً نتعامل مع كائن حي. حتى الأديان تتطوّر، والناس تتطوّر، المؤسسات الدينية تتطوّر، كل شيء مخلوق لا بد من أن ينمو ويتطوّر. وعند إحراز نموه النهائي سوف يختفي ليفسح مجال لظهور تجسيد جديد لشيء أرقى وأفضل.

نحن منشغلون اليوم بمستقبل عالمنا، ومن وجهة نظرنا الدنيوية فهذا أمر مبرر. لكن دعونا نتذكر أيضاً بأنه كما أدرك الإغريق فإن عالمنا يمثل كائن حيّ قائم بذاته، يسبح عبر الفضاء. كوكب الأرض هو حيّ، وهذا أمر نسيناه مرة أخرى في إحدى فترات التاريخ. لهذا السبب عندما نستغله دون رحمة أو تفكير كما نفعل اليوم ننسى المشاكل التي نجلبها لأنفسنا عندما نقوم بهذا العمل غير المسؤول. كوكب الأرض يمثل في الحقيقة أم عظيمة فائقة الكرم والعطاء. وقد تم تبجيلها وعبادتها من قبل كافة الأديان القديمة. هذا الكوكب يمثل شيء مذهل ولطيف، لكن عندما نبدأ باستغلال ثرواته السطحية والباطنية بطريقة متوحشة غير مسؤولة نعلم بأننا نفعل أمر شرير. نحن نسعى

بكل ما لدينا في سبيل تخريب وإفساد شيء يستحيل تخريبه وإفساده في نهاية المطاف، حيث هذه الأم الحنونة المعطاة ستتحول إلى أم صارمة وقاسية، وتعبر عن ذلك بالكوارث البيئية والجوية وغيرها من تعبيرات تدميرية ومأساوية. عندما نسيء استخدام القوى التي مُنحت لنا فسوف تنقلب علينا هذه القوى وتعاقبنا. لأنه في نهاية الأمر إذا لم تعاقب عند الضرورة فإن النصر النهائي لن يتحقق. فأصبح لدينا الآن كرة أرضية تستحق المزيد من اهتمامنا. ليس لأنها مغطاة بعالم النبات أو التربة الزراعية أو غيرها من أسباب، بل لأن كوكب الأرض يمثل كائن حيّ قائم بذاته. وبالتالي هذا الكائن يستحق محبتنا واحترامنا ودعمنا المفعم بالحنان والعطف والانسجام المستمر والأبدي مع قوانينه الخاصة به وهي ذاتها القوانين التي تحكم الطبيعة وتحافظ عليها. إذا لم نحافظ على قوانين الكوكب فإنه لن يحافظ على قوانيننا الخاصة بنا. إذا لم نفسح مجال لازدهار كافة أشكال الحياة الموجودة في الطبيعة فسوف تصبح هذه الأشكال مجرّد ظلال شاحبة أو عوامل سلبية تهدد بقائنا.

ليس هناك في الطبيعة أي قوة يمكن أن يُثار غضبها، الطبيعة لم تعرف أبداً الغضب. فهذه مجرّد سمة طورها الإنسان لوحده. الأم المحبة والحنونة قد تعاقب الطفل لكنها لا تدمره أبداً، لن تؤذيه مطلقاً. تكون صارمة فقط لتساعد طفلها على إحراز البلوغ والرشد. لهذا إذا واجهنا مشكلة مستعصية فإننا نتبع إجراءات هادفة إلى إعادة المشكلة إلى نمطها الطبيعي، ومن أجل تحقيق ذلك، منحنا القدر كافة أشكال المعارف المساعدة على ذلك، أوّل ما تم منحه لنا هو عجائب الطبيعة ووسائلها المذهلة لتصحيح نفسها. أما المساعدة الأخرى التي يمكن اللجوء إليها فهي، كما يقول الحكماء القدامى، مكتوبة في النجوم الفلكية وفي العناصر (الأربعة) وفي التراب. يقول لنا أحد الحكماء أيضاً أن هناك ثلاثة مصادر عظيمة للمعرفة يمكن من خلالها الإنسان معرفة أسرار الحياة: الأوّل هو الله [تعالى]، والثاني هو الطبيعة، والثالث هو روح الإنسان (و قد شبهها بالكتب الثلاث التي تحوي كل شيء). كل هذه تمثل مصدر التعليمات التي علينا تقبلها. لكن إذا رفضنا تقبلها فهذا لا يعني أننا سنتعرض لمواجهة مستبدّ فظيع سوف يظهر ويهاجمنا ويدمرنا. فالحقيقة أنه لن يقضي علينا الشرّ بأي حال من الأحوال، بل سوف يتم تصحيحنا بالقوة، وهذه الطريقة هي الوحيدة لترسيخ الخير في حال مواجهة معارضة

عنيدة. لن يكون هناك أي خسارة، لن يطرأ أي مشكلة ناتجة من تدمير الأشياء، بل فقط مشكلة أن الفرد قد خضع إلى اختبار وفقاً لدرجة التنوّر التي أحرزها.

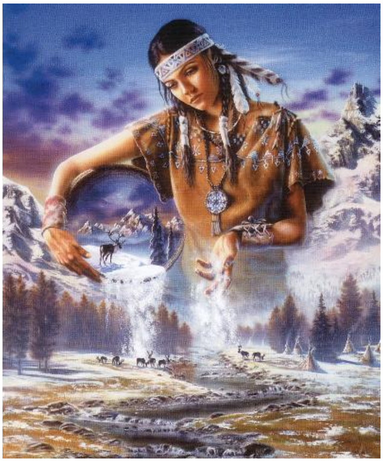

الطبيعة الأم وفق تصور الهنود الحمر

الطبيعة لا تتوقع من المخلوقات غير المكتملة أن تصبح مكتملة بين ليلة وضحاها. لا تتوقع من كافة قوانين ومبادئ الوجود أن تُصحّح في يوم واحد. لكن الطبيعة تتطلّب من الأفراد أن يلتزموا بأفضل القوانين التي يعرفونها، أن يعيشوا وفق القناعات التي يشعرون بأنها الأفضل بالنسبة لهم والتي اكتسبوها من خلال التجربة والاختبار في حياتهم. كل فرد له تجاربه الخاصة في الحياة. هذه التجارب يمكن تطويرها إلى مستوى جديد من الارتقاء الذاتي، أو يمكن رفضها ونبذها بصفتها شريرة فقط لأنها لم تشبع رغباتنا الدنيوية. لكن في النهاية لا يوجد في الطبيعة أي قوة شريرة. لا يوجد في الطبيعة أي نسيان لعمل الخير، كل شيء يحرز كماله بفعل ذبذبته الخاصة. كل شيء يجري عبر كل شيء آخر وفق إيقاع متكامل له غاية وهدف. لهذا السبب ليس هناك أي لحظة يمكن أن نُحرم فيها من فرصة النمو والارتقاء، وسوف تُغفر لنا خطايانا إذا كنا نجهل ما هو أفضل مما اقترفناه. لا بد من أن تأتي اللحظة التي يصحح فيا الفرد أخطائه ويرتقي إلى مستوى أعلى وأنبل.

الحياة هي مدرسة عظيمة. المعلمون في الطبيعة أحياء وليسوا مجرّد كتب، هم الجوهر الحي للطبيعة ذاتها. هم يمثلون جزء من المجرى الأبدي الذي من بين مزوّداته للطبيعة يزوّد الإنسان بعقل وقلب ومن ثم يمنحهما أسرار البقاء. لذلك فإن كل هذا يمثل جزء من فكرة حب الحقيقة وحب المجرى الحقيقي للأمور، الطريقة التي نرى وفقها إذا تمكنا من الخروج من شرنقتنا الضيقة، إذا ارتقينا فوق الجهل الذي حبسنا أنفسنا داخل نطاقه، يمكننا أن نرى فوق الحافة ذلك الشيء الذي يسمى فن الحياة. مجرّد أن فعلنا ذلك سوف ننمو قليلاً. وعندما ننمو قليلاً تقلّ معها مشاكلنا.

لذلك "بويثيوس" تقدم ليواجه الموت وهو مكتفي تماماً، مدركاً بأنه يعيش في عالم ساهم هو في تحسينه. لكن هذا العالم سوف يستمر في خدمته ومحبته ورعايته حتى يحرز في النهاية الكمال. كل شيء يحاول سوف يُكافأ على محاولته. لماذا وكيف؟ حسناً، لا شيء يحاول إلا إذا كان لديه رؤيا عن شيء أفضل. قد لا يعرف كيف يحرز ذلك الأفضل، لكن مجرّد أن قرر المحاولة فهذا يعني أنه خلق إمكانية للتحسّن. في اللحظة التي خلق الإدراك بإمكانية التحسّن فسوف يبدأ الفرد بالنمو.

لكن في البداية سوف يواجه الفرد الكثير من العقبات مما قد يحبط عزيمته ومن ثم تزول تلك الحماسة للتغيير نحو التحسّن والارتقاء، فيعود مرة أخرى إلى مشاكله السابقة والبؤس الذي تولده. قد يحدث هذا الأمر مرات عدة، أي حماسة نحو التحسّن ثم قنوط ويأس وعودة إلى الوراء، لكن هذه الحماسة لن تكن مدعومة بالطاقة اللازمة للاستمرار. لكن في النهاية فإن المجهود نحو النمو سوف يولّد انطلاقة مجدية، لكن معظم الانطلاقات التي تحصل في العصر الحديث تكون عبر الأديان. رغم خيبات الأمل التي يعانيها الكثير من المتحمسين للارتقاء الروحي من خلال الأديان إلا أنه لازال يوجد فرصة ولو ضئيلة في النمو عبرها.

تكريس النفس للدين، والتكريس لخدمة الإنسان، والتكريس لمحبة الله.. تكريس النفس للاعتراف بالقوة العظيمة للخلاص والتي هي موجودة في كل دين وعقيدة روحية.. عندما نبدأ بتلمّس هذا الشعور سوف نلاحظ مع الوقت أنه لن يزول مع الوقت حيث يبدأ بالترسّخ والثبات. لكن بعدها نقترف عمل أحمق فنشعر بالندم، أو حتى أننا نشعر

بالخجل، لإدراكنا بأننا فشلنا في فعل ما هو أفضل من ذلك. لكن في الحقيقة فإن هذا الشعور بالخجل أو الندم يمثل بداية صحيحة لنمو تدريجي. وفي النهاية سوف نخطو خطوات كبيرة لاحقاً حسب ما تسمح به ظروفنا الحياتية. سوف يبدأ التحوّل في داخلنا ونلاحظه بوضوح. نصبح أقل غضباً في حياتنا لأننا وجدنا طريقة تساعدنا على السكون في الحالات المحفزة على الغضب، ونصبح أقل أنانية لأننا بدأنا ندرك حاجات الآخرين، سوف نشعر بالاكتفاء أكثر من قبل لأننا بدأنا ندرك قيمة النعمة التي حصلنا عليها في حياتنا. ورويداً رويداً يبدأ هذا التوجه الفكري والنفسي بالنمو إلى أن يخلق جو من الانتماء إلى عالم ينمو. وأنه في مكان ما في العوالم الخفية تكمن القوة التي تسيّر كافة الأشياء نحو تحقيق مصيرها الطبيعي. رويداً رويداً نصبح أشخاص أفضل.

سوف يأتي الوقت الذي علينا فيه اتخاذ قرار مصيري. معظم الناس غير جاهزين لاتخاذ خطوة كبرى بعيداً عن ما يألفونه. لكن مهما كان الأمر وفي أسواء الأحوال فإنهم على الأقل قادرين على القيام بعمل أفضل. يستطيعون مثلاً تسوية بعض الجوانب المهمة في حياتهم، مثل إصلاح العلاقة بين أفراد أسرته المتفككة. يستطيعون على الأقل تصوّر استخدامات أفضل لما يملكونه من ملكات وقدرات. كل هذه الأشياء تساعد. ورويداً رويداً ينمو الفرد مع مرور الزمن والمزيد من المحاولات لتحسين سلوكه وتفكيره. وفي اللحظة التي حقق فيها بعض التقدم في النمو الجزئي كهذا، أي عندما استطاع مسامحة أحد الأعداء وبصدق، أو وضع حداً لإحدى ميوله أو نزعاته المفرطة كالتبذير أو التهوّر أو سرعة الغضب.. إلى آخره، أو عندما يكف عن إهمال أولاده ومنحهم الأولوية فوق متعته الشخصية، كل هذه الأشياء تبدأ بالتسوية والتصحيح شيئاً فشيئاً إلى أن تبدأ مسيرة حياته بالتحسن مع مرور الوقت. مجرّد أن قام بهكذا مجهود، مجرّد أن بدأت حياته في التحسّن بكافة جوانبها، النفسية والعقلية والاجتماعية.. إلى آخره، في تلك اللحظة سوف تأتي الحقيقة لتعيش معه وترافقه في رحلته عبر مسيرة الحياة. ذلك الكائن النوراني الجليل سوف يدخل إلى حياته ويلتزم به حتى النهاية، إلى أن يحرز الكمال النهائي. بعد هذه الصحبة الجديدة سوف يمرّ عبر الكوارث دون أن تتكسر روحه وسوف يقع في مصائب لكنه لن يراها كشرور، سوف يرتقى فوق كافة عقبات الحياة لأن في قرارة نفسه هناك فجر عظيم في الأفق.. هناك لحظة إدراك بوجود شيء أفضل وشيء أكثر نبلاً،

وبدأ يرى أن الأمور التي كان يخافها أو يرفضها هي أمور وهمية أصلاً، لكنه لم يكن يراها بهذه الطريقة من قبل.

سوف يأتي الوقت ويكتشف الفرد بأن مبدأ الحقيقة الكامن بداخله يصبح المركز الرئيسي لكيانه، هذا المركز الناشط حديثاً لن يبالغ في نشاطه، لن يطلب من الفرد أكثر من قدرته. لن يتوقع من الفرد بلوغ الكمال. لأن الكمال يتطلب وقت طويل، لا نستطيع شرح المسألة أكثر لأنه في هذا الكون العظيم يكون الكمال فوق مستوى استيعابنا البشري. لكن شيئاً فشيئاً يلاحظ الفرد بأنه بدأ ينظم نمط حياته الدنيوية. هذا لا يعني أن كل من انتسب إلى منظمة دينية سوف يتخذ هذا التوجه، حيث كما نلاحظ فإن التشدد والكره والتعصب هو السمة الرئيسية لمعظم أتباع الأديان القائمة اليوم، لكن بين هؤلاء نجد القليلين الذين راحوا يصيغون لأنفسهم منهج ديني خاص بهم وهذا المنهج العبادي يكون بسيط ومعتدل ومجدي روحياً لأنه خالي من الضغوط والهفوات والانحرافات والانتقادات التي تؤدي في النهاية إلى التكفير والاعتداءات العنيفة. سوف يكون إيمان لطيف يحفّز على تنمية وتحسين الكوامن الداخلية بدلاً من الاهتمام بالمظاهر الخارجية غير المهمة روحياً ، لكن كلما تحسّن الداخل كلما أصبح الخارج أفضل تلقائياً.

بالإضافة إلى كياننا الروحي هناك كيان آخر وجب منحه نفس الاهتمام، وهو كيان مذهل وعجيب يلازمنا دائماً في حياتنا الدنيوية لكن معظمنا لا يعترف به ككيان فيهملونه ويمتنعون عن خدمته كما يستحق. هذا الكيان الآخر هو الجسد. لدينا جسم يخضع لسيطرتنا ونحكمه كما يفعل السيّد لعبده. وهو يتحوّل فعلاً إلى عبد وضيع عديم الأهمية. معظمنا لا يمنحه الاهتمام الكافي كما أننا نسيء استخدامه وتسخيره لغايات دنيوية لم يخلق من أجلها أصلاً، هو ضحية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، هو يتعرّض لمعاناة كبيرة نتيجة خضوعه لسيطرة العقل الدنيوي الذي يهدف دائماً وأبداً إلى ملاحقة مسرات الدنيا بهدف إشباع رغباته. هنا يأتي دور الحقيقة التي تتجلّى في الفرد ككيان جليل. فهي لن تسمح بسوء استخدام الطاقة الحيوية. لذلك فإن هذا الجسد، الذي يعتبر منزلاً مؤقتاً لنا في هذه الدنيا، له قوانينه ومبادئه الخاصة التي وجب الالتزام بها. بالإضافة إلى ذلك فهو كائن حيّ مفعم بالحيوية. جميعنا نعلم بأن الجسد كائن حيّ. كل

خلية فيه هي كائن حيّ. كل عضو فيه يمثل كائن حيّ. ورغم ذلك فالقليل من الناس يحاولون إدراك هذه الحقيقة. القليلون يحاولون استيعاب كيف يلتف هذا الجسد ويتراكم حول ما نسميه شخصيتنا الخاصة.

على أي حال فإن هذا الجسد يمثل أداتنا العضوية الخاصة التي نتواصل عبرها مع الحياة المحيطة بنا. هو يمثل الامبراطورية الأولى التي نستطيع السيطرة عليها. هو الأمّة الأولى التي نستطيع حكمها. هي المملكة الأولى التي علينا إخضاعها وقيادتها قبل المملكة الثانية التي هي مملكة العقل. فقانون التعاليم السرية هو بسيط وواضح: لا نستطيع احتلال أي مملكة أخرى قبل أن ننجح في احتلال مملكة الجسد. علينا أن ننجح أولاً في قيادة أنفسنا قبل أن نستطيع قيادة الآخرين. إذا كنا نرغب في رؤية عالم أفضل فعلينا أولاً تحسين أنفسنا فبل أي شيء آخر. وفي حالات كثيرة يمكننا اعتبار أن العالم الأفضل يبدأ من جسد صحّي وسليم.

على الفرد أن ينمو فوق كل هذه الأشياء، محققاً القانون ومتحملاً كافة المسؤوليات المترتبة من ذلك، وسوف يرافقه في هذا المسعى قوة وحكمة أعظم بكثير مما نحوزه. لكن في جميع الأحول علينا أن نحافظ على القوانين بصبر وتقبّل ومن ثم نتعلم الدروس التي تتجلى مع كل يوم يمر. وفقاً للفيلسوف أفلاطون فإن كل تجسيد في هذه الحياة يمثل يوماً. هو يوم واحد من أيام ارتقائنا في مسيرة النمو. هو كما اليوم الذي نذهب فيه إلى المدرسة لنتعلم شيئاً. لكن اليوم الذي أقصده هو يوم كوني، هو تجلّي واحد فقط في العالم الدنيوي وهو من بين تجليات عديدة تمثل عدد الأيام في حياتنا الكونية.

أما بخصوص حياتنا اليومية الدنيوية فالأمر مختلف، إذا نظرنا حولنا الآن سوف ندرك بأن مدرسة حياتنا اليومية الدنيوية ليست ناجحة. نحن لا نملك أي توجّه منضبط يرعانا ويحمينا عبر سنوات مسيرة النمو حتى بلوغ الرشد الدنيوي. لذلك تعتمد الطبيعة على هذه المسألة لتمنحنا القوانين والمبادئ المناسبة، وعندما لا نلتزم بهذه القوانين فسوف تقدم لنا الطبيعة مثالاً على عقوبة خرق هذه القوانين. واليوم نجد في العالم الموبوء من حولنا فسيفساء متنوعة من أمثلة على خرق القوانين وما ترتب نتيجتها من كوارث بيئية واجتماعية وغيرها. كل منا قلق بسبب هذه القوانين المخترقة لأنها تمثل خطراً داهماً

بالنسبة لنا. لكننا في الحقيقة لم نقلق بما يكفي ليدفعنا إلى تصحيحها. لا زلنا نحاول لعب دور المشاكسين في مدرسة الحياة، لازلنا مقتنعون بأننا جئنا إلى هذه الحياة لنلهو ونتمتع كما يحلو لنا. جئنا لكي نصبح أغنياء ويكون لنا نفوذ ونصبح مشاهير وغيرها من أهداف وهمية، وطالما استمرينا في فعل ذلك سوف تهجرنا **عبقرية الحقيقة**. عندما يكون الطموح خاطئاً أو شاذاً أو غير سليم فسوف لن تسعى قوانين الحياة إلى تحقيقه أو تعزيزه، وعندما يكون طموحنا مناقضاً للخير فسوف يتمكن ذلك الطموح في النهاية من تدميرنا. عندما ننسى علاقتنا مع الكائنات الحية الأخرى نكون قد نسينا أخوية الحياة ونسينا أيضاً أبوية الحياة. هذه الحالات سوف تكون مصادر رئيسية لمشاكلنا. هذه المسألة أصبحت واضحة جداً اليوم في هذا العصر. الفلاسفة الذين كانوا يصرون على هذه الفكرة قد انقرضوا واندثروا، لكن علينا العلم بأن خرقنا لقوانين الحياة هو الذي وضعنا في موقعنا الحالي. السؤال المهم الذي يطرح نفسه هو لماذا يتم ذلك وكيف؟ **لماذا عندما نتخذ توجه خاطئ نقع في مشاكل؟** هذا بسبب وجود قانون خلف الأمر ويقول لنا ما هو التوجه الصحيح. وهذا القانون ثابت راسخ غير قابل للمساومة أو التعديل. إذا كان الصدق يمثل قانون كوني فهذا يعني أن ما من عمل بشري مخادع بمكنه الاستمرار في البقاء. عندما أتحدث عن الاستمرار في البقاء لا أقصد بأن الشخص سوف يزول ويندثر، بل الغاية أو الموقف الكاذب سوف يزول ويتغير. ما من طريقة ممكنة يمكن من خلالها أن يسيطر الشرّ على العالم.

تقول الأديان بأن هناك معركة دائمة وأزلية بين الخير والشرّ. لكنها في الحقيقة معركة محتدمة بين الحقيقة والجهل. كلما كان الفرد (أو البشرية عموماً) جاهلاً كلما زاد وطيس المعركة، إلى أن تنتصر الحقيقة في النهاية، مهما طال الزمن. كلما عظمت طموحات الفرد الزائفة كلما زادت فظاعة أخطاءه. مهما حاول جاهداً الهروب من نتائج أفعاله فإن تلك العواقب الوخيمة تطبق عليه بقوة أكثر. لا يمكنه الهروب، لا يستطيع تجنب العواقب. لأن هناك شيئاً في الحياة يقول بأنه لا يستطيع تجنبها. والرمز الذي استخدمه القدماء للإشارة إلى ذلك الشيء هو رمز الأم العظيمة، أم مدرسة الحياة، الأم العظيمة للمدارس السرية التي ازدهرت في العالم القديم. إنها الأم العظيمة للعالم. كافة المخلوقات الدنيوية هي مولودة من أمومة واحدة. أمومة الأسرار، أسرار الحياة. أمومة العالم

العذراء. هذه الأم الجليلة تولّد الأبناء لكنها تبقى عذراء للأبد. كل هذه العجائب والأسرار تبدو بسيطة إذا عرفنا كيف نتوجه إليها بتفكيرنا. الأم العظيمة للعالم، لكوكب الأرض، لأسرار الحياة، هي الطبيعة ذاتها. هذه الطبيعة التي تحيطنا ليست مجرّد قوة عمياء مسيّرة بطريقة مادية عشوائية كما تعلمنا في المدرسة حيث العناصر الكيماوية والفيزيائية الميتة والمجردة من الحياة. إنّ الطبيعة عبارة عن قوة حيوية مفعمة بالحياة.. هي تحلم وتفكر وتأمل وتصلّي وتفعل كل ما هو ضروري لاستعادة الأولاد الشاردين إلى منزلهم الدافئ والحصين. هي تعلم بأنه في حال حصول مشكلة فوجب حلها فوراً، وأنه لا يمكن السماح للشر أن يبقى قائماً مستمراً، وأنه يستحيل على الجهل أن يبقى سائداً، يستحيل على العنف أن يستمر في تدمير السلام، وخلال كامل هذه العملية تجد الطبيعة بأن الفرد لسوء الحظ يفتقد للمصادر الداخلية لصنع القرارات المناسبة. هو لا يستطيع أن يقول لنفسه أنا كذبت أو أنا خدعت وبالتالي علي تصحيح هذا الخطأ. الفرد يكذب ويظن بأنه تجاوز الأمر دون عقاب، لكن العواقب لا بد أن تطبق عليه عاجلاً أم آجلاً. وهذه العواقب ليست شريرة بل تمثل الطريقة الوحيدة لتفهمه بأن الكذب عمل خاطئ ومؤذي أحياناً وبالتالي عليه عدم الكذب. لا يمكن التوقع منه أن يتوصل إلى حلّ أخلاقي للمسألة من تلقاء نفسه. لكن إذا توصل إلى هذا الحل الأخلاقي فهذا يعني أنه على الطريق المؤدي للحياة الحقيقية. هو في طريقه نحو شيء أفضل. لكن بالنسبة لمعظم الناس فإن المسؤولية وجب تجنبها، وبالتالي نراهم يتملصون من المسؤولية بكافة الطرق والوسائل. هذا لأنهم منخرطون في غمار حياة تافهة غير مجدية لكنهم يمنحونها أهمية كبرى وهذه هي المشكلة. لا يمكن للفرد أن يعيش حياة سهلة إذا كانت محكومة بالجهل. لا يمكن أن يكون هناك نجاح مبني على الحمق والغباء. لا يمكن لسلام أن يُبنى على عنف. لا يمكن لوجود حكمة مبنية على مبدأ جاهل. كل هذه الأمور وجب معالجتها وفق طبيعتها. لذلك نحن قلقون يومياً بخصوص العالم المحيط بنا. لكن الأم العظيمة حاضرة وهي بجانبنا دوماً. هي تنظر إلينا الآن من مكانها العلوي الجليل، كما كانت تفعل دوماً. هي المنشغلة دائماً في استعادة الأولاد الشاردين إلى المنزل الحصين الذي تحكمه القوانين الطبيعية. هي لن تتوقف عن هذا العمل قبل استعادة كل واحد منهم. لا يسمح لأحد أن يكون مستثنياً. لا يسمح لأحد أن يكون غائباً أو متخلفاً عن الحضور. وفي الحقيقة فإن المتخلفين يكرهون العقاب. المدمن على المخدرات يكره أن يمنعه أحد

عن هذه العادة السيئة. سوف يحاول كل ما عنده من أساليب لتجنب العقاب. هو يكره القوانين التي تمنع هذه العادة أو أي عمل آخر يشبع الرغبات. لكن فوق القانون الذي يسمح لنا بعمل كل ما نرغبه يوجد قانون عظيم يفرض علينا عمل ما هو صحيح.

بهذه الطريق نكتشف تدريجياً بأن هناك كون عاقل، كون حكيم، كون خيّر، كون مكرّس لخدمة الحقيقة الأبدية، ويقبع للأبد في حضور الكائن الأعلى [جلّ وعلا]. بالتالي، إذا تقدمنا قليلاً كما فعل الفيلسوف "بويثيوس" قد نصل إلى البوابة التي تؤدي إلى خارج هذا العالم الدنيوي نحو مكان آخر، لكن عندما نمر عبر البوابة سوف نحقق اكتشاف كبير، وهو أننا لن نُرمى في الظلام الدامس مرة أخرى، بل النور الكامن بداخلنا (إذا أشعلناه عبر طريقة حياة سليمة) سوف يرافقنا ويرشدنا ولن يتركنا أبداً. ومهما قد يحصل بعدها فسوف تبقى الحقيقة سائدة بداخلنا. هذا يعني أن السلام سيسود.

دعونا نضرب مثالاً عملياً على سواد <u>الحقيقة</u> في الإنسان العادي لنرى كيف تسير مجرياتها لكي نستوعب المسألة جيداً، لنفترض بأن المسألة متعلقة بالعناية بسلامة الجسم وصحته. هذا أمر له أهمية كبرى اليوم. الجسد المادي يعتبر بطريقة ما ابننا بالتبني. كل انسان لديه جسد ويمثل نوع من الابن أو الطفل من الناحية النفسية. حيث مُنح للإنسان من أجل تحقيق غايته المرسومة في هذا العالم الدنيوي. وبالتالي علينا أن نُدرّب هذا الجسد ليخدمنا، وإلّا فعلينا التخلّي عن قيادتنا وندع الجسد يستلم زمام الأمور. لكن إذا تولّى الجسد قيادة كياننا فسوف يدخل في مشاكل رغم أنه لن يعلم بأنه وقع في مشاكل. لأنه إذا تم إشباع غرائز الجسد فسوف تخمل باقي أقسام كياننا وتنام. لكن في واقع الأمر فإنه على الجسد أن يخضع لعملية تناغم وانسجام مع باقي أقسام الكيان. أي عليه أن يُردع ويُكبح جماحه عبر الخضوع لعملية انضباط صارمة. وعندما يخضع الجسد للانضباط فسوف يكون سليماً وصحيحاً. عندما تخضع النفس للانضباط فسوف تكون سليمة وصحيحة. حتى تجلّي المطلق [جلّ وعلا] في الإنسان إذا خضع للانضباط فسوف يساهم ذلك في صحة وسلامة الكائن الكوني.

إن كل انحراف قد يؤدي إلى تدمير قيادة العلوي للدنيوي سوف يعتبر خطيراً وبالتالي وجب تجنبه بحذر. نحن نعلم من خلال كل تجربة في الحياة بأنه لدينا القوة لتغيير

الأمور، لجعلها كما وجب أن تكون، وذلك لكي نحقق ما هو ضروري للخير العام كما لخيرنا الشخصي. وبالتالي قبل أن ننطلق بإجراءاتنا المختلفة الهادفة لتغيير العالم إلى الأفضل، وهذا هدف اهتمام معظم الناس في الوقت الحالي، علينا أولاً الاهتمام بتغيير أنفسنا. لأنه في الحقيقة، نجد أن هذا العالم يصعب تغييره. فتزيد خيبة أملنا مع كل محاولة. ونرى أمة بعد أمة تخرق السلام، وبلد بعد بلد تستغل بلاد أخرى. ويبدو الأمر فظيعاً. لكن إذا نظرنا إلى المجتمعات التي تتألف منها هذه الدول سوف نجد مجموعات تحاول القضاء على مجموعات أخرى، ونجد أيضا الاستغلال وكذلك الإهانة والتدمير الروحي والنفسي. نجد المنزل المكسور والقلب المكسور والجسد المكسور. لهذا نعلم بأن التغيير الكبير والضروري لا نستطيع حتى إحداثه في أنفسنا. على أي حال، رويداً رويداً سوف نتوصل إلى إجابة شافية على هذه المسألة المستعصية. فيما يتعلق بالحالة الصحية، يمكننا إيجاد طرق مختلفة لتحسين الصحة. لكن من أجل تحسين الصحة لا بد من الخضوع للانضباط. علينا القيام بالأمور بطريقة مختلفة. علينا التضحية ببعض المغالاة لكي نحقق بعض الاعتدال. علينا القيام بأمر صائب لكي نلغي ما هو خاطئ. فنكتشف إذاً في النهاية بأنه فقط عبر الانضباط نستطيع إعادة أنفسنا إلى حالة انسجام. ومجرّد أن عدنا إلى الانسجام تبدأ التغذية بالقيام بوظيفتها بطريقة سليمة في أجسامنا.

كافة الآلهة التي تحدث عنها القدماء والتي تمثل قوى وطاقات مختلفة، لا يمكنها أن تتجلّى في كياننا بطريقة صحيحة إلا عبر إخضاع أجسادنا للانضباط. الحكمة لا يمكن أن تتجلى إلا عبر الشخصية المنضبطة. الحكمة في حوزة الأحمق هي مزورة وكاذبة. الطريقة الوحيدة لتحقيق الشجاعة هي أن نكرس أنفسنا لهدف يستحق الشجاعة. إذا حاولنا استخدام الشجاعة للدفاع عن أمور سلبية فسوف لن نصنع سوى المزيد من الأذى. كل شيء موجود في مسيرتنا يهدف إلى التحدي وتحفيزنا على إبراز كوامنا الدفينة، لكن يستحيل أن يكون هذا الشيء موجود بهدف تدميرنا. هذه هي الطريقة الوحيدة التي تمنعنا من تدمير أنفسنا. هذه هي الطريقة التي تتبعها الطبيعة لتعلمنا الدروس وتحفزنا على النمو.

إذا نظرنا حولنا في المجتمع اليوم فسوف نرى المشكلة التي تبرز في كل مكان في هذا الزمن، نرى مشكلة المساحات غير اا الكافية للسكن وشحّ الطعام وتفاقم الأمراض وتناقص الغابات والتلوث البيئي وغيرها.. كل هذه الأمور موجودة بكل تأكيد. فندرك بأنه وجب فعل شيء حيالها. فنبدأ في زرع الأشجار ونبحث عن سبل لتصفية المياه ونبحث عن سبل لتنقية الجو من التلوث ونبحث عن سبل للتحكم بعدد السكان المتزايد باطراد وكذلك سبل منع تدمير المصادر الطبيعية... إلى آخره. دعونا للحظة أن نعيد كل هذه المشاكل إلى أنفسنا فندرك أن السبب الذي يجعلنا عاجزين عن حل تلك المشاكل الخارجية هو لأننا لم نحلها في داخلنا. نحن لم نحقق التواصل الذي يجعل الحل ممكناً.

عندما مُنح الفيلسوف "بويثيوس" حضور الكائن الجليل الذي زاره في زنزانته، تلك المرأة الجليلة التي جاءت تخدمه وتواسيه، كان قد قدم لنا طريقة مذهلة لكيفية الانضباط، شجاعة مذهلة أمام الظروف القاسية. بالتالي إذا أردنا حلّ مشاكل العالم من الخارج، فلا بدّ لشيء ما أن يتجلّى في داخلنا. نحن لا نستطيع تحسين العالم في الوقت الذي نعجز فيه عن حماية أعناقنا. لا نستطيع جلب السلام للعالم في الوقت الذي نفتقد له في أسرتنا. كيف يمكننا تحقيق طموحات ذوينا في الوقت الذي نعجز فيه عن الامتناع عن الكحول والمخدرات كوسيلة للمتعة. كل هذه الأمور يعبر عنها الفلاسفة القدماء مثل أفلاطون الذي قال: ".. كل هذه التغييرات لن تأتي إلا عندما ينهض الإنسان لملاقاتها.."

الإنسانية جمعاء تمثل كيان شمولي واحد، هذا الكيان الشمولي يمثل إنسان واحد شمولي، هذا الإنسان الشمولي يتألف من عدة مليارات من البشر الأفراد. البشرية هي كما خلايا الجسم بالنسبة لهذا الإنسان الشمولي. صحة وسلامة هذا الإنسان الشمولي تعتمد على المصادر التي توفرها البشرية الأفراد. علينا استخدام تلك المصادر بشكل صحيح وعلينا حلّ المشاكل أينما وجدت إذا رغبنا فعلاً في السلام والاستقرار. علينا أن نتوقف عن حالات الانقسام والقتال لكي نحافظ على سلامة الإنسان الشمولي الواحد. لكن إذا قررنا البقاء منقسمين ومختلفين ومتحاربين فيما بيننا فسوف تستمر المشاكل في

مجتمعاتنا وفي أنفسنا، الفرد الذي لم يرتقي فوق أنانيته الفردية سوف لن يكون مؤهلاً لإصلاح العالم.

على كل إنسان أن يقدم مساهمة شخصية تجاه استقامة الأشياء، عليه أن يكون مدركاً للحقيقة.. محباً للحقيقة.. محباً لله [تعالى] بصفته ممثلاً للحقيقة. عليه تمييز الهيئة المتجسّدة للأم المُطلقة التي ترعى أولادها. علينا اعتبار إيمان البشرية بصفته البوابة إلى السلوك السليم. علينا النظر إلى أحلام وآمال العصور وندرك بأنها لن تتحقق إلا بعد أن يبدأ الفرد بحب الحقيقة أكثر من حبه نفسه. ليس هناك طريقة أخرى لحل المشكلة إلا أن نصبح مدركين للجمال الغريب والعجيب للحقيقة كما رآها الفيلسوف "بويثيوس" في زنزانته، كائن يشعّ بالنور.. يمكننا أن نسميها السلام، يمكننا أن نسميها الحكمة، يمكننا أن نسميها المحبة، يمكننا أن نسميها كيفما أردنا تسميتها، فهي بالنهاية تمثل قوة مشعّة تبارك التكريس والالتزام، وتكافئ المجهود الأكيد نحو الكمال وتحقيق الغاية الأسمى.. هي شيء يمكنه الاستحواذ على الفرد بعد أن يتخلى عن مجهوده الهادف إلى تحقيق طموحاته الدنيوية الشخصية، لذلك مع كل هذه الأمور، يوجد تلك الفرصة الرائعة التي تأتي كما جاءت للفيلسوف "بويثيوس"، والتي جذبها حب الحقيقة.

<u>الحب</u> يمثل كلمة زئبقية وجب تناولها بحذر. بالنسبة للفرد العادي فإن لكلمة <u>الحب</u> معنى جسدي، أما بالنسبة للإنسان المتديّن فهذه الكلمة تمثل اختبار وجداني، بينما بالنسبة للفيلسوف فهذه الكلمة تمثل اختبار فكري. لكن ما وراء كل هذه المعاني يوجد <u>الحب</u> البسيط والمباشر للحقيقة. إنه <u>حب</u> لا يتطلب تبرير منطقي.. لا يتطلب إثباتات علمية.. لا يتطلب شيئاً سوى حقيقة أنه إذا أحببنا السلام فسوف نخدمه. وإذا خدمنا السلام فسوف نحصل على السلام. وبالطريقة ذاتها، فإذا أحببنا الحقيقة فسوف نكرس أنفسنا لخدمة الحقيقة. سوف نباشر في تصحيح هفوات مدارسنا التعليمية. سوف نضيف المزيد من المعرفة للمنهج إذا تطلب الأمر ذلك، بهدف إرشاد الصغار. وسوف نضع الأفكار والمبادئ في مرتبة أعلى من الربح والمصالح الخاصة. هذه الأمور تمثل تحوّل حب الحقيقة كما نعرفها اليوم إلى حب الحقيقة كما وجب أن تكون. وجب التكريس في سبيل تحقيق تجلّيات فعلية للحقيقة. هذه التجليات الفعلية للحقيقة لا تمثل أشياء تطوف

في الفضاء هنا وهناك. فالحقيقة هي، كما اكتشف "بويثيوس"، نوع من الكائن الحيّ، هي شيء يعيش ولا يموت، هي تولد لكنها لا تفنى. بمعنى آخر، يمكن للحقيقة أن تمثل اسم آخر لروح الانسان (النفحة الشمسية). لكن مهما سميناها واعتبرناها، فهي تمثل الانتصار الحتمي للخير على الشرّ.. الانتصار الكامل للإيمان على الخوف.. الانتصار الكامل للفضيلة على الرذيلة. ويتم تحقيق هذا النصر لأنه يمثل إمكانية كامنة في الفرد، حيث كل إنسان مولود بإمكانية فطرية على تكميل الحقيقة بداخله. ليس هناك شيء يمنع الفرد من إحراز الحقيقة سوى ترفّعه الأحمق عن تحسين أسلوبه في الحياة. من الممكن له أن يدرك بأن بعض الحقائق التي عليه معرفتها حتماً هي بعيدة المنال. قد لا يستطيع إحراز الكمال في الوقت الحالي. قد لا يستطيع أن يكون كاملاً مثل والده في السماء. لكنه يستطيع التقدم إلى الأمام خطوة خطوة في بحث مكرّس عن الواقع الحقيقي. مجرّد أن بدأ هذه الخطوات، مجرّد أن يبدأ ببذل مجهود لتوجيه وتنشيط متممات خلقه فسوف تنطلق الرحلة نحو الواقع الحقيقي. وفي تلك اللحظة يتجلى ذلك الكائن النوراني الجليل، الممثل للحقيقة، يمسك بيده ويقوده نحو الأبدية. ما من شيء قادر على إعاقة هذه العملية.. لا شيء يستطيع منعها.. لا شيء يستطيع التغلّب على الانتصار الحتمي للواقع الحقيقي على الوهم.

لقد عشنا لوقت طويل في الوهم. وبعض جوانب هذا الوهم لازلنا منخدعين بها، فنحن نظن بأن العلم المنهجي يتسم بالحكمة، ونظن بأن هذا العلم يستطيع حلّ كافة المسائل، كما لازلنا نظن بأن أينشتاين كان مذهلاً عندما صاغ المعادلات التي مكنت من التوصل إلى الانشطار النووي (القنبلة الذرية). هذه ليست الحقائق التي نحتاجها. هذه ليست حقائق إطلاقاً. **إن العلماء اليوم يعملون على سوء استخدام الإمكانيات الكونية.. القوى الكامنة في الذرة والخلية وغيرها. كل من هذه الأشياء تمثل وحدة متكاملة، تمثل حقيقة قائمة بذاتها. لذلك وجب معاملتها على هذا الأساس.** وجب الاعتراف بها وفق هذا المفهوم. وإذا أردنا التقدم في علومنا علينا العمل معاً لنجعل هذه المكونات الدقيقة تعمل بتناغم وانسجام داخلنا. إذا استطعنا جعل الخلايا في أجسامنا تتعاون فهذا أمر مجدي ونافع. إذا استطعنا جعل أشكال المعرفة المتفرقة تتعاون فيما بينها فسوف يسود السلام على الأرض. هذه الأشياء تمثل أجزاء من مصيرنا.

هذه المسائل كانت معروفة جيداً لدى أفلاطون وفيثاغورث، كانت معروفة جيداً لدى فلاسفة الأمم الشرقية. وكل منهم أدرك بأنه يستحيل إيجاد حلّ لمشاكلنا الحالية إلا إذا قرر الفرد بنفسه أن ينتقل من موقف نظري تجاه الحلول، أي التوقف عن الكلام والنقاش حول كيف وجب فعل الأمور، إلى الاختبار العملي للنمو الشخصي.

وبخصوص النمو الشخصي، يمكن للفرد أن يبدأ من حيث هو الآن، وليس عليه إشغال نفسه بالتفكير من أين يبدأ وكيف يبدأ.. إنه مجرّد قرار ومن ثم الانطلاق.

ما هي مشاكل الفرد في الوقت الحالي؟ قد تكون الحاجة لوظيفة أو عمل ما، أو ربما مشاكل منزلية وعائلية، قد تكون المشكلة متعلقة بطيش ولد من الأولاد، لكن مهما كانت المشكلة، إذا لم يستطع إيجاد نقطة انطلاق وفق نمط معيّن يؤدي إلى النمو الشخصي، فوجب على تلك المشكلة التي يواجهها اليوم أن تمثل نقطة الانطلاق. إنه قرار يتخذه الفرد بنفسه، والمجهود وجب أن يُبذل من قبله، وذلك لكي يثبت التزامه الصادق بعملية تقدم وارتقاء الخير العام، مجرّد أن عبّر عن نيته في بذل المجهود تكون البذرة قد زُرعت، ومجرّد أن زُرعت البذرة فسوف تبدأ بالنمو التدريجي، لكن مهما كان الأمر فهذه النبتة لن تموت أبداً. مبادرة خير واحدة سوف تؤدي إلى الأخرى. حكمة بسيطة سوف تؤدي إلى حكمة أعظم. مفهوم الحب المقدس الذي يكنه الله [تعالى] تجاه الإنسان سوف يتحقق عبر الحب المقدس الذي يكنه الإنسان تجاه الله [تعالى]. هذه الأمور مثلت جزئاً من سرّ رائع. سرّ الحقيقة.. سرّ الحب.. وسرّ الحكمة. كل هذه الأمور علينا مواجهتها مع مرور السنوات القادمة في حياتنا.

لذلك يمكننا في حياتنا الشخصية، بعد بذل المجهود اللازم، توقع حضور المرأة الجليلة التي تشعّ بالنور... **الحقيقة**.. التي تجلّت أمام "بويثيوس" في زنزانته، وقالت له أنت خدمت الحقيقة طوال حياتك، لقد كنت شخصاً جيداً، سوف لن تكون وحيداً أبداً، الخير الذي فعلته للآخرين عاد إليك ككائن نوراني مشعّ، مستعداً لقيادتك إلى السلام والأمان الذي تستحقه.

العيش في عزلة الطبيعة

القوة العلاجية للطبيعة

تعتبر قصة "هنري. د. ثورو" Henry David Thoreau الأكثر إثارة في الأدب الأمريكي، واستمرارية انتشار كتابه الذي بعنوان "والدن" Walden يعود سببه إلى الاهتمام الفطري لملايين القراء بهذا الأمر، رغم أن ذلك الاختبار الكبير الذي خاضه "ثورو" حصل قبل أكثر من مئة وخمسون سنة، وكان زمن مختلف تماماً عن زماننا، لكن الكتاب لم يفقد حتى الآن حيويته الأساسية بين القراء المتصفين بالرصانة وعمق التفكير. انتشر تأثير هذا الكتاب ليطال العديد من البلدان، كما أنه أثّر على التطوّر الاجتماعي والاقتصادي لبعض الأمم بدرجة لم يتوقعها الكاتب نفسه، وقد كان أشهر الزعماء الذين اهتموا بهذا الكتاب وتأثروا به الزعيم الهندي "غاندي" الذي أقرّ بالفضل الكبير لهذا الكتاب والعرفان الكبير للكاتب "ثورو" على شخصيته الأخلاقية. فقد صرّح "غاندي" بأن الكتاب "والدن" قد أثّر بشكل كبير على سعيه لتطوير مفاهيمه المتعلقة بالحياة البسيطة التي على الشعب الهندي عيشها.

أما بخصوص الكاتب "ثورو" فكان لديه فكرة عن الهند وآسيا عموماً حيث قال في كتابه: ".. اطلعت على الكثير من المصادر الأدبية للمخطوطات الهندية التي كانت مفضّلة لدى مجموعة "أمرسون" التجاوزية..". وصلت الفلسفة الهندية إلى ولاية "نيو انغلاند" حيث كان يعيش الكاتب عبر المجموعة التجاوزية التي ضمت بين صفوفها الشاعر الشهير "أمرسون" Emerson الذي كان صديقاً مقرباً من الكاتب "ثورو" وقد ساعده في تمويل دراسته الجامعية في "هارفارد". لكن طبيعة "ثورو" المتمردة وعدم اهتمامه بالتقاليد الأكاديمية كانت واضحة من خلال مواقفه، حيث عندما حان موعد تخرّجه الجامعي لم يحضر الاحتفال، إذ شعر بأن الأمر لا يستحق حتى المصاريف المفروضة عليه والتي لم تتجاوز خمسة دولارات. لهذا فهو لم يتخرّج رسمياً من جامعة "هارفارد".

الكتاب "والدن" مبني على طريقة تفكير خاصة لدى الكاتب. لا يمكننا فصل الشخص عن عمله، ومعظم الكتب التي كان لها أثراً عبر التاريخ كانت على شكل سير ذاتية. من أجل أن نفهم مواقف "ثورو" وطريقة تفكيره وقناعاته الخاصة، علينا الاطلاع على القصة الأشهر التي ارتبطت به وهي القصة المتعلقة بقلم الرصاص، فقد كان والده

صانع أقلام الرصاص وكان يجري باستمرار الاختبارات المختلفة بهدف التوصل إلى قلم مثالي، هذا القلم الذي أصبح لاحقاً من بين الأدوات الأكثر استعمالاً في حياتنا اليومية استحوذ على اهتمام الشاب "ثورو" وراح يجري اختباراته الخاصة بهذا الخصوص لينجح في النهاية بصناعة قلم رصاص مجدي ومثالي. وفقاً لرفاقه الذين احتفلوا به على انجازه الكبير، لقد حقق الشاب شهرة واسعة نتيجة هذا الإنجاز وبالإضافة إلى الأرباح المالية الكبيرة. لكن "ثورو" لم يهتم كثيراً بهذه الضجّة الكبيرة التي نتجت من ابتكاره أفضل قلم رصاص في عصره، وأعلن بأنه لم ينوي الاستمرار في صناعة أقلام الرصاص، وأجاب على التساؤلات المندهشة لرفاقه قائلاً: ".. لماذا علي الاستمرار في صنع أقلام الرصاص؟.. لقد صنعت قلم رصاص واحد وهذا يكفي.."

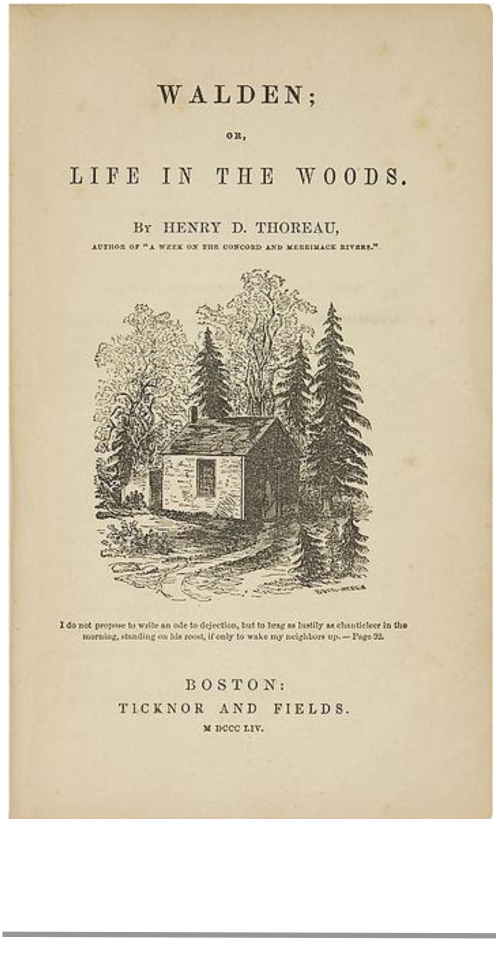

*أوّل ما نُشر هذا الكتاب (عام ١٨٥٤م) كان بعنوان "**والدن، العيش في الغابة**". يتمحور الكتاب حول فكرة الحياة البسيطة وسط بيئة طبيعية. هذا الكتاب يشمل تفاصيل تجربة الكاتب "**هنري. د. ثورو**" خلال اختلاءه في الغابة بالقرب من بحيرة "والدن" Walden، إذ عاش وحيداً في كوخ صغير لمدة سنتين وشهرين ويومين، محاولاً أن تكون حياته بأكبر درجة من البساطة والاكتفاء الذاتي. من خلال اندماجه مع الطبيعة بهذه الطريقة، أمل "ثورو" التوصل إلى فهم موضوعي للمجتمع عبر مراقبة النفس والتفكّر الذاتي.*

هكذا كان تفكير هذا الرجل، إذ لم يؤمن بطريقة الحياة التي تلتزم بمجال عمل من أي نوع. نظر إليها كنوع من عبودية تخضع لسطوة العمل. لم يؤمن بأن الإنسان جاء إلى هذا العالم ليصبح عبداً لطرق عيش أو لسياسات أو ممتلكات من أي نوع. كان بحثه موجه دائماً عن طريقة حياة متحررة كلياً من القيود. طريقة حياة تجعل الإنسان غنياً من خلال تقليص احتياجاته في الدنيا بدلاً من امتلاك الكثير. كان "ثورو" مقتنعاً بأنه في مكان ما في غموض وجودنا فقدنا الغاية المباشرة والمنطقية التي خلقنا من أجلها. لقد طورنا عبر تاريخ وجودنا سياسة تلو سياسة وتوجّه تلو التوجّه حتى أصبحت هذه الأخيرة تقاليد راسخة إلى أن أصبحنا في النهاية عبيداً لها. وكامل حياتنا وطاقاتنا التي وجب أن تكرّس أصلاً لتكشّف مصادرنا الداخلية أصبحت خاضعة تماماً لعبودية إشباع رغباتنا الدنيوية المختلفة كالمسرّات والشهوات وتوقنا للرخاء وجمع الممتلكات وإحراز المرتبة الاجتماعية وغيرها.

قد يبدو الأمر في زمن "ثورو" (أي في العام ١٨٤٧م) بأن هذه المشكلة كانت متفاقمة لدى أبناء ذلك العصر حيث لازالت بساطة العيش سائدة وخالية من التعقيد المعيشي الذي نألفه اليوم. كانت بلدة "كونكورد" التي سكنها "ثورو" لا تحوي أكثر من ألفي نسمة، وهذا المجتمع الصغير الذي عاش حياة نائية في الطبيعة الخلابة قد يبدو بالنسبة لنا اليوم بأنه يعيش في صومعة طبيعية مناسبة للاختلاء الروحاني. وفي تلك الأيام أيضاً لم يكن للمال تلك السطوة الكبيرة على الحياة اليومية للفرد كما هو سائد اليوم. كان بناء منزل فخم يكلف عدة مئات من الدولارات فقط.

وفقاً للكاتب "ثورو"، فإن تكاليف كامل تجربته التي اختلى خلالها في الطبيعة مدة سنتين وشهرين بالإضافة إلى تكاليف بناءه للكوخ الصغير الذي عاش فيه وكذلك بعض المصاريف الضرورية لبقائه طوال تلك الفترة لم يتعدى مئة دولار فقط. هذا يشير بوضوح إلى أن الأعباء الاقتصادية الثقيلة التي نعاني منها اليوم لم تكن تمثل أي مشكلة في زمانه. لكن بالنسبة للكاتب "ثورو" الذي عاش في ذلك الزمن البسيط كان مبلغ مئة دولار ذو قيمة ويمثل رمزاً. يرمز إلى استبداد العامل الاقتصادي في حياة الفرد. الأمر لا يتعلق بكمية المبلغ بل بالمبدأ. وكان "ثورو" يكافح ضدّ ما اعتبره مبدأ خاطئ. هذا المبدأ

الذي يجعل الفرد يسخّر كامل قواه ومصادره الداخلية بشكل دائم ومستمر في سبيل بقاء النفس الدنيوية الجامدة لديه، هذه النفس التي خضعت لاستعباد الحاجات، بسبب دورة البقاء الشريرة الباطلة التي علق فيها الإنسان، أصبح للكائن البشري فرصة قليلة أو حتى معدومة لتكشّف المصادر الكامنة فيه بشكل طبيعي. طبعاً وبكل تأكيد فإن "ثورو" سيصاب بالإحباط أو حتى الانهيار الكامل إذا عاش في زماننا المحكوم تماماً بالحياة الاستهلاكية المتمحورة حول تقديس المال. ماذا سيقول لو شاهد كل تلك الضغوط الهائلة التي نتحملها في حياتنا العصرية؟ لا بد من أن يحمد الله على الحياة في زمانه والتي كان يتمرّد عليها. لكنه مع ذلك تنبأ منذ ذلك الوقت بهذا المآل الذي ستتصل إليه الأمور. تحدث عن عالم يفقد تدريجياً بصيرته حول كرامة الفرد وغاية الفرد الأساسية. يفقد بصيرته بخصوص الحاجات الأساسية للفرد. وهذا التجاهل الكامل للقيمة الجوهرية قد يكون المسؤول عن ازدياد التوتر النفسي الذي يتحمله الإنسان اليوم ويزداد مع مرور الوقت.

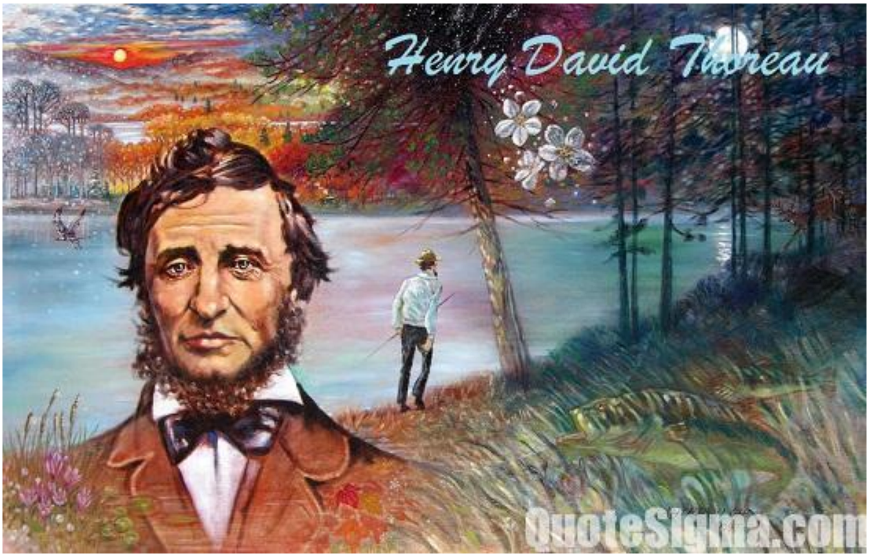

مع قراءة قصة "والدن" للكاتب "ثورو" علينا إدراك حقيقة أننا أمام عمل نعتبره نحن رمزياً بقسمه الأكبر. لكن إذا دققنا النظر سوف نكتشف بأن "ثورو" يوصف لنا من خلال مغامرته الشخصية نوع من التجربة الإنسانية الأكثر عمقاً وأوسع مدى وذات قيمة. لقد

تعرّض لكافة أنواع السخرية واعتبر من قبل البعض أنه رجل مجنون والبعض اعتبره عبقرياً، لكنه في النهاية استطاع بطريقته البسيطة أن يبرز المبادئ الأساسية التي نسيها الناس، أو تجاهلوها خلال كفاحهم الدائم والمستمر للتقدم الشخصي في الحياة. بالتالي يمكن لكل من اطلع على قصة "ثورو" أن يسقطها على حياته الشخصية وفي زمانه الراهن وظروفه الراهنة وسوف يخرج بنفس الخلاصة.

يبدو واضحاً أننا اليوم لا نستطيع الاختلاء حتى على مسافة كيلومتر واحد خارج بلدتنا والعيش حياة بدائية وبسيطة ومعزولة في البرية بجانب بحيرة وفي كوخ صغير دون أي مصاريف مالية أو أي تواصل مع الناس أو الحضارة عموماً. هذه الطريقة في الحياة لن تكون مستحيلة بالنسبة لنا فحسب بل هي أيضاً منافيا لغرائزنا الأساسية وميولنا الطبيعية. لكن إذا كنا محظوظين ودفعتنا رغبتنا إلى تحقيق هكذا خلوة معزولة فمن المؤكّد أننا سنصاب بالجنون! حيث بدلاً من إيجاد السكون في وحدتنا فسوف نجد عزلة قاسية وبعيدة كل البعد عن حياتنا المألوفة، وخلال عدة أيام، أو ربما شهور، سوف نسرع عائدين إلى مأوى حياتنا وتفكيرنا المألوف.

مسؤوليات الحياة اليوم هي مختلفة تماماً عن أيام الكاتب "ثورو". الإنسان العادي اليوم لا يستطيع الانقطاع بعيداً عن نظام المسؤوليات العديدة الذي يثقل كاهله. لكن بطريقة معيّنة فإن غريزة الهروب أو العودة إلى الطبيعة لازالت قوية لدى الكثير من الناس. وهي موجودة بطريقة عقلانية وسليمة لدى معظمهم. لهذا السبب نجد أن قصة "والدن" تستمر في أسر مخيلتنا رغم أنها تتحوّل مع مرور الأجيال والعصور إلى مجرّد رؤية طوباوية لأنها حصلت في زمن يختلف تماماً عن زماننا.

بهذا الضوء علينا فهم كيف يمكن لرجل مثل "غاندي" أن يتأثر بهذه القصة، فقد كانت الهند بكل تأكيد أقرب إلى بحيرة "والدن" من طريقة حياتنا العصرية. لكننا نجد في هذا الزعيم الهندي ظهور غاية قوية ذات طابع عصري حديث، بحيث أصبحت أعمال الكاتب الامريكي "ثورو" مصدراً لإلهام خفي ودعم غير مباشر. لذلك فإنه يوجد سبب جعل عمل كهذا له معنى كبير رغم غرابته وبعده عن واقعنا.

بالنسبة لـ"ثورو" فإن قصة العودة للطبيعة هي مطابقة تماماً لقصة العودة للذات الحقيقية. حيث في مكان ما وبطريقة ما، على كل فرد أن يختبر وجوده في العالم الحقيقي. عالم غير مصنوع من تصوراته الخاصة، عالم غير ناتج من مفاهيمه المتشابكة، بل عالم قريب من الأرض، عالم من القيم التي تكون مباشرة وطبيعية وبسيطة وحتمية. بالتالي إذا كنا عاجزين عن الانتقال إلى هذا العالم الأصيل من مواقعنا الحالية، فوجب إذاً جلب هذا العالم الأصيل إلينا. علينا استكشافه عبر ضبط سلوكنا أو عبر سلسلة من الكشوفات الداخلية بحيث إذا كانت الطبيعة من حولنا تنفرنا جسدياً فيبقى ممكناً لها أن تعيش بداخلنا وتصبح أساس حيويتنا وعظمتنا فتساعدنا على تجاوز مشاكل السنين وشكوكها.

وفقاً للأبحاث والتجارب المتنوعة الجارية اليوم، فإننا نحقق اكتشافات مهمة فلسفياً ودينياً ونفسياً. من بين هذه الاكتشافات نجد الإدراك المتزايد للطبيعة الكونية للعالم الداخلي للإنسان. كنا سابقاً نؤمن بأنه داخل الإنسان يكمن ظلام غامض يقبع في ثناياه نواة روحية. هذا هو التصور الذي ساد سابقاً بخصوص تكوينه الداخلي. أما اليوم فنحن ندرك بكل وضوح بأن كل قوة وملكة داخل الإنسان قادرة على إنجاز تطورات مختلفة،

من بينها عملية التصوّر أو الرؤية الداخلية. فإن كافة الإدراكات الحسية لها وظائفها الخاصة داخل الإنسان، وقد تم تجريبها تحت تأثير التنويم المغناطيسي أو مواد مخدّرة خاصة، وتم اكتشاف حقيقة أن الإنسان يستطيع إدراك واختبار وجود داخلي ذو طبيعة كونية. وهذا الوجود الداخلي، أو العالم الداخلي، الذي يشبه أوصاف القدماء بخصوص العالم الآخر المتخذ هيئة الفردوس، هو ليس مجرّد حالة فردوسية بعيدة، بل يكمن فعلاً داخل الإنسان ما يمكن اعتبارها جنة الحياة الأولية للإنسان (التي خرج منها آدم وحواء في الروايات الدينية)، وأن في طبيعته الأولية يستطيع الإنسان استعادة هذا العالم الفردوسي الذي يقرأ عنه أو يسمع عنه في المخطوطات الدينية المختلفة.

في أحلامنا، يمكن أن نجد أنفسنا في مراعي خضراء مليئة بالورود الجميلة.. نسافر عبر الجبال والوديان.. نبني خلواتنا الخاصة بجانب جدران المنحدرات الشاهقة.. ونشاهد جدول مائي رقيق يجري أمام المغارة أو باب الكوخ الذي نختلي فيه. نحن نستطيع تصوّر أو نعيش فعلاً كافة هذه المشاهد والظروف داخل أنفسنا، لأنها تكمن فعلاً داخل أنفسنا. نستطيع اختزان بحيرة "والدن" الجميلة في ذاكرتنا ومن ثم إحياءها باستمرار في مخيلتنا، وربما نفهم أكثر تلك الظروف التي أحاطت بالكاتب "ثورو" خلال خلوته. سكون الغابة وهدوء الأماكن المعزولة.. هذه الحالات والظروف النفسية تكمن بداخلنا.

أصبحت العودة إلى الطبيعة أو العودة إلى الذات تمثل عملاً مهماً جداً بصفتها أهداف أو توجهات وجب اتخاذها في الوقت الذي نرى فيه نتائج طريقة عيشنا المزيّفة وانحرافاتنا المتنوعة.

لذلك يكشف لنا "ثورو" منذ البداية عن أهمية الحياة البسيطة. ومن وجهة نظر علم النفس العصري، ربما يمكن إثبات هذا الزعم وفق مصطلحات نفسية تحليلية. خلال خضوع الإنسان العادي للتحليل النفسي وجب إفراغه أولاً من الحموضة النفسية التي يطفح داخله بها. داخله يطفح بمكونات نفسية آسنة وعديمة الجدوى بسبب سوء تخزينها. هو بالتالي مريض داخلياً. هو مريض لأنه عندما يجد العزلة الطبيعية لحياته يصبح وجهاً لوجه مع الفوضى. لم يعد المحللون النفسيون متحمسين للخوص في العقل الباطني (اللاوعي) للإنسان. لأنهم إذا فعلوا ذلك فسوف يتدفق منه عدد كبير ومتنوع من الأمور البغيضة والمؤذية والقذرة والآفات والأوبئة الفكرية والتي يبدو أنه لا يمكن السيطرة عليها. ما نسميها اليوم حضارة هي عبارة عن قشرة رقيقة من القيود والكبت. هي عبارة عن انكبات سطحي، نوع من القشرة الرقيقة التي أسفلها يقبع بحر متلاطم من النار والمواد المتفجرة. هذه القشرة الرقيقة من ضبط النفس، والتي جعلوها حالة محترمة عبر عصور من الصقل والتهذيب، تخفي منطقة كئيبة وتعيسة وبائسة وصعبة. ونحن لا نجرؤ العيش سوى على هذه القشرة الرقيقة. لأنه إذا ارتقينا فوق هذه القشرة سوف ندخل عوالم لا نعرفها جيداً، وإذا نزلنا إلى أسفل هذه القشرة ندخل في غمار حالات داخلية لا نستطيع تحملها.

هناك شيء خاطئ بخصوص طريقة حياتنا والتي تؤدي إلى تشكّل هكذا ضغوط داخل الفرد. هذه الضغوط تمنع أي إنجاز صحيح. هذه الضغوطات تخرج وفق تفجّرات صغيرة بهيئة توتر أو إرهاق أو إجهاد أو ألم أو شكّ أو غضب.. أو غيرها. هذه الضغوط تتدخل دائماً في الوجهة البسيطة والمباشرة لسلوكنا. هي التي تجعلنا نعادي الآخرين دون أي سبب. هي تدفعنا إلى الظنّ والارتياب من أشياء لا تمثل أصلاً محط للارتياب أو الظنّ. والأهم من ذلك كله، فهي تسلب حقنا في معرفة أنفسنا. لهذا السبب، عندما نبحث في طبيعتنا الأصيلة ما نجده لن يمثل أنفسنا فعلياً، بل تراكم شخصيات أخرى

بداخلنا. إنه تراكم عصور من التاريخ. إنه الخارج يضغط علينا بقوة إلى أن شوّه كل جزء داخلي بطبيعتنا الحقيقية. لذلك عندما ينظر الإنسان إلى داخله سوف يجد فقط العالم الذي صاغه بنفسه. هذا لأنه في الخارج قام بتكريس كل شيء في سبيل خلق هذا الصرح الهائل الذي يمثل شاهداً على انهزامه. يجد في داخله فقط تلك الأماكن الجرداء والقاحلة والعقيمة والتي هي متطابقة مع تلك التي كوّنها خلال صراعه في ساحات المعارك المختلفة لحياته الخارجية.

بطريقة ما توصل الكاتب "ثورو" إلى إدراك هذه الحالة الداخلية المشوّهة ووصفها بدقة. حتى في أيامه التي تشهد جيل أقل توتراً من جيلنا، أدرك بأن هذا هو الاتجاه الذي يسير العالم نحوه. العالم يسير إلى تعقيد ضاغط، يسير نحو المرض. عالم يزيل من الفرد تدريجياً الحيوية التي تساعده على البقاء، وأكثر من ذلك، فإنه يزيل الحيوية التي تمكنه من تصحيح أخطاءه. فأصبح الفرد أكثر اعتماداً، ليس على نفسه بل على كل شيء إلا نفسه. وبالتالي وقع تحت رحمة العالم الخارجي الذي خلقه بنفسه. ها هو الآن يُعاقب بفعل ما اقترفه بنفسه وبفعل الأوهام التي نتجت لاحقاً مما اقترفه. وكما عبّر "ثورو": راح هذا الفلاح يجرّ منزله معه عبر السنوات، فأصبح يعيش من أجل منزله، يعيش فقط من أجل صيانة أرضه حيث يعزّل الصخور ويقلع الأعشاب.. يعيش في عالم صغير لم

يفسح له أي وقت إضافي للقراءة أو التفكير أو التأمّل وذلك بسبب الدورة اللانهائية من الكدّ والأعمال الشاقة التي كانت أساسية لبقائه. لكن في النهاية، بعد كل هذا الكدّ والتعب والعناء، ماذا حقق الإنسان؟ حقق القليل جداً.

معظم ما حققه هذا الإنسان ذهب إلى المحافظة على بقاء الجسد المادي الذي اعتمد كلياً على نشاطه في سبيل أنجاز أعماله الشاقة. كان يأكل وينام من أجل أن يتمكن من العمل. وكان يعمل من أجل أن يأكل وينام. وهكذا راحت دوامة حياته تدور وتدور وتدور. **وهذا المخلوق الأنبل بين المخلوقات الأخرى، هذا الكائن ذو الخيال الواسع حيث الشعر يصدح في روحه، حيث تنشط داخله الأحلام والآمال والإلهام... جميع هذه الملكات قمعت تماماً في داخله.** هذا المخلوق الاستثنائي التزم بـ [عود الفلاحة] لفترة طويلة جداً لدرجة أنه صار يمثل قطعة منه. يمضي حياته يمشي وراء [عود الفلاحة] حتى يموت مع [عود الفلاحة]. وكل ما هو حقيقي وجميل ورائع بخصوصه كان مكبوتاً بفعل ذلك المفهوم الغريب المتعلق بالحاجة إلى نوع محدد من البقاء، إنه بقاء تنافسي يستند كلياً على شريعة وضعها الإنسان بنفسه. لقد وضع حدوداً ضيقة لنشاطاته ومات ضمن تلك الحدود الضيقة.

لم يكن "ثورو" ذلك النوع من الأشخاص الذين كانوا عنيفين بطبيعتهم ولا مقتنع بمفهوم الثورات العنيفة. لم يؤمن بوجود أي منفعة من إجبار الناس على تغيير مسلكهم المألوف. كان يدرك بأن بعض الناس قد يصابون تماماً بالبؤس إذا قُدمت لهم فرصة ليكونوا سعداء. فطريقة حياتهم كاملةً قد كُرّست لنوع من الشهادة والفداء، إذ أنهم يشعرون بأنه من الصائب، بل من واجبهم ومسؤوليتهم أن يشاركوا هذا البؤس ذاته مع أبناء جنسهم. لم يتم تحفيزهم بفعل أي عزيمة قوية لتصحيح هذا البؤس، بل فقط فُرض عليهم التحلّي بفضيلة الصبر الذي يهدف إلى تحمّل الخطأ والانحراف حتى النهاية دون أي محاولة في تصحيحه.

يمكن اسقاط هذا التوجّه اليوم على الفرد ذاته حيث اجتهاده للاندماج مع الحياة من حوله. من المؤكّد أن سمة الاعتدال يمكن زيادتها مع الممارسة والتدريب، حيث كل جزء في كياننا يزداد قوةً مع كثرة الاستخدام. بهذه الطريقة فإن الجوانب من كياننا التي تقترف الأخطاء عند تعزيزها وتشجيعها تزداد وتتكاثف، مما يؤدي إلى فقدان التواصل المباشر مع الواقع ومع الحيوية وكذلك مع القيم الأساسية التي يمكنها توجيه حياتنا بشكل صحيح. بالنسبة لكل منا فإن بحيرة "والدن"، التي قضى "ثورو" عزلته بقربها، تمثّل نوع من الخلوة النفسية. وبالمعنى نفسه، لا بد لكل انسان أن يكون له خلوته الخاصة بداخله. وعند انعزاله إلى داخل نفسه وجب أن يجد فيها القوة. لكن علم النفس العصري اليوم

والذي يستكشف العقل الباطن واللاوعي لدى الإنسان العادي يزعم بأنه لن يجد قوة هناك بل جذور الضعف. يجد أن قسم كبير من حياة الانسان الداخلية عشوائي جداً لدرجة أنه لا يستطيع العيش بشكل سليم. **كيف يمكننا إذاً تقدير قيمة الأنظمة الفكرية المختلفة؟..** ماذا سنقول عن نظام التعليم الذي يسمح للإنسان أن يمضي معظم حياته بحالة صحية سيئة تماماً؟.. ماذا سنقول بخصوص التقدم والحضارة والتطور وفق المفهوم الذي يعتبرها حركة اجتماعية للكائن البشري؟.. إذا كانت هذه الأمور لا تجلب معها نوع من الأمان ضد المشاكل والاضطرابات فما نفعها بالنسبة لنا؟ **ما النفع من الاحتفال بالتقدم المزعوم الذي نشهده اليوم في الوقت الذي تشهد عوالمنا الداخلية انهياراً كاملاً؟..**

ما نعتبره تقدماً بالنسبة للإنسان هو تقدم صاغه الإنسان بنفسه. إذا كنا نصيغ طريقة حياة ليس لها قيمة سوى بدرجة خدمتها لنا، فالطبيعة لن تقبل بهذه الصيغة أبداً. الطبيعة لا تتطلب هذه الصيغة التي ننشدها نحن. لازال السنجاب يخزن طعامه لفصل الشتاء والأعشاب تنمو والأشجار تستعرض زهورها الرائعة في فصل الربيع. الطبيعة لا تتطلب مدن كبرى أو مشاريع تجارية كبرى. الطبيعة تعيش وفق استمراريتها الخاصة بطريقة بسيطة ومباشرة. الإنسان طبعاً لا يرغب في العودة إلى مستوى ذلك الكائن البدائي المتنقل في البراري عائشاً من جمع الثمار وصيد الحيوانات، لكن وجب أن ننتبه دائماً للحقيقة التالية، إذا كانت العبقرية الخلاقة للإنسان دفعته إلى تصوّر ما يتجاوز الطبيعة التي رآها حوله فلا بد لهذا التصوّر إذاً أن يرتقي به فوق الطبيعة، بينما التصوّر الذي دفعه إلى الانفصال كلياً عن الطبيعة بحيث صار أقلّ مستوى من الطبيعة فهو ليس تصوّر على الإطلاق بل كابوس. بالتالي فإذا كانت حضارتنا الممتدة عبر آلاف السنين لم تجلب لنا أي أمان أكثر من ذلك الذي تمتع به الإنسان البدائي المتنقل في البراري فهذا يعني أننا لم نتقدم أبداً في ارتقائنا وتقدمنا. إذا كانت حضارتنا لم تقدم لنا كمية أكبر من القيمة فهذا يعني أنها لم تخدمنا كما يجب. وإذا لم تخدمنا فهذا يعود إلى أنها مصابة بخلل ما أو ضعف ما.

أدرك الكاتب "ثورو" بأن ما نعتبرها طريقتنا في الحياة تحولت مع الزمن إلى مجموعة قناعات مغروسة فينا بطريقة مشابهة للتنويم المغناطيسي، أي أنه أصبح واجباً علينا

الاعتماد على هذه الطريقة في الحياة والدفاع عنها بغض النظر إن كانت صحيحة أو خاطئة.. وجب تحمّلها بكل مساوئها ومخاطرها فقط لأنها موجودة هكذا. ليس لدينا أي نية للانقلاب على هذه الحالة التي نعتبرها قدرية وحتمية. معروف جيداً في علم النفس بأن الارتباط مع حالة معيّنة لفترة معينة يولّد نوع من القبول حيث تهدأ روح التمرّد لدى الفرد ومن ثم يسعى للتأقلم مع هذه الحالة بكل سلبياتها ومساوئها وأضرارها.

كما في حالة جيل الشباب، خصوصاً في زماننا هذا، نلاحظ توقهم إلى التهرّب من الواقع بالاستغراق في الخيال واللهو والطيش والمجازفة. نرى نفس الحالة خلال مجهود الإنسان اليوم الهادف إلى استكشاف القمر، إذ يجد مبرّر جديد ليترك نفسه غير مستكشفة بعد.

كانت عقيدة "ثورو" تقول بأنه أكثر أهمية بالنسبة للفرد أن يحقق نوع من الانتصار على الإرباك والفوضى بداخله، وأنه أهم بالنسبة له أن يعود ويضبط نفسه ككائن بشري بحيث يتوقف عن السعي إلى توسيع مصادره نحو مجالات ونشاطات متنوعة وعديدة والتي لن تجلب له أي رضى أو اكتفاء. لا يمكنه أن يكتفي بأي إنجاز أو مرتبة أو متعة إلا إذا نمت لديه قوة الاكتفاء الذاتي التي هو محروم منها اليوم. المسرّات الدنيوية المحيطة بالإنسان لن تجلب المسرّة إلى الإنسان إلا إذا كان هذا الإنسان مسروراً من الداخل أولاً. لا يمكن للشعور بالأمان أن يتجلى عند الإنسان الذي يكون عالمه الداخلي غير آمن. بغض النظر عن عدد الفوائد التي قد يتمتع بها الإنسان في وضعه الحالي لكنه لن يكون أكثر أماناً أو غنىً من اكتفاءه أو رضاءه الداخلي.

إنها مسألة البحث أولاً عن القيمة الحقيقية، وعلى أساسها يُبنى عالم كامل. لكن إذا بنينا عالم قبل حوزتنا على القيمة فسوف يكون هذا العالم ناقص القيمة أو حتى معدوم القيمة.

بعد معرفة أننا لا نستطيع، وربما لا نريد، التمرّد على هذه الأنماط المعيشية المختلفة، لم يبقى لدينا أمل سوى في تلك التي نسميها قوى الطبيعة. كان الكاتب "ثورو" ينتمي لفلسفة الطبيعة Naturalist بأكثر من طريقة لكن بشكل نظري فقط. كان أقرب إلى الصوفي من كونه باحث علمي تقليدي. وفي الحقيقة فإن المنطق التقليدي كما نألفه لم يكن جزءاً

من فلسفته. لقد آمن بالعيش وفقاً لنوع من الجنون السعيد بداخله، ومع تجاهل كامل لآراء الناس من حوله. وقد كان ضرورياً أن يكون لديه هذا التجاهل الكامل وإلا لما كان صمد أمام الضغوط. كانت روحه حرّة. عاش ومات بروح حرّة. كان سيّد مصيره، وقبطان سفينة حياته. كان لديه إذاً تلك الحريّة، أو تلك القدرة الغامضة على اختراق كل ما هو مزيّف ومصطنع ووهمي، وقد حاول ترك أثر لهذه الميزة لديه وأشار كم يمكن أن تكون هذه الميزة قيّمة وثمينة، خصوصاً عندما نرى جدران الزيف والوهم تعلو وترتفع في حياتنا مع مرور السنوات.

الكوخ الذي قضى فيه "ثورو" خلوته بالقرب من بحيرة "والدن"، تحولت إلى معرض يقصده السياح، وقد وضع تمثالاً للكاتب "ثورو" في الموقع تخليداً له ولتجربته المميزة

أما الطبيعة فقد وصفها خلال خلوته بقرب بحيرة "والدن" بأنها شيء محبب رغم تقلبها عبر الفصول. أحد الأمور التي اكتشفها أيضاً هو أن الانسان عليه أن يعمل من أجل أن يعيش، لكن عليه العمل بالطريقة الأكثر بساطة. وأن حاجاته الأساسية هي قليلة جداً. وأنه يستطيع في عدة أمتار مربعة من الأرض تدبير وسيلة عيش تحافظ على

وجوده. لكن جيرانه وباقي المجتمع عموماً قد يصرّون على أن هذه الطريقة في العيش هي قريبة من حياة العوز والفقر الشديد. المنطق العام يقول بأن الفرد الراضي الذي يكتفي بزراعة حاجاته من الطعام في قطعة أرض صغيرة هو بكل تأكيد إنسان فقير يخلو من الطموح.. يخلو من ذلك الدافع الذي يؤدي إلى النجاح الذي يجلب معه السمعة والتقدير. فلسفة "ثورو" بخصوص هذا الموضوع كانت بسيطة جداً: إذا أنجزت عملك بيديك وسمحت ليديك بأن تطعم جسمك فهذا يمنح عقلك الحرية لأن يطعم روحك. لكن إذا وضعت يديك وعقلك روحك ونفسك وجسدك جميعاً خلف عود الفلاحة فسوف تستطيع أن تفلح المزيد من الأثلام لكنك ستموت جاهلاً بكل شيء جيّد وثمين في الحياة. الفرد الذي يسخّر كافة مصادره ومقوماته الداخلية خلال سعيه في الحياة قد يحرز الارتقاء في الدنيا كالثروة والمكانة الاجتماعية، لكنه سيموت في النهاية جاهلاً، وهذه الحالة الأخيرة تمثل في الحقيقة أشدّ أنواع الفقر.

الفرد الذي يخلو من الأحلام فهذا يجعله فقيراً. الفرد الذي يخلو من الآمال التواقة للأمور الطبيعية في الوجود هو في حالة عوز حتماً. بالتالي، ووفقاً للكاتب "ثورو"، فقد كان معجباً بحالة الفقراء الذين يعيشون في أكواخهم حيث الشمس كانت تشرق عليهم كما تشرق على الجميع بنفس الدرجة. وكان أفضل بكثير أن يعيش الفرد تلك الحياة البسيطة والغريبة والحزينة من أن يعيش تحت سطوة وطغيان النجاح والارتقاء الدنيوي بحيث يُدفع الإنسان إلى غدر صديقه واستغلال محيطيه وتجاهل نفسه وخيانة وطنه وشعبه، كل ذلك في سبيل الدولار العظيم. الفرد الذي يعيش أدنى من نفسه لا يستطيع احترام نفسه، وعندما يخسر الإنسان احترامه لنفسه فيكون بذلك قد خسر ثروته الأعظم.

بالتالي لا بد من طريقة ما، بعيداً عن كوننا غير عمليين أو حمقى.. أو اضطرارنا مثلاً لبناء كوخ بيدينا..، لا بد من وجود طريقة تمكننا من إنقاذ الطبيعة، أو إنقاذ تواصلنا معها.

خلال سعيه إلى جواب على هذه المسألة، يذكرنا "ثورو" عن التعاليم "الطاوية" Taosim في الصين. هذا المذهب الذي يستعرض تلك القوة الرائعة للبساطة. ذلك التجريد لكل الأشياء بحيث يبقى جوهرها فحسب، والهدف هو قيام الانسان بشراء الشيء الاثمن وهو

الحياة ذاتها وليس أي بضاعة أخرى.. العملة التي يتداولها هي عملة الاكتفاء. لا يعتمد على اللهو والانحرافات المختلفة في سبيل تحقيق السلام، بل يسعى إلى إيجاد السلام ذاته. إنها تعبير كامل متكامل عن السعي لطريقة حياة مميزة.

بدأ "ثورو" بتجربة نفسية كانت بكل تأكيد قريبة من طبيعته، نادراً ما عبر عنها بكلمات لكنه طبقها في سلوكه وفي كل خطوة من مغامرته الروحية العظيمة على ضفاف بحيرة "والدن". بدأ يميّز وينبذ أثقال القيم الزائفة، وأدرك مثلاً أنك لا تستطيع تحرير نفسك عبر المزيد من العقد في حياتك. أي أنه لا يوجد وهم أعظم من ذلك الذي نخدع أنفسنا به عبر القول: *".. عندما أحقق هذا الأمر.. أو عندما أنجز ذلك الأمر.. أو عندما أجمع المال.. أو عندما أملك تلك الأشياء.. حينها سوف أستقيل من الحياة وابدأ في تطوير نفسي.."* في الحقيقة لا أحد يمكنه العيش طويلاً لتحقيق كل هذه الأمور أو حتى بعضها. لأنه خلال كفاحه لتحقيق أي من هذه الأمور يكون قد طوّر عادات معيّنة، وهذه العادات سوف تقيّد سلوكه دون شكّ. وحتى أنه قد يصبح عبداً لها. وعندما يحين الوقت لاستقالته تكون العادات قد سيطرت على طريقة حياته بالكامل. فيستمر في أن يكون ما كان دائماً لأنه فقد القوة على التغيير.

بالتالي إذا قررنا بوجوب الاستقالة فعلينا الاستقالة في البداية حيث لازلنا نستطيع التغيير. لكن هذا لا يعني أنه علينا التخلّي عن العمل، أو التوقف عن السعي لتزويد أنفسنا بالحاجات الضرورية لبقائنا. بل أقصد أن نستقيل من الوهم الذي يحكم عقولنا بخصوص مواضيع تتعلق بالمستقبل المزدهر، مثل أوهام النجاح والازدهار والثروة وغيرها، فنبدأ من البداية بممارسة تلك القيم التي نخطط في عيشها والتمتع بها عندما نصبح في سن السبعين أو الثمانين. ليس هناك أي سبب يجعلنا نُحرم من هذه المتعة قبل تلك الفترة المتأخرة من حياتنا بحيث يصعب علينا التمتع بها أصلاً. لا يستطيع العجوز المصاب غالباً بأمراض القلب أو داء المفاصل أن يتمتع بالطبيعة وهو في هذه الحالة الصحية المنهارة.

بالتالي منذ البداية وجب أن تحتوي حياتنا على المسرات التي توفرها لنا الطبيعة والتي نفتقدها اليوم. وإذا كنا محبين للطبيعة بفضل غريزتنا، يمكننا تنمية علاقات مبكرة بالجبال والأنهار والبحيرات والصحارى والشواطئ والغابات.. إلى آخره. هذه العلاقات هي أقل ما هو مفروض علينا أصلاً. لكن هناك آخرون لا يجدون العيش في الطبيعة أمراً ساراً أو ممتعاً كما هو متوقع، أو ليس في داخلهم أي ميول نحو الطبيعة، رغم أنهم بحاجة إلى هكذا نشاطات لكن يمكن التعويض عنها بالفكر والخيال. ربما بحيرة "والدن" تمثل مكان نفسي يقبع في اللاوعي لدينا. ربما خلوة "ثورو" قرب البحيرة تمثل رمزية باطنية للسرّ العميق داخل قلوبنا وأرواحنا. ربما تلك الخلوة على ضفاف البحيرة تمثل حياتنا الداخلية. بجانب هذه البحيرة يمكننا بناء خلوتنا الخاصة في مخيلتنا ونراقب دورة الحياة اللانهائية تتحرّك من حولنا.. أو بداخلنا.. تحقق كامل فصولها وظروفها وأزمانها ونوازعها. بالتالي إذاً نحن نعيش على الضفاف النفسية للبحيرة الداخلية لذاتنا الروحية. يمكننا بالتالي دراسة هذه البحيرة وأعماقها ونشاهد الحياة الرائعة التي تعيش داخلها.. يمكننا أن نرى الكائنات تعيش وتتحرّك في كل مكان، كائنات تسعى دائماً إلى تحقيق قدرها. ويمكننا أن نكون مراقبين لتحركات كبرى في الطبيعة.. في السماء وفي الأرض. يمكننا مشاهدة كل هذه الأمور بينما نحن نسعى إلى تحقيق نوع من حالة التواضع الهادئ المطمئن.. وإدراك تدريجي بأننا لسنا هنا للتغلب على الطبيعة بل من أجل تحقيقها.. وأننا لسنا هنا لكي نحرز انتصار عسكري على كوكب الأرض بل من أجل

التوصّل إلى نوع من الشراكة مع الكوكب.. وأننا هنا ليس لنكون أسياد الحياة بل أصدقاء الحياة.. وأن انتصارنا الأعظم يكون عندما نساعد الآخرين على النجاح.. وربما الانتصار الأعظم من الجميع هو عندما نساعد الطبيعة على إحراز انتصارها علينا بدلاً من كفاحها المضني البطيء، لكنه مستمر ودائم، للتخلّص من التشوهات والتلوثات التي سببناها في رحابها خلال احتضانها لنا في وجودنا الدنيوي المؤقت هنا.

أي شخص يعيش كلياً في جانبه الظاهر قد ينكر أي من مفاهيم "ثورو" غير المألوفة لدينا. أي شخص قد يشير إلى حقيقة أن الطبيعة في حالة تمدد وزحف دائم على حساب الإنسان، وأنه على الإنسان أن يحارب الطبيعة في سبيل بقاءه، لكن الأمر يعتمد على نوع البقاء الذي يقصده. إذا كان يرغب في البقاء على حساب الطبيعة فيمكنه محاربتها حتى النهاية لكنها سوف تنتصر حتماً. لكن إذا رغب في البقاء متشاركاً مع الطبيعة فيمكنه توحيد مصادره مع مصادرها فيتوصلان إلى تحقيق انتصار رائع. مرة أخرى يمكن أن يقول أحدهم أن هذا كله مجرّد نظريات غير واقعية، وأن ليس لها أي صلة بالواقع المعيشي الحالي. لكن كيف يمكن إذاً، كما يشير "ثورو"، بأن الواقع المعيشي الضاغط يؤدي دائماً إلى الموت؟ لماذا الفرد الذي يسير وفق ما يعتبرها طرق عملية ينتهي به

الأمر دائماً في البؤس؟ لماذا ما نعتبره طريق المجد يؤدي دائماً إلى القبر؟ كيف يمكننا أن نكون متأكدين من صحة طريقة حياتنا ونكون واثقين جداً من سياساتنا ومفاهيمنا العامة؟ فنحن نصحو كل يوم مرتابين منها جميعاً. نكتشف القليل ثم القليل منها له معنى حقيقي. وكذلك ينمو لدينا ارتياب من جيراننا، وشكوك متنامية باستمرار بخصوص أنفسنا. هناك خطأ في مكان ما. لا يجب أن تكون الأمور هكذا. لم تكن الغاية عذابنا المستمر عبر كل هذه السنوات.. وخضوع مستمر لحالات الخصومة والعداء والنزاعات على أنواعها.. نربط تاريخنا الوطني بالحروب.. نربط حياتنا الشخصية بالأحزان والصراعات. ما هو السبب؟

ربما قد يجيب الكاتب "ثورو": لأنه كل منا قد تجاهل شيئاً. وذلك الشيء الذي تجاهلناه هو، كما يقول الدينيين، التراجع والاختلاء. الاختلاء هو العودة إلى السكون. لا بدّ لكل إنسان، مرّة واحدة في حياته على الأقل، أن يختبر هذا السكون. عليه أن يستشعر أصله الحقيقي داخل طبيعته. عليه البدء بإدراك أهمية العلاقة الصميمية مع القيمة. خصوصاً تلك القيمة الكامنة بداخله. نلاحظ اليوم المزيد والمزيد من الناس يمارسون الاختلاء الديني. هذه الممارسة تظهر في الكثير من المذاهب والطوائف. قد يتجلى هذا الاختلاء من خلال الذهاب لبضعة أيام إلى مقام ديني معيّن أو منطقة مقدسة أو غيرها. وهناك من يبقون لفترة قصيرة هادئين بعيداً عن العالم المتحضّر وضجيجه. ممارسة الاختلاء هذه ليست بهدف إهمال الواجبات اليومية إلى الأبد بل من أجل إيجاد طريقة معينة لإعادة اكتشاف إمكانية إحداث حالة رضى داخلي في الفرد، أو إمكانية اختبار مدى قوة الحياة الداخلية المتكاملة. وفي هذا الاختبار وجب أن تكمن بداية تصحيح شرور ومساوئ زماننا.

إلى أن نبدأ في التحلّي بالقليل من الإيمان بحياتنا الداخلية أو القليل من الرؤيا بخصوص الجانب الأبدي داخلنا، سوف نستمر في هذه الدورة الرهيبة من الفوضى والمنافسة والتناحر والنزاعات على أنواعها. لابد من حصول نوع من إعادة التوجيه بحيث نكتشف أين تكمن آمالنا بخصوص القيمة والأمان الحقيقي. هذا الأمان الذي أقصده لا يأتي إلينا عبر حساباتنا المصرفية أو ودائعنا المالية، بل عبر قدرتنا على

البقاء بعيداً عن تلك الأشياء التي نعتبرها أساسية وحتمية. في الطبيعة من حولنا نشاهد دائماً قوة الفرد في مملكة الحيوان. هذا الحيوان لا يعرف بأنه قوي، لكن قوته مدعومة من قبل غريزة أقوى من الحياة ذاتها. هناك في الغابة أو البريّة عموماً، نجد الحيوان الأنثى تتحمل أعباء صغارها لوحدها. ونلاحظ بأن الخوف معدوم من قاموسها، لكن معظمنا يخطئ في اعتبار الحذر الذي تظهره بأنه خوف. في العالم الوحشي الذي تعيش فيه هذه الأنثى ليس هناك طبيب يداويها، ولا هناك مجتمع ليحميها، ولا أحد يأبه بشأنها أصلاً. لكن رغم ذلك، نجد أنه بطريقتها الهادئة الخاصة تمارس ذلك السرّ الذي خُلقت من أجله. فتستمرّ في رعاية صغارها في بيئتها المتوحشة تلك. وحتى في تلك البيئة المتوحّشة نادراً ما يصيبها حالات مثل القلق أو التوتر أو غيرها من حالات نألفها نحن، لأنها تتوقع الخطر دائماً لكنها مستعدة لمواجهته دائماً. مهما كان هذا الخطر فهي تواجهه بنفسها. ليس ممكناً لها الاتصال بالشرطة، أو مناداة من ينجدها، أو تعتمد كلياً على مجتمع محيط ليتسابق إلى المكان ويحميها. هي وحدها.. وفق طريقة حياتها الخاصة.. عاشت وفق هذه الحالة طوال ملايين السنين.. محافظة على نوع فصيلتها.. واستمرّت أجيال فصيلتها المتتالية منذ الأزل.. كل هذا دون حاجة إلى مدن كبرى.. دون حاجة لمؤسسات عظمى.. فقط بدافع غريزة غريبة.. وهذه الغريزة أكثر أهمية من أي منهج تعليمي أو ثقافي.. لأنها مغروسة بعمق في الجانب الباطني لهذا الحيوان.

لا يمكننا العودة إلى طريقة الحياة المتوحشة للحيوانات، لكن يمكننا من خلال دراسة هكذا ظواهر طبيعية استشعار حقيقة أننا نعيش في حالة ضعف دائمة ناتجة من الاعتماد الدائم على مصادر خارج أنفسنا.. وحتى أننا لم نتعلم كيف نفكر بأنفسنا.. ولا حتى التخطيط لنشاطاتنا اليومية المناسبة لنا.. ولا حتى نستطيع تنفيذ واجباتنا الحياتية دون إرشاد خارجي.. في كل جانب من حياتنا نحتاج إلى مساعدة أو دعم ومساندة. بينما في الطبيعة يوجد نشاط مباشر ورائع في استقامة توجهه. نشاط يكشف عن حقيقة أن كل كائن له طريقة بقائه الخاصة. بعد أن نتخلى عن أنانيتنا وتعجرفنا وحمقنا لا بد من أن نسلّم يوماً بحقيقة أن كل فرد منا يمثل طبيبه الخاص، كل فرد يمثل معلّمه الخاص، بداخله يقبع عزاءه الوحيد وملجأه الآمن. هذه الحقيقة لا تنكر دينه بل تكمله. هذه الحقيقة لا تفصل الإنسان عن أخيه الإنسان بل تدفعه إلى لقاء أخيه في مستوى أعلى من الفضيلة والقيمة. الفرد المتكامل من الداخل يلتقي بأخيه دون جشع أو طمع. عندما نجد الأمان بداخلنا لم نعد بحاجة للإسراع إلى الآخرين بحثاً عن دعم لصعفنا. بل نذهب إليهم لنشاركهم قوتنا.

في هذا الاعتماد المستمر على الناس، والذي نسميه عناية أو تقدير متبادل، هو ليس سوى أنانية مطلقة. نحن نعتمد على الآخرين لنستمد القوة والقيم التي فقدناها في أنفسنا. لكن من أجل إعادة إيجاد هذه الأشياء في داخلنا مرة أخرى، ولكي نجعلها حقيقية في غاياتنا، علينا بناء كوخ صغير على ضفاف بحيرة "والدن". بعدها نبدأ في التفكّر بقيم الحياة ذاتها. ربما تستطيع الطبيعة أن تظهر لنا تلك القوة الرائعة لحتميتها المتدفقة أبداً، تقول لنا بأننا نعيش في كون أقوى مما نعرفه.. وأن الكون من حولنا لم يقرّ بالضعف.. وأنه لم يخلق تلك الآفات التي نعاني منها. الكون والطبيعة والعالم من حولنا، كل هذه الوحدات العظيمة لا تمنح سوى كل ما هو ضروري وأساسي.. في كل مكان نجدها منتجة للوفرة العقلانية. والإنسان، من خلال استخدامه المعتدل لتلك الوفرة والفرص المختلفة، يعيش في كون يستطيع توفير كل ما يحتاجه لأمانه واطمئنانه. لكن بدلاً من الاستمرار بهذه الحياة البسيطة والمستقيمة، قام الإنسان بتغيير وجهة نظره، ونسي أن الطبيعة تدعم الحياة لغايات معيّنة. وهذه الغايات تهدف إلى تقدم الطبيعة وإلا سوف تعود الطبيعة لتنتقم من كل من حاول تحريف طريقتها.

من الطبيعي والسليم أن يعيش الإنسان ويسعى إلى إحراز القيم، وفي زمن الكاتب "ثورو" كان الناس يعملون من الفجر حتى الغروب، وأحياناً يعملون طوال الليل حتى الفجر. كانت حياة الفلاح في تلك الأيام تبدأ في الساعة الثالثة أو الرابعة من فجر كل يوم وينتهي يومه عندما يكون الظلام شديداً لدرجة لم يعد قادر على رؤية ماذا يفعل. ثم يمضي سهرته القصيرة في المنزل إذ قد يقرأ في الكتاب المقدس إذا كانت الأسرة متديّنة. لكن السهرة تكون قصيرة على أي حال لأن الشمعة لا تدوم طويلاً، وكانت الشمعة في تلك الأيام ثمينة، وبالتالي وجب عدم الإسراف. وهكذا من أجل مردود قليل جداً كان الناس يعملون. ومعظم الفلاحين في زمن "ثورو" كانوا يعملون في حقول لم يسددوا ثمنها كاملاً بل بالتقسيط، وقد تستغرق فترة تسديد كامل الثمن أكثر من ثلاثين سنة.

لكن كل هذه الأمور والظروف قد تغيّرت الآن في عصرنا، لقد تخلّص الإنسان من هذا النوع القاسي من المعاناة. لقد أشار الكاتب "ثورو" إلى هذه المعاناة الرهيبة، حيث وصف كيف كان الإنسان يجوب الأرض مع حقله المعلّق حول رقبته كما حجر الطاحون، والذي يثقل كاهله من المهد إلى اللحد.. ثم يترك هذا الحمل الثقيل كميراث لأولاده وغالباً ما يكون مرفقاً مع ديون وجب سدادها. لكن حالة الإنسان قد تحسنت منذ ذلك الزمن، فاليوم يعيش بشكل أفضل كما أنه يملك أكثر، اليوم يتمتع بحريّة أكثر وفسحة أكثر من الوقت والفرص المتعددة. ساعات العمل لديه محدودة. والآن لديه يومان كاملان في كل أسبوع يتفرّغ فيهما لأهوائه الخاصة. لكن رغم قصر ساعات العمل وزيادة حريته إلا أنه لم يخرج بأي نتيجة مجدية بخصوص تطوير نفسه.

إذا عدنا إلى كتابات وأعمال الناشطين الاشتراكيين التي تعود إلى بدايات القرن الماضي في الدول الغربية سوف نشهد في تلك الفترة حركة كبيرة ضدّ طغيان الرأسمالية واستعباد العمال حيث كان يوم العمل يدوم من ١٢ إلى ١٤ ساعة. كان الناشطون يقولون في كتاباتهم، وبكل تفاؤل، "عندما تتقلّص ساعات العمل بحيث يصبح للعمال عشر ساعات أو ثمان ساعات عمل وعبر خمسة أيام في الأسبوع، وهذه التواقيت كانت تمثل حلم كبير في تلك الفترة، حينها فقط يمكن أن نشهد ظهور الله في روح أولئك المساكين المستعبدين، وبهذا الوقت الإضافي من الحرية سوف نعيد بناء العالم، وتنتهي الحروب

وتزداد الصداقات، لأن الفرد الذي يكون لديه ساعة إضافية من الحرية يومياً سوف يقضيها وهو يحسّن نفسه في القراءة والدراسة ومساعدة جاره وفعل كافة أنواع الأمور الرائعة، فتتجلى لديه الموسيقى وكذلك الفن والأدب والسفر والمغامرة، وسوف يكون لديه سنوات طويلة إضافية للتأمّل والتفكّر.. إلى آخره. لكن في الحقيقة، هؤلاء النشطاء الاشتراكيين لم يعلموا حينها بأن الإنسان بعد اكتسابه المزيد من الحرية في حياته اليومية سوف يقضيها عالقاً في ساعات طويلة من زحمة السير أو جالساً أمام جهاز التلفزيون أو غيرها من أمور ليس لها أي جدوى أو معنى ذو أهمية.

وهكذا فقد تم تقليص ساعات العمل يومياً وكذلك أيام العمل أسبوعياً، لكننا حتى الآن لم نرى الكائن البشري يستفيد من هذه الفترة الإضافية من الحرية لتحسين نفسه بأي شكل من الأشكال. والسبب هو أنه لم يقف بعد وجهاً لوجه أمام الحقيقة الجوهرية للحياة، لم يتوصل إلى إدراك حقيقة أن الإنسان هو مخلوق مميز وفريد بحيث أنه قادر أن يكون أفضل من مجرّد قندس beaver (حيوان)، وأن له مصير منفصل تماماً عن ذلك المصير المحتوم للحصان أو الثور الذي يجرّ عود الفلاحة. وأنه قادر فعلياً أن يكون كائن السماء، كائن الأحلام والآمال والحياة الداخلية. وأنه قادر على نوع من الخلق بحيث يمكن أن يتكشف لديه الجانب الأعمق والأغنى من روحه. لكنه بكل بساطة لم يكتشف هذه الحقيقة الرائعة بعد. والقليلون الذين اكتشفوا هذه الحقيقة الرائعة أصبحوا هم الحالمين الأحرار لعالمنا. بينما بالنسبة للأكثرية المتبقية فليس لديهم أي تصوّر آخر غير أنه ليس للإنسان أي مصير مختلف عن مصير الدودة في هذا العالم. نحن اليوم نسعى لأن نكون دودة خارقة فحسب، قندس خارق، ثور خارق ، وبهذا نحن مكتفون!. تبيّن أننا رغبنا في اكتساب المزيد من الوقت الإضافي في حياتنا فقط من أجل إضاعته في الخمول واللهو وذلك على أساس أن الخمول والبلادة واللهو والطيش تمثل جميعاً البرهان النهائي على النجاح والتقدم والارتقاء والرخاء.

"ثورو" لم يؤيد أو يمارس أي استقالة دائمة من أي نوع، كان عملياً في حياته وبالتالي لم يستقيل منها أبداً. خلال سنتين وشهرين ترك خلوته على ضفاف بحيرة "والدن" ولم يعود إليها مرة أخرى. لقد أنهى تجربته بالكامل. لكن أثبت من خلال هذه التجربة حقيقة أنّ

الإنسان بالكاد يضع قدميه على الأرض بينما معظم كيانه يقبع فعلياً في السماء. وأن تلك الأمور التي تربطه بالأرض هي متجلية في الطبيعة من حوله بطريقة غريبة لا يمكن استيعابها بتفكيره الحالي. كل تحريض أو دافع منح للإنسان كان يهدف لتحريره، كان من أجل منحه حقه في النمو للأعلى نحو نور المصير الذي خُلق أصلاً لإحرازه. الطبيعة لم تخاصمه أبداً، وهي لم تقول له بأن عليه أن يعمل ويشقى بكدّ من المهد إلى اللحد. الطبيعة وفرت له نموذج غني ووفير يمكنه من تأمين حاجاته والتقدم نحو تحقيق غاياته. لكن الإنسان قام بتحديد غاياته وتقليصها، بحيث تمكن فقط من تقسيم وإعادة تقسيم كوكب الأرض. هو لم يجد بعد ذلك الدرب المؤدي إلى مصيره الحقيقي. هو لم يشعر بعد بوجود تلك القيم الحقيقية الكامنة بداخله. كل هذه الأمور تتطلب الانخراط في طريقة حياة جديدة ومختلفة. وهي طريقة حياة غريبة على الإنسان العادي. لكن من خلال الاتصال مع طريقة الحياة هذه، والتي هي أكبر وأعظم بالمقارنة مع حياته العادية، سوف يتوصل حتماً إلى إدراك مصيره الحقيقي.

الإنسان يمثل جزء من منظومة كونية هائلة، وإنه من صالحه أن ينمو بالتوافق مع هذه المنظومة وليس بالتناقض معها. ولا يجب أن يكافح بهذه الطريقة من أجل البقاء. السبب الوحيد الذي يدفعه للكفاح هو لأنه خلق معايير خاطئة للبقاء والتي تتطلب صراع دائم وأبدي. بالتالي عليه اتباع مسار مختلف تماماً ويكون أكثر جدوى ويمنح معنى أكبر لحياته. إذا أمكنه اكتساب ما سماه الفيلسوف الصيني "لاوتزو" حاسة "**تاو" tao**، أي الإحساس بحركة الطبيعة، الإحساس برقصة الحياة. الحياة هي حركة جارفة عظيمة، وهذه الحركة يمكن إدراكها ببساطة بحيث أنه حتى الطفل الصغير يستوعبها ويدركها. لكن الأمر الغريب والغامض هو أن مجريات حياتنا اليومية تساهم في تدمير هذا الإدراك بداخلنا. تجعلنا نفقد الاتصال المباشر بهذه الحركة. لقد نسينا تماماً عجائب الطبيعة، وأصبحنا مستحوذين تماماً من قبل العجائب الوهمية التي خلقناها بأنفسنا. لازلنا مثلاً مهووسين بفكرة أننا سنصل قريباً إلى القمر وسنستكشفه، لكن بجانبنا تقبع نبتة في شرفة منزلنا تستعرض يومياً عجائب ومعجزات أكثر عظمة وأهمية لنا من استكشاف القمر.

نحن نتهرب دائماً من الحاجة إلى تقدير القيمة. **إذا كانت توجهاتنا صحيحة فلماذا لم تؤدي إلى حلول مناسبة لكل المصائب والحالات الشاذة التي تسود عالمنا اليوم؟** لو كانت توجهاتنا صحيحة فعلاً لأدت في النهاية إلى حلول جذرية لكنها ليست كذلك. توجهنا في الحقيقة لا يؤدي إلى أي مكان. نحن ننجرف مع تيار يملأه المحن والشدائد والمصائب التي تتعاظم وتطبق علينا تدريجياً.

نحن الآن نكافح مع حلول ميكانيكية لتصفية وتهوية الحياة النفسية للإنسان. الأمر الوحيد الذي يطرأ في ذهننا هو التخلّص من الضغط عبر فتح صمام الأمان (كما في طنجرة الضغط). يمثل صمام الأمان في هذه الحالة إما التحليل النفسي أو ساعات وساعات من رواية مشاكلنا لمحلّل نفسي يتقاضى مبالغ كبيرة مقابل كل ساعة استماع. بهذه الطريقة، إذا لم نتخلص من مشاكلنا فسوف نتخلص على الأقل من الأموال التي كسبناها في أعمالنا. وفقاً لمعايير الوضع الراهن تُعتبر هذه طريقة جيّدة للعلاج النفسي لأنه ليس لدينا أي حل آخر نلجأ إليه. هذه الطريقة خدمت الكثير من الناس. لكن إذا قلت لأحد المهندسين الميكانيكيين بأن الطريقة الوحيدة للتخلّص من الضغط في الغلاية لمنعها من الانفجار هو فتح صمام الأمان فسوف يعارضك ويشير إلى وجود طريقة أخرى أكثر أماناً لكن لم يفكر فيها أحد. هذه الطريقة تتمثل في الإبقاء على انخفاض الحرارة التي تسخّن الغلاية. هذه الفكرة لم تخطر في بالنا أبداً. الغلاية لن تنفجر أبداً إلا إذا أشعلنا النار تحتها. بهذه الطريقة يمكننا التخلّص من كافة المشاكل المتعلقة بالضغط وصمام الأمان وغيرها من إضافات غير لازمة أصلاً. فقط علينا عدم السماح للبخار أن يتكاثف بدرجة قصوى. هذه الطريقة أكثر أماناً وبساطة وتتطلب نسبة أقل من الرقابة والاحتراس.

بنفس الطريقة الموصوفة في الفقرة السابقة، فإنه أفضل في حياة الإنسان النفسية أن نحافظ على درجة حرارة معتدلة تمنع الضغط من التكاثف والانفجار. لكن ما هو أفضل من ذلك كله هو عدم خلق البخار أصلاً في حياتنا النفسية لمنع أي إمكانية تكاثف وانفجار. مهما كانت الطريقة التي تتبعها العلاجات اليوم، أي طبيب يقول لك بشكل بديهي أن الجسم السليم هو أفضل بكثير من الجسم الذي يتطلب علاجاً من مجموعة

أمراض. والجسم الذي لم يمرض من قبل أبداً يبقى أفضل بكثير من الجسم الذي جرّب المرض حتى لو بدى بأنه سليماً معافى. هذا يعني أن للوقاية أهمية كبرى في حياتنا، والوقاية من التوتر النفسي تأتي فقط من إجراء واحد وهو إعادة تنظيم علاقتنا مع حياتنا الداخلية التي تتحرك عبرنا ومن خلالنا بشكل دائم ومستمر.

هذه الحياة الداخلية لها مواسمها وتياراتها، ومدها وجزرها، وكما باقي مظاهر الطبيعة الأخرى، هي خيّرة بطبيعتها لكن تحت تأثير قوى وضغوطات معينة تبدو ظاهرياً بأنها شريرة. هذا بالتالي يجعلها تبدو شريرة ليس لأنها كذلك فعلياً بل بسبب سوء تفسير الإنسان الموهوم أصلاً بقناعات مزيّفة بخصوص الخير والشر. إذا كنا قادرين على إعادة تنظيم هذا العالم الطبيعي بداخلنا فسوف لن نبقى متعاملين مع شيء رمزي بل مع واقع حقيقي عظيم جداً. وفي الحقيقة، في يوم من الأيام سوف نكتشف بأنه بإمكاننا تغيير توجّه إدراكنا الحسي بحيث نستطيع تحويله إلى الداخل وليس إلى الخارج كما هو الآن. حينها سوف نكتشف في أنفسنا ليس مجرّد حفرة في الظلام بل أفق هائل ومشهد عجيب للامتدادات الكونية. سوف نكتشف بأنه كما نستطيع الآن النظر بعيداً عبر أفق ممتد أمامنا فيه أشجار وأنهار وجبال، كذلك الحال أيضاً نستطيع النظر بداخلنا عبر أفق ممتد إلى عالم طبيعي لانهائي في امتداده. سوف ندرك بأنه ما من شجرة أو عشبة خارجنا ليس لها نوع من الرديف الرمزي في عالمنا الداخلي الخاص. الطبيعة حولنا والطبيعة بداخلنا تشكلان معاً نوع من المشاركة الحميمية، وعندما يحدث هذا التناغم بين الداخل والخارج يصبح الإنسان في حالة سليمة، وعندما تشكّل كل من الطبيعة بداخله والطبيعة خارجه نوع من الغاية الموحّدة فسوف يكون ذلك الفرد بحالة انسجام كامل، وفي هذه الحالة المتناغمة يستطيع تحقيق أعظم الإنجازات التي يمكن للإنسان تحقيقها. من بين هذه الإنجازات نجد هدوء وتيرة حياته وتقدمه في تحقيق تلك المشاريع التي تكون مخصصة لفصيلته. لا يمكن للإنسان أن يكون سعيداً إلا بعد استخدامه للقوى التي يحوزها، وإلا بعد أن يستخدمها كما قُدر لها أن تُستخدم. لا يمكن للإنسان أن يكون سعيداً إلا بعد استخدامه لذلك الجانب منه الذي ليس حيوانياً.

لا يمكن للإنسان أن يكتفي أو يرضى فقط لأنه يقلّد إحدى الحشرات المنتجة أو أحد الحيوانات المجتهدة. لا يمكننا إيجاد أي منظمة سياسية أو اجتماعية في العالم أفضل من تلك التي صنعها النمل. ولا يمكننا إيجاد مجتمع كامل متكامل كذلك الذي للنحل. لكن الإنسان ليس نملة ولا نحلة بل يمثل شيء آخر مختلف تماماً. لم ينجح أبداً في تحقيق مصيره عبر التقليد أو تحسين طريقة حياة غريبة عن تلك المقدّرة له، أي وجوده على الأرض، وبالتالي عليه وضع أساسات دنيوية مناسبة لحاجاته الخاصة. لكن دنيويته بالكامل والتي هي ملازمة بالأرض هي لغاية واحدة تتمثل في المحافظة بداخله على انسجامه المتناغم الرائع والمجيد مع السماء والكون. حتى يبدأ الاهتمام بعظمته عليه أولاً التخلي عن صغره. حتى يجد غايته الحقيقية في الحياة سوف لن يكون كائناً مكتفياً وراضياً.

ننظر إلى المراهق وهو يجاهد في سبيل اختيار مهنة مناسبة في هذا المجتمع المتنوّع بشكل كبير والذي نمثل جزء منه. نحن نؤكّد له دائماً بأنه لكي يكون مقبولاً في المجتمع عليه أن يجد وظيفته المناسبة والتأقلم معها وبناء منزله الخاص والاستقرار، وأن يكون مواطناً صالحاً، وحينها فقط تكون الحياة سهلة بالنسبة له. هذا عبارة عن تفاؤل مبالغ به رغم وجود نسبة من الحقيقة في المسألة. الإنسانية جمعاء سوف تصاب بحالة عدم يقين إلى أن تتجاوز سن المراهقة وتجد وظيفتها الحقيقية.

آمن "ثورو" بأنه فقط وفق منظورية الطبيعة يستطيع الإنسان تلقي الرؤية أو الفطرة المناسبة التي تمكنه من معرفة هذه الوظيفة الحقيقية. لقد عرف كما نعرف الآن بأنه كلما زاد وعظنا للشخص يزيد نفوره منا، أنت لا تستطيع فرض وظيفة على أحد دون خلق حالة نفور بداخله. بالتالي عليه أن يستكشف، وذلك عبر الاقتراب من شيء أكبر منه. عليه أيضاً الاستكشاف عبر جلبه إلى وعي أكبر حجماً من طريقة حياته الحالية والتي من الواضح أنها ليست كبيرة بما يكفي. لا يستطيع الاستكشاف من خلال وضعه في وسط عالم مصنوع من قبل الإنسان والذي هو بدوره ينهار أصلاً. عليه أن يستكشف من خلال وصوله إلى إدراك حقيقة أن الأشياء المصنوعة إنسانياً هي مجرّد حوادث عرضية في رحاب مخطط عظيم مصنوع ربانياً. عليه أن يقترب من ذلك المخطط

الرباني بأكبر درجة ممكنة. آمن "ثورو" بأنه في الطبيعة، وبالاشتراك مع الطبيعة، وقف الإنسان وجهاً لوجه مع الكبر والعظمة، مع تعليمات غير مكشوفة على شكل مواعظ محكية، مع تساهل وتسامح غريب ورائع للطبيعة، وقد وجد أيضاً بأن الطبيعة بكل وسائلها وأساليبها هي أكثر حكمة من الإنسان.

الطبيعة لا تفرّق بين الفصائل أو الأعراق أو الطبقات الاجتماعية أو المذاهب أو الأحزاب أو غيرها.. بل هي تخدم كافة مخلوقاتها، وتزوّد كل منها بأدوات وغرائز خاصة تتناسب مع أفضل توقعات بقاءها.

الطبيعة أيضاً تكافئ البصيرة والنمو، وتعاقب الكسل والبلادة. كما أنها ترقّي بشكل غريب مصائر تلك الأشياء التي تكافح بصدق لاستخدام القوى والملكات المختلفة التي تحوزها. الطبيعة أيضاً منحتنا بصيرة داخلية وقوة الحلم وملكة الأمل وخيال رائع يتغذى على المجد والنبل، منحتنا الطبيعة كل هذه القوى لكننا لم نستخدمها ولم ندرك علاقتها بحاجاتنا، ولهذا السبب تم معاقبتنا. عوقبنا على فشلنا في استخدام الملكات والطبائع المصنوعة خصوصاً لنا، ولهذا فنحن نتحمل مسؤولية خاصة في هذا المخطط العظيم للخلق. الطبيعة لم تخلق الاشياء فقط هكذا دون غاية أو هدف. مع تحقيق كل مخلوق غايته الخاصة فهو بذلك يدمج تلك الغاية مع الخير العام لباقي مخلوقات الطبيعة. بالتالي إذا فشل أي من المخلوقات في تحقيق غايته فيكون بذلك قد عوّق مسار الطبيعة وكذلك وانحرف عن مسار النجاح العام الذي خططته الطبيعة.

على ضفاف بحيرته الداخلية، بعد إدراكه لعالم حقيقي وعملي، عالم من العجائب وأكثر إعجازاً من المعجزات، عالم من التحديات، عالم من البصيرة وبعد النظر، أصبح بإمكان الإنسان أن يرتاح تدريجياً من العبادة الخاطئة لإنجازاته المزيّفة والعودة مرة أخرى إلى الاعتراف بشراكة بسيطة مع الحياة ذاتها. من هذه الشراكة لا بد أن تأتي السعادة والصحّة والتأقلم وإعادة الاندماج.. لا بد أن تأتي كل تلك الأشياء التي لصالحنا. ومن خلال اكتشاف وإدراك وتحقيق هذه المتطلبات في طبيعتنا يمكننا الخروج بقرارات شخصية ذات أهمية كبرى وقيمة أكثر رسوخاً. قبل أن يأتي الوقت الذي نجد فيه خلوتنا الخاصة بداخلنا، نلاحظ في الطبيعة بأننا أصبحنا مدركين بشكل فطري بأن مصادر

معينة من الملكات والإدراكات والتأملات تُستثار بداخلنا بشكل تلقائي ودون أي تحفيز إرادي من قبلنا.

الطبيعة ليست متشددة وحازمة، فهي لا تقول لنا مباشرة بل تستعرض لنا وتجعلنا نرى بطريقة غير مباشرة. الطبيعة لا تخلق مواقف أو حالات اصطناعية، أو تعرضنا لسخرية مبادئها وغاياتها المختلفة. الطبيعة تستدرجنا، بهدوء ولطف ورقة وصبر كبير، نحو اكتشاف أسرارها. الطبيعة هي رصينة ومتعقلة دائماً وأبداً، رسالتها بسيطة وواضحة جداً لدرجة أن كل من الطفل البسيط والحكيم الأكثر حصافة يفهمان دروسها. إن عمومية تعليماتها متوفرة للجميع، لكل من هو مستعد لتقبل حقيقة وجود شيء أكثر عظمة وقوة منه. إن اختبار هذا القبول تحديداً يمثل بداية تجلي الحكمة في الفرد. هذا الاختبار يجعل الفرد أكثر هدوءاً وأكثر لطفاً، خصوصاً بعد محاكاته طرق الطبيعة التي هي الأكثر تسامحاً في الوجود وبنفس الوقت هي الأكثر يقيناً وتصميماً بخصوص القيم الحقيقية.

إذا استطاع الإنسان، بعد دمج حياته الخارجية بالداخلية، أن يستكشف الطبيعة بذاتها فسوف يجد فيها الهدوء والسلام اللذان وجدهما "ثورو" على ضفاف بحيرة "والدن".

لن يكون الإنسان سليماً معافى، ولن يقدر الاستمرار حاملاً أعباء هذه الحياة بكرامة ونجاح، ولن يكون حكيماً أو خيّراً أو متكاملاً إلا إذا استطاع مواجهة حياته الداخلية دون خوف. عليه أن يتمكن من الاختراق إلى الجانب الداخلي من الوعي لديه ويجد هناك الحركات الطبيعية للطبيعة. وجب أن تكون حياته الداخلية كما الحديقة الجميلة المليئة بالأفكار والذكريات السعيدة، وتحتوي فقط على الزهور المناسبة للفصول المختلفة، حينها لا بد من أن يكون الإنسان مكتفياً وراضياً بوجود هذه الحياة الداخلية. طالما بقي مضطراً إلى خوض الاختبارات النفسية المختلفة لمعرفة إذا كان مهووساً أو مجنوناً أو مصاب بعقدة نفسية معيّنة أو انفصام في الشخصية.. فهذا التوجه الخاطئ للتعامل مع حياته الداخلية لن يجدي نفعاً أبداً. كلما ننظر إلى الإنسان العصري فنحن بذلك نرى كائن مختلّ نفسياً. لم نسأل أبداً إذا كان الفرد سليماً من الداخل لأننا نعرف مسبقاً بأنه ليس كذلك. عندما نراقب سلوكه نبدأ بالتساؤل تلقائياً بأي من الحالات النفسية العديدة مصاب

هذا الفرد، أو هل هو مصاب بمجموعة حالات مرة واحدة. نحن نستغلّ حقيقة أن الإنسان مريض داخلياً. كما أننا لا نثق أو لا نصدق بأن أحداً خالي تماماً من العقد النفسية. هذه ليست الطريقة التي يمكن أن تؤدي بنا إلى النجاح النهائي. إن استمرارية هذه الحالة تمثل فشلاً كلياً بالنسبة لنا ولفصيلتنا البشرية. بالإضافة إلى أننا لا نستطيع شق طريقنا بالقوة عبر هذه المشكلة الكبيرة. لا يمكننا معالجة هذه المشكلة مثلاً عبر الطلب من المحيطين بنا أن يتقبلوا عيوبنا المختلفة عبر تمتعهم بالصبر. قد نجد أشخاص لطفاء لدرجة أنهم يتحملون وضعنا وحتى يضحون بساعدتهم في سبيل تحمل شذوذنا العاطفي والعقلي لكن هذا لن يحل المشكلة. الحل يكمن فقط في إعادة الصحة والاستقرار إلى جانبنا الداخلي. وهذه العملية الأخيرة مُعبر عنها رمزياً في قصة "والدن" حيث نجد فيها الكاتب "ثورو" يجلس بهدوء على ضفاف البحيرة.. هادئ جداً وسعيد جداً ومستغرق جداُ في قبول الحياة أكثر من أي شيء آخر. كل ما يرغب فعله هو السماح للطمأنينة الرائعة للطبيعة والغاية الهائلة للحياة أن تتجليان في مشاعره وتُختبر وتُدرك ليكتشف فجأة الخير المتجلي في العالم، فيكتشف بالنهاية أن كل ما نعتبره شرّ هو مجرّد عدم قدرتنا لرؤية ذلك الخير. ومن هذا الاختبار، هذا التقبل للقيمة، نجلب إلى داخلنا للمرة الأولى مبدأ الصحّة الحقيقية. الصحة الحقيقية تأتي من البهجة.. تأتي من الاكتفاء.. والاكتفاء والرضى يمثلان الهدف النهائي الذي وجب على حضارتنا السعي لتحقيقه. نحن مستعدون لدفع أي ثمن مقابل هذا الهدف النهائي إن كان بالمجهود أو التضحية. لكن تقديم المجهود والتضحية دون إدراك الاكتفاء والرضى لا يعتبر أمر سليم. ولا نستطيع أن نوهم أنفسنا من خلال اختبار بهجة مؤقتة في يوم أو اثنين حيث تبدو الأمور بأنها تحسنت، فهذه ليست اكتفاء ورضى بل مجرّد فترة سعيدة عابرة يمكن أن تجرفها ليالي لاحقة من الحزن والكرب. نظن بأن الأمور تحسنت وأصبحت حياتنا رائعة لكن فجأة ينهار كل شيء. هذا ليس الحلّ النهائي للمشكلة، حيث بالصدفة نبدو بأننا سعداء لفترة وجيزة. الحل الحقيقي يكمن في إعادة اكتشاف علاقتنا بالطبيعة، وأعتقد أنه وفقاً لوصف "ثورو" الذي تحدث عن الإدراك لحقيقة أن علاقتنا بالطبيعة تهدف لغاية واحدة فقط وهي تزويدنا بالوسائل التي تمكننا من تجاوز المظاهر المادية للحياة. أن لا نبحث عن هدفنا في صناعاتنا المتقدمة بل في الطبيعة التي تشمل كافة العوامل التي تجعل الحياة الداخلية للإنسان جميلة. في اللحظة التي تنحرف تلك العوامل عن هذه

الغاية الأساسية حيث تسلب الإنسان سلامه وسعادته الداخليتين فتصبح هذه العوامل مزيفة وخاطئة. وفي الحقيقة لا يمكن لعوامل الطبيعة أن تخطئ بل سوء استخدامها وسوء فهمها من قبلنا هو الذي يخلق الخطأ.

كل مصلحة للإنسان تبقى خيّرة إلى أن يحصل انزعاج من قبله تجاهها. كل ما نفعله لا يمثل غاية بذاتها حيث الغاية الحقيقية تتجلى من خلال ما نفعله لنصبح كائنات متكاملة. وفي تكامل كينونتنا نحوز على تكامل حكمتنا وتفهمنا ومحبتنا وصحتنا وسلامنا وعقلنا وروحنا وإيماننا وفلسفتنا. إلى أن تكتمل هذه الأمور، وهذا ما نسعى لتحقيقه أصلاً، سوف لن نحصل على الأمان الذي نتوق إليه. بالتالي على كل منا أن يختبر هذه التجربة الروحية، أي الاختلاء في غابة حياتنا النفسية، لإيجاد – مرة أخرى – تلك الروابط التي تصلنا بالمطلق [جلّ وعلا]، مدركين بأننا كائنات إلهية مقدسة في منزل من طين، وأنه علينا جعل هذا المنزل أجمل ما يمكن وأكثر حكمة، لكن الإنسان لا يعيش من أجل هذا البيت الفاني بل هذا الأخير موجود من أجل خدمة الإنسان. فهو لا يعيش من أجل مجد الامبراطوريات والأنظمة الاقتصادية والصناعية والسياسية، بل هي موجودة أصلاً لخدمة الإنسان. إذا خدمته فهي خيّرة لكن إذا استعبدته فهي خاطئة. على كل فرد أن يحرر نفسه من عبودية العالم الذي صنعه بنفسه. لكن من أجل فعل ذلك عليه العودة إلى العالم الحقيقي.. إلى العالم الطبيعي الذي لم يصنعه.. العالم الذي أضاعه ونسيه خلال انشغاله بابتكاراته الدنيوية التافهة. إذا استطاع الإنسان تحقيق هذا الإنجاز فيكون قد حقق روح الفكرة التي أراد "ثورو" توضيحها للجميع.

النشوء والعيش في الطبيعة

وارتباطه بفكرة البشر المتوحشين

بسبب التوجيه الخاطئ الذي تعرضنا له، ربما الصورة التي تتكون في أذهاننا بخصوص العيش في الغابة، أو البرية عموماً، سوف تستحضر أولئك الأطفال الذين قرأنا عنهم أو سمعنا عنهم والذين نشأوا في البرية لوحدهم لكن تحت رعاية الحيوانات، وهذه بكل تأكيد تمثل صورة مشوهة للإنسان الطبيعي الذي ينشأ ويعيش في الطبيعة.

أول ما وجب معرفته بخصوص هذا الموضوع هو أن أولئك الأطفال الذين عاشوا ونشأوا مع فصيلة محددة من الحيوانات في البرية قد تربوا بين تلك الفصيلة من الحيوانات وتبنوا طريقتها في الحياة محاولين بكل ما عندهم تقليد سلوكها وتصرفاتها وبالتالي يكونوا قد قاموا خلال هذا المسعى بإلغاء وقمع وكبت كل ما يخص الطبيعة الإنسانية من مقومات كامنة في جوهرهم. وهذه حالات شاذة بكل تأكيد، وبالتالي لا يمكننا أخذها كمقياس لموضوع العيش في الطبيعة بمقومات إنسانية بحتة. لكي يكون العيش في الطبيعة بحالته المثالية وجب على الفرد النشوء والعيش وسط كائنات بشرية مثله وليس الحيوانات. حينها تتمكن مقوماته الداخلية من التجلّي والتعبير عن نفسها بطريقة سليمة.

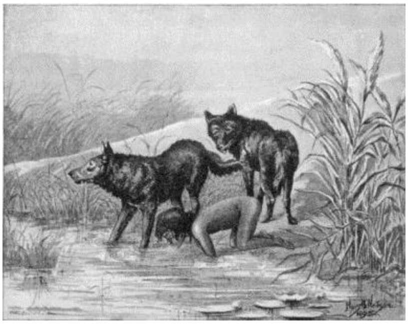

إذا تجاهلنا الروايات العديدة التي تناولت موضوع الأطفال الذين تربوا بين الحيوانات المختلفة عبر التاريخ، سوف نجد في هذا العصر الكثير من الحالات الموثقة علمياً والتي أخضعت للدراسة بحيث تناولت أطفال نشأوا وعاشوا لسنوات طويلة بين فصائل مختلفة من الحيوانات مثل: القرود (على أنواعها) والذئاب والكلاب والقطط البرية والدببة والأغنام والأبقار والغزلان

والماعز والنعام وغيرها من حيوانات مختلفة قامت برعاية الطفل وتنشئته بطريقة متوافقة مع طريقتها الخاصة في العيش.

نشير إلى الأولاد الذين ينشأوا بين الحيوانات في البرية بالأطفال المتوحشين

في الوقت الذي ننظر إلى أولئك الأطفال الذين تربوا بين الحيوانات بترفع وتعالي (بعد حفلة من الأسى والشفقة عليهم طبعاً) نحن ننسى أنه حتى الأطفال الذين ينشأون برعاية والديهم في هذا العصر الحديث وما يشهده من حضارة متقدمة، هم أيضاً محرومون من الفرصة التي تسمح بتجلّي الكوامن البشرية الأصيلة بداخلهم، وذلك بسبب الثقافة المشوهة التي تحكم المجتمع العصري والذي يؤدي إلى تربية سيئة وغير سليمة.

أما أولادنا الذين يستعرضون الكثير من مظاهر التوحش والهمجية في تصرفاتهم فنبقى نعتبرهم أولاد متحضرين. فقط لأنهم نشأوا وسط مجتمع حضاري متقدم

إذا كانت هذه هي فكرتك عن الحياة العصرية، حيث التقدم والحضارة والثقافة الاستهلاكية التي ترافقها، فوجب أن تعلم أن هذه الحضارة العصرية وثقافتها الاستهلاكية لا تسمح بتجلّي المقومات الحقيقية للإنسان الأصيل، بل هي في الحقيقة تصنع التنابل وكائنات شبه بشرية رخوة ومشوهة

عقلياً وجسدياً. وبالتالي فإن نشوء الأولاد وعيشهم وسط مجتمعاتنا العصرية لا يعتبر أمراً مطمئناً بل يثير القلق بخصوص مستقبلهم ومصيرهم البائس ككائنات بشرية. من الناحية الفلسفية، لا أعتقد بأن نشوء أولادنا في المجتمع العصري يختلف كثيراً عن نشوءهم بين الحيوانات في البرية. في كلا الحالتين نجد أن الطفل محروم من التعبير عن مقوماته الحقيقية ككائن بشري.

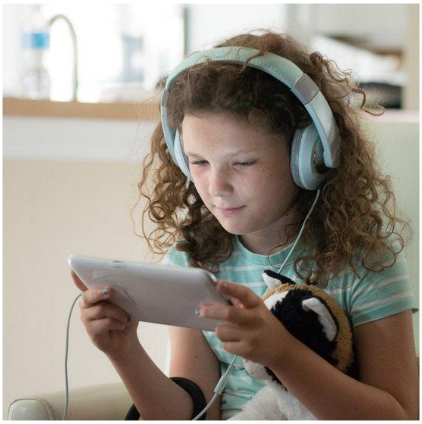

مهما استعرضته طريقة حياتنا العصرية من مظاهر متقدمة موشّحة بتطور تكنولوجي فهذا لا يمنعها من كونها طريقة حياة خاطئة وحتى ضارة ومعيقة لعملية تجلّي المقومات الإنسانية الحقيقية في جوهرنا. كل ما عليك فعله هو التفكير في مستقبل هؤلاء الأولاد الذين يعتمدون بشكل كبير في حياتهم على الأجهزة الإلكترونية المختلفة. ما هي المقومات الإنسانية الأصيلة التي تنمو في جوهر هؤلاء المساكين؟.. لا شيء على الإطلاق! لهذا السبب ما علي سوى نصيحتك: لا تنغشّ بالمظاهر!

لقد ساهم جهاز التلفزيون وحده في قمع الكثير من المقومات البشرية الحقيقية في جوهرنا، أهمها قوة الخيال والإبداع. كل من يعلم الحقيقة يعرف جيداً بأن التلفزيون يمثل أكبر لعنة بالنسبة لمسيرة التطور البشري السليم.

صحيح أن هذه صورة رمزية لكنها تعبّر عن حالتنا المزرية بشكل مجدي وصائب. منذ أن يأتي الطفل إلى هذا العالم الدنيوي البائس تتسابق عليه المؤسسات العالمية لتحتل في كيانه حصتها التي تساهم في تحويله إلى كائن استهلاكي بائس لا يفقه شيئاً عن الطبيعة الحقيقية للوجود ودوره الأساسي في مسرح الحياة. كل هذا يكون بإشراف وتعاون وحتى تواطؤ من قبل والديه الجهلاء الذين تربوا قبله بنفس الطريقة.

بالعودة إلى الذين نشأوا في البرية وسط الطبيعة، عندما أتكلم عن هذا الموضوع أقصد بذلك الذين نشأوا وتربوا برعاية بشر مثلهم وليس الحيوانات. أي أن لهم خلفية ثقافية بشرية وليس حيوانية. لكن هناك مشكلة أخرى وجب أخذها في الحسبان. عندما أتكلم عن الذين نشأوا وتربوا برعاية بشر وليس الحيوانات، لا بد أن يذهب تفكير القارئ العزيز نحو تلك القبائل البشرية التي تسكن البراري، خصوصاً الأدغال، في مناطق مختلفة حول العالم وبقيت معزولة تماماً عن أي اتصال بالحضارة المدنية العصرية. لكن أنا لا أقصد هؤلاء أيضاً. صحيح أن هذه المجموعات البشرية بقيت معزولة تماماً عن الحضارة البشرية المتقدمة لكن هذا لم يمنعها من إنشاء ثقافة دنيوية غير نقية. لقد طوّروا لأسباب عديدة نوع من الثقافة التي ساعدتهم على البقاء والازدهار دنيوياً وسط

البيئة الطبيعية التي نشأوا فيها، وهذا أمر طبيعي، لكنهم بذلك ابتعدوا أيضاً عن الطريقة الأصيلة للعيش بالنسبة للكائن البشري والتي تنشد الازدهار الروحي.

لقد تم اكتشاف الكثير من القبائل البدائية (كما يوصفونها) حول العالم والمعزولة تماماً عن الحضارة البشرية العصرية. أشهر تلك الاكتشافات حصلت في غابات أندونيسيا والفيليبين، وغابات أفريقيا الغربية والوسطى، وغابات الأمازون في أمريكا الجنوبية.

لكن مع ذلك يبقى هناك نماذج أكثر نقاء من البشر الذين نشأوا وترعرعوا وسط الطبيعة. يمكننا التعرف على هذا النوع من النماذج من خلال الاطلاع على تلك الظاهرة الشهيرة التي خرجت من غابات سبيريا في روسيا.

ظاهرة أناستازيا في روسيا
Anastasia

تصور كائن بشري ينشأ ويكبر في الطبيعة دون أن يفقد إحساسه بحضور الخالق والحب غير المشروط.. تصور والديك يموتان قبل أن تستطيع المشي أو الكلام.. تصور أن يكون جدّك ووالد جدك غريبا الأطوار بحيث سمحا للطبيعة أن تنشئك وترعاك دون أي تدخل أو تربية من قبلهما أو أي شخص آخر.. تصور أنك تصبح قادراً على التواصل مع الطبيعة وتفهم النباتات والحيوانات وتتعلم بالفطرة بأن كل شيء من حولك موجود لكي يخدمك ويرعاك ويجلب لك السعادة، تصور القوة التي تنمو وتختبرها في كيانك دون أن تعلم أصلاً بأنها قوة استثنائية، بل فقط تظن بأن هذا النموذج من الحياة هو الحياة ذاتها وهكذا وجب أن تكون.. تعرف بكل بساطة بأن الله منحك السلطة على كل شيء من حولك.. وأنك دائماً في أمان مهما كانت الظروف.

*والآن توقف عن التصوّر. هذا الكائن البشري موجود فعلاً. إنها امرأة تعيش في روسيا واسمها "**أناستازيا**". " كان أوّل من قدم قصتها للعالم "**فلاديمير ميغري**" في العام ١٩٩٦م من خلال نشر كتاب يحمل اسمها كعنوان.*

تعتبر أناستازيا ظاهرة حديثة في الحياة الروحية لروسيا وحتى العالم أجمع. هذه الشخصية صارت مشهورة جداً بحيث أصبح يعرفها كل رجل وامرأة وطفل في روسيا، أما في العالم أجمع فلازالت شهرتها تتوسع مع انتشار مجموعة الكتب التي تصدر بعدة لغات. من خلال شريكها ووالد طفلها لاحقاً، رجل الأعمال السابق "فلاديمير ميغري" Vladimir Megre انتجت هذه المرأة العجيبة تسعة كتب تعتبر الأكثر مبيعاً في روسيا والعالم أجمع لاحقاً. هذه الكتب أذهلت الملايين من القراء في روسيا والعالم وساهمت في تحويل تفكيرهم وطريقة حياتهم بشكل جذري.

أناستازيا ولدت وعاشت كل عمرها في غابة الأرز السيبيرية الواقعة على ضفاف نهر "أوب" Ob والتي تعتبرها موطنها الوحيد. مات والداها بصاعقة رعدية عندما كانت صغيرة جداً. كان والداها يقطنان في الغابة أيضاً وكانا يحاولان إحياء إحدى أشجار الأرز الصغيرة عندما حصلت الحادثة. ورغم صغرها إذ بالكاد تستطيع المشي إلا أنها استمرّت في العيش وحدها في الغابة، في "فسحة الحب" التابعة لوالدتها. و"فسحة الحب" هذه ليست منزلاً أو ما شابه بل مجرّد مكان في الغابة تنام فيه وتقضي فيه معظم حياتها اليومية. كل شيء في هذه الفسحة طبيعي بحيث لا يوجد فيها كرسي أو طاولة أو أي شيء مصنوع يدوياً، ورغم ذلك تعتبره أناستازيا منزلها. كانت تحت رعاية دائمة ومستمرة من جدها ووالد جدها لكنهما لم يتدخلا أبداً في تربيتها بل تركاها تنشأ وتترعرع في الطبيعة لوحدها، ليس لسبب يعود إلى عدم اكتراثهما أو قساوة قلبهما بل لأنهما ينتميان لمذهب أو عقيدة دينية ضاربة في القدم وتتمحور حول عبادة واحترام الطبيعة. هما يؤمنان بأن الحياة البريّة بكل ما تظهره بيئتها الموحشة والقاسية تبقى أفضل من الحياة الاجتماعية العصرية التي يعيشها البشر. هذا الدين الذي أصبح منقرضاً في روسيا اليوم كان هو السائد قبل دخول الكنيسة إلى البلاد منذ ألف عام وسيطرتها على الرعايا بالحديد والنار عبر طبقة إقطاعية قاسية إلى حد التوحّش. لكن قبل سيطرة ذلك النظام

الإقطاعي لم يعرف الشعب الروسي أي مفهوم متعلق بامتلاك الأراضي حيث كانت عقيدتهم تقول بأن الأرض للجميع لأنها ملك حصري للطبيعة الأم.

كاهن قديم من عبدة الطبيعة في روسيا كما يتصوره أحد الفنانين. من بين ممارساتهم الدينية الامتناع تماماً عن أذى الحيوانات أو النباتات والعيش بتناغم تام مع الطبيعة. أعتقد بأننا أصبحنا نعلم الآن السبب الذي جعل هؤلاء المساكين الساذجين ينقرضون تماماً أمام تقدم وتمدد النظام الديني/الإقطاعي الذي سحقهم سحقاً مبيناً!

على أي حال، كان جداها يعلمان جيداً ماذا يفعلان عندما تركاها تعيش لوحدها في الطبيعة، فقرارهما هذا لم يكن عشوائياً أو نابعاً من جهل أحمق بل يستند على عقيدة عريقة ضاربة في القدم. لم يتدخلا أبداً في حياتها بل كانا يزورانها بين الحين والآخر، وخلال زيارتهما كانا يفحصان تطورها العقلي والروحي من خلال طرح الأسئلة بخصوص مواضيع مختلفة مثل: ".. لماذا هذه الحشرة ملونة بهذه الطريقة؟.." أو غيرها من أسئلة، وعندما تكبر كانت الأسئلة تتقدم معها وتتناول مواضيع أكثر تعقيداً. ما توقعه

الجدان حصل بالفعل حيث نشأت صداقة حميمة بين **أناستازيا** وكل أنواع الحيوانات في الغابة المحيطة بها. خلال عيشها لوحدها كانت تتلقى الخدمة والرعاية من مجموعة واسعة من الحيوانات، منها الدببة والذئاب والقطط البرية والسناجب والطيور وغيرها..! إنها بالفعل قصة خيالية لولا أنه تم توثيق هذه الحالة العجيبة من قبل الرجل الذي التقته **أناستازيا** لاحقاً وصار والداً لابنها الوحيد وهو ذاته "فلاديمير ميغري" مؤلف مجموعة الكتب الشهيرة لاحقاً. بعض الناس يقولون بأن أناستازيا غير موجودة بل هي مجرّد شخصية خيالية. صحيح أن قصتها بعيدة عن واقعنا الحالي مما يجعلها صعبة التصديق لكن إذا دققنا في الموضوع سوف نكتشف بأن طريقة حياتنا الحالية هي التي وجب اعتبارها بعيدة عن الواقع لأنها منقطعة تماماً عن الطبيعة. لكن مهما كان الأمر، سوف أروي بعض من جوانب قصتها العجيبة وأترك الحكم للقارئ الكريم إن كانت خيالية أو غير ذلك.

وفقاً للكاتب "فلاديمير ميغري"، ولدت أناستازيا عام ١٩٦٩م في الغابة السيبيرية الغربية بالقرب من مدينة "سورغوت" Surgut على ضفاف نهر "أوب" Ob. هي تعيش كلياً في البرية، دون ثياب دافئة ودون زراعة أو مأوى مصنوع إنسانياً، لكنها تعيش على أكل

أنواع مختلفة من الثمار والمكسرات والفطر، وغالباً ما تجلبها لها الحيوانات البرية المختلفة التي تعيش معها بانسجام وسلام تام.

تستعرض قدرات خارقة روحية ونفسية وعقلية متطورة جداً مثل الاستبصار والعلاج والتخاطر وقراءة الأفكار وذاكرة عجيبة لأحداث ومعارف عريقة ضاربة في القدم، وكذلك القدرة على التحدث بأي لغة يتكلمها الشخص الذي يقابلها!.. وغيره وغيره من العجائب والمعجزات التي يمكن أن تتجلى بأبهى حلتها في الكائن البشري. أما توقعاتها المستقبلية التي وردت في الكتب فهي تتحقق الواحدة تلو الأخرى وبدقة فائقة! تقول اناستازيا بأن قدراتها هي طبيعية وقابلة لأن تتجلى في كل إنسان لو عرف كيف يعيش حياته بطريقة سليمة. وقد شددت على أن الأمر يتعلق بطريقة تنشئة الأطفال!

الحكمة التي استعرضتها هذه الفتاة البسيطة تضاهي أحكم حكماء العصور! أما العلم الذي تتحدث عنه بطريقة منهجية مذهلة فهو أرقى بكثيير مما يتحدث به ألمع علمائنا الأكاديميين اليوم! معظم ما يتعلق بأناستازيا يمثّل غموض رائع وجميل. هذه الفتاة البسيطة ساهمت عبر مجموعة الكتب في تغيير مشهد الفكر الميتافيزيقي العالمي كلياً، وذلك بفضل بصيرتها وحكمتها المذهلتين. كلماتها تحدث الآن صدى كبير في قلوب الناس حول العالم، بغض النظر عن اختلاف خلفيتهم العرقية أو الدينية، لأن كلماتها تتجاوز الحواجز والمستويات الثقافية المختلفة التي تفصل سكان العالم عن بعضهم البعض. كلماتها بسيطة جداً ومباشرة جداً وواضحة جداً بحيث تتناغم مع جوهر أعماق كينونتنا.

كيف بدأت القصة

في العام ١٩٩٤م كان المقاول "فلاديمير ميغري" يجري رحلة تجارية إلى المناطق النائية في سيبريا، وهناك التقى برجلين كاهلين تحدثا عن أشجار الأرز الرنانة التي تجمع كميات كبيرة من الطاقة الكونية ومن ثم تنشرها للبيئة المحيطة لتستفيد منها الكائنات الحيّة ولهذه الأخشاب خصوصاً منفعة كبيرة للإنسان. رغم أن هذا الكلام لم يلفت انتباه

المقاول في البداية لكن عند عودته إلى منزله أجرى أبحاثاً عن أشجار الأرز السيبيرية واكتشف القيمة العلاجية والغذائية والتجارية لتلك الأشجار وثمارها (تشبه حبة الصنوبر) التي يمكن استخراج الزيت منها وغالباً سيكون له سوق رائجة. بعد انبهاره بكل تلك المنافع، خصوصاً التجارية، لأخشاب وثمار (زيت) هذه الشجرة قرر "ميغري" في العام ١٩٩٥م إقامة رحلة تجارية أخرى إلى تلك المناطق النائية بهدف استكشاف تلك السلعة الثمينة التي انقرضت لسبب ما من الثقافة الشعبية الروسية عبر العصور. وخلال هذه الرحلة الثانية إلى هناك التقى "ميغري" بحفيدة الكاهلين التي هي ذاتها **أناستازيا** التي سوف تغير حياته إلى الأبد. تبين أن هذه الفتاة تجسّد ثقافة ومعرفة وقدرات تعود إلى حضارة عريقة اندثرت منذ زمن بعيد من على وجه الأرض، ويبدو أنها محيت من ذاكرة الشعوب أيضاً بحيث تعرضت للنسيان تماماً لدرجة أن طريقة حياة هذه الفتاة ونظرتها الخاصة للعالم والحياة عموماً لم تكن قابلة للاستيعاب أو حتى الاستساغة من قبل المقاول "فلاديمير ميغري". لكن على أي حال، ورغم ذلك فقد ساهم هذا اللقاء الذي دام ثلاثة أيام في تغيير حياة الرجل بالكامل، وبعد عودته من تلك المنطقة السيبيرية النائية تخلّى بالكامل عن عمله المعهود وأهمل كامل التزاماته في مجال المقاولات التجارية حتى وقع في الكسر وتراكمت عليه الديون وكل ما كان يشغل تفكيره هو تنفيذ طلب واحد شددت عليه **أناستازيا**، التي أمضى معها أيامه المذهلة في غابات سيبيريا النائية، وهو أن يكتب كتاباً عن تجربته المثيرة في الغابة معها.

لقد أصرّ "فلاديمير" في البداية بأنه لا يفقه شيئاً بخصوص الكتابة وتأليف الكتب لأنه مجرّد مقاول ذو عقل تجاري، لكن **أناستازيا** أصرّت بأنه سوف ينجح ككاتب، وليس هذا فحسب بل سوف يكتب تسعة كتب وليس واحد فقط. وهذه الكتب التسعة سوف تصبح من بين أعظم الأعمال في الأدب الروسي! وأنها سوف تساهم في إصلاح العالم أجمع! وأنه سيصبح مشهور عالمياً! لكن رغم هذا الكلام الباعث للتفاؤل إلا أن "فلاديمير" لم يكن متحمساً كثيراً للأمر إذ أنّ حماسه كان موجهاً لتحقيق أمنية أناستازيا في الكتابة فقط، أما النتيجة فتركها للقدر. مع الفقر الشديد الذي بدأ يتسلل إلى حياته تدريجياً قرر "فلاديمير" الانطلاق في الكتابة، وبعد مضي سنة تقريباً كان قد انتهى من كتابه الأوّل الذي حمل العنوان "أناستازيا" Anastasia. لكنه في البداية واجه مشكلة، لم يقبل أي

من الناشرين تبني طباعة الكتاب. لكن بعد فترة من المعاناة وافق أحد الناشرين من موسكو على طباعة ألفي نسخة على حسابه الخاص وأعطى الكتب جميعها لـ"فلاديمير" لكي ينشرها على طريقته الخاصة. وها هو "فلاديمير" الآن يقف بجانب محطة الميترو في موسكو حاملاً مجموعة من الكتب محاولاً بيعها للمارة.

لكن ما تلى ذلك كان معجزة حقيقية كتلك التي عاشها مع **أناستازيا** في غابات سيبيريا. الألفا نسخة الأولى من الكتب بيعت خلال أيام معدودة. فتقدم بطلب طباعة ألفي نسخة جديدة.. ثم طبع عشرة آلاف نسخة أخرى فبيعت خلال شهور.. ثم ملايين النسخ راحت تنتشر في كافة أنحاء روسيا.. وخلال العام ١٩٩٩م كان "فلاديمير ميغري" قد أصبح أشهر كاتب مقروء في روسيا. راح بعدها يكتب الأجزاء التالية من المجموعة، وبيع ملايين النسخ الأخرى، وتم ترجمة الكتب إلى ١٢ لغة أجنبية وقد انتشرت هذه الكتب كما النار في الهشيم.. خصوصاً في ألمانيا والدول الأوروبية الشرقية.

إن انتشار مجموعة كتب "فلاديمير ميغري" أدى إلى حصول تغييرات هائلة في كل من المجال الأيديولوجي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي في روسيا. استمرت سيرة هذه الكتب على كل لسان في روسيا لفترة طويلة. وليس هذا فحسب بل استنهضت الكثير من المشاعر التي حفزت على الرسم وكتابة الشعر وتأليف الموسيقى والتي استُلهمت جميعاً نتيجة قراءة هذه الكتب. وهذا ما توقعته أناستازيا بالضبط، حيث قالت لفلاديمير بأنه مجرّد أن نُشر الجزء الأوّل فسوف يكون له تأثير قوي على نفوس الملايين ويستنهض فيهم المواهب المتعددة.

راحت نوادي القراء تتوالد وتتكاثر في كافة أنحاء روسيا وخارجها. أقيم العديد من مؤتمرات القُراء في كل من روسيا وأوروبا. بدأ الناس يطرحون أسئلة لم يطرحوها من قبل. راحوا يتساءلون حول مواضيع لم يفكروا بها سابقاً. المئات من الناس (أصبحوا الآن بالآلاف) راحوا يتركون وظائفهم عالية الأجر في المدن الكبرى ورغم الصعوبات التي واجهوها انتقلوا للسكن في القرى البيئية التي راحت تنتشر في الأرياف. عدد كبير من المهاجرين الروس الذين في ألمانيا والولايات المتحدة وكندا راحوا يعودون إلى روسيا

ليقيموا مع عائلاتهم مزارع بيئية بسيطة في أراضي أجدادهم. كانت هذه الحركة الشعبية مهمة جداً لدرجة أن الدكتور "فيكتور ماديكوف" Viktor Medikov وهو عضو في البرلمان الروسي، نشر كتاباً بعنوان "بوتين، ميغري، ومستقبل روسيا" *Putin, Megre, and Russia's future*، ذكر فيه أن مجموعة الكتب التي نشرها "فلاديمير ميغري" أصبحت تمثل فكرة وطنية جديدة سوف تساهم في تشكيل مستقبل البلاد. بعد عدة سنوات فقط من نشر الكتاب الأول كل هذه التطورات حصلت، ويبدو أن الأمر لازال في بدايته.

خريطة تبين مواقع القرى البيئية المنتشرة في روسيا وبعض الدول الأوروبية

ملاحظة: قد يظن البعض بأن ما أتحدث عنه بخصوص هذه الحركة مبالغ به لأننا في الشرق الأوسط لم نسمع بكل هذه الأحداث. لكن في الحقيقة إن العيب ليس في هذه القصة التي ضج بها العالم بل في منطقة الشرق الأوسط التي لم تسمع بتلك الكتب والقصة المثيرة التي تدور حولها لأن هذه المنطقة كانت مشغولة في حينها بتنمية البيئة المناسبة لتفقيس وتربية المجاهدين الذين سينشغلون لاحقاً في نشر دعوتهم وما سيرافقها من دمار وكوارث إنسانية حلّت ببلاد المنطقة خلال الثورات الربيعية المزعومة. وهذا طبعاً بالإضافة إلى وسائل الإعلام العالمية والمحلية الموجهة إلى هذه المنطقة خصيصاً والتي عملت جاهدة على تأزيم المسألة أكثر عبر تظليل الناس وتوجيه تفكيرهم وفق قنوات محددة ولغايات سياسية محددة. هذه من بين الأسباب الرئيسية التي منعت

الضجة العالمية التي أحدثتها كتب "فلاديمير ميغري" من الوصول إلى أسماعنا. حتى أنني لا أعلم إذا ترجمت هذه الكتب إلى اللغة العربية أصلاً.

صورة فنية تبين حديقة نموذجية في إحدى القرى البيئية التي ينشدها قراء كتب فلاديمير ميغري

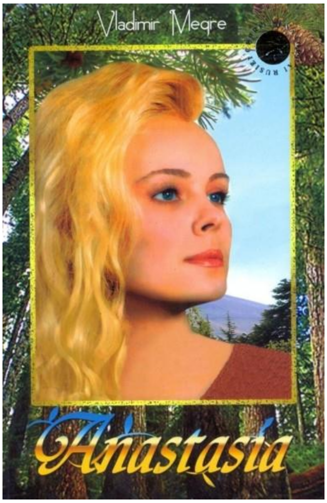

غلاف الجزء الأوّل من مجموعة "الأرز الرنان" لفلاديمير ميغري وهو بعنوان "أناستازيا"، والذي أحدث ضجة غير مسبوقة في كل من روسيا وأوروبا وأمريكا.. والعالم أجمع.

فلاديمير يلتقي بأناستازيا

بعد قراره العودة إلى غابات سيبيريا من أجل الاستثمار في أشجار الأرز الرنانة انطلق "فلاديمير" متوجهاً إلى هناك مع مجموعة قوارب نقل صغيرة لتحميل البضاعة التي ينشدها. عند وصوله إلى المنطقة التي التقى فيها بالكاهلين اللذان أخبراه عن أشجار الأرز أشار فلاديمير لقبطان الحملة أن يتوقف ونزل إلى ضفة النهر حيث النقطة ذاتها التي رأى فيها الكاهلين في السنة الماضية. لكن بدلاً من الرجلين العجوزين رأى فتاة وحيدة وكأنها في انتظاره. اقترب منها فلاديمير وسألها عن العجوزين فأجابته الفتاة بأن أولئك العجوزين هما جدها ووالد جدها وعرضت عليه إرشاده إلى مكان سكنهما في الغابة وكان هذا المكان يبعد حوالي ٢٥ كيلومتر في أعماق الغابة. فوافق فلاديمير وانطلقا فوراً نحو الغابة.

ملاحظة: كانت أناستازيا تعلم مسبقاً بأن لها مصير مشترك مع هذا الرجل الذي سيصبح والداً لابنها ولهذا السبب جاءت لاستقباله، حيث لقائهما لم يكن مجرّد صدفة، لكن هذه قصة مذهلة أخرى سوف نتجاهلها الآن.

الإغواء الموهوم ومحاولة الاغتصاب الفاشلة

بعد أن قطعا مسافة حوالي خمسة كيلومترات في الغابة توقفا للراحة. راح فلاديمير يشرب البراندي ويأكل ما جلبه من مأكولات سريعة. لكن **أناستازيا** قامت بفعل شيء غريب لم يفهمه فلاديمير وأثار دهشته. راحت إلى جانب شجرة كبيرة وبدأت تخلع ثيابها الشتوية الثقيلة وكذلك الجزمة التي لبستها وخبأت ما خلعته في حفرة تحت الشجرة، ولم يبقى على جسمها سوى ثوب رقيق قصير. بعدها توجهت إلى مكان قريب تصله أشعة الشمس ثم تمددت على الأرض متوجهة نحو الشمس تتلقى الدفء الطبيعي لأشعتها. كانت درجة الحرارة منخفضة بحيث لم تتجاوز ١٢ درجة مئوية، ورغم ذلك كانت هذه الفتاة الجميلة الشقراء تتمدد على الأرض شبه عارية وتبتسم للشمس بعينيها الرماديتين الواسعتين.

أما فلاديمير، هذا المقاول الذي يعتبر نفسه ابن العالم، والذي شرب ما يكفي من البراندي، بعد رؤيته هذا المشهد المغري اعتبر تصرفات **اناستازيا** دعوة للإقتراب منها فتقدم دون تردد. أمسك بها وحضنها بقوة، لكنها لم تبذل أي مجهود في مقاومته. راحت تصرفاته تزداد شدة لكن قبل أن يتابع نحو هدفه غاب فجأة عن الوعي**!** وقبل غيابه عن الوعي تذكر أنّ **أناستازيا** كانت تقول له ".. أرجوك لا تفعل.. اهدأ..."، وكانت بنفس اللحظة تلوّح بيدها إلى شيء يحلّق في الجو وكأنها تبعده عن فلاديمير. وقد علم لاحقاً أن ما كانت تلوّح له هو عبارة عن كرة من نور ترافق أناستازيا أينما ذهبت لحمايتها.

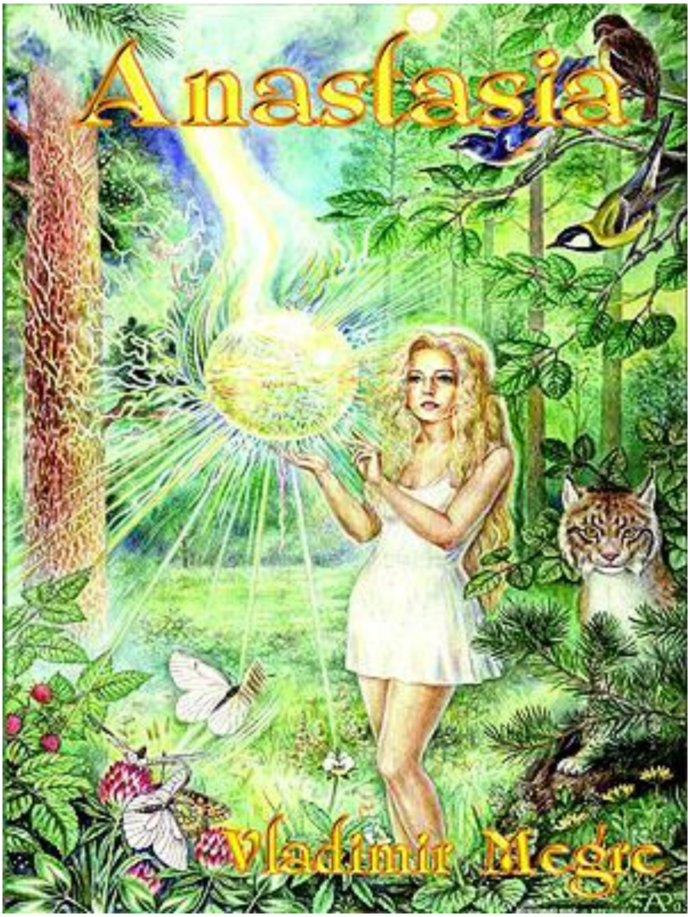

كرة النور كما وصفها فلاديمير لاحقاً في كتبه

بعد صحوته من غيبوبته متسائلاً عما حدث شرحت له **أناستازيا** كيف أنه قام بعمل خاطئ لكنها متفهمة سوء تفكيره وتسامحه على ذلك. قال لها فلاديمير موضحاً موقفه بأنه شعر بالإغواء وخُدع بمنظر خلعها لملابسها وتصرفاتها التي لم يألفها سوى لدى بائعات الهوى. فأجابته ببساطة أنها لم تعتاد على ارتداء الألبسة الثقيلة ولم تحبها أصلاً، لكنها تفعل ذلك فقط عند خروجها من الغابة للاختلاط مع الناس. وعندما سألها فلاديمير لماذا لا تشعر بالبرد، كانت إجابتها بسيطة لكنها لم تخلو من الصيغة العلمية الأكاديمية وتمثل معلومة مهمة جداً بخصوص الكائن البشري. قالت: *".. التكوين العضوي لأولئك الذين يكسون أجسادهم بالألبسة الثقيلة، للحماية من البرد أو الحرارة، تفقد نسبة كبيرة من قدرتها الطبيعية على التأقلم مع البيئة المتغيّرة. أنا لم أفقد هذه القدرة أبداً. لهذا السبب أنا لا أحتاج إلى ألبسة.."*

وصولهما إلى فسحة الحب

منزل أناستازيا

بسبب الحوار المثير والشيّق الذي دار بينهما أثناء السير على طول الطريق وسط الغابة، فقد فلاديمير أي تقييم دقيق للمسافة التي قطعاها. وعند وصولهما نقطة معيّنة في الغابة توقفت **أناستازيا** ووضعت حقيبة فلاديمير التي حملتها طوال فترة سيرهما على الأرض وقالت بابتهاج: ".. ها قد وصلنا.."! نظر فلاديمير حوله مستكشفاً المكان. كان عبارة عن فسحة أنيقة فيها أزهار وسط مجموعة من أشجار الأرز العملاقة. لكنه لم يرى أي شيء مصنوع يدوياً.. ولا حتى كوخ صغير أو حتى شيء يمثل مأوى أو مهجع يدل على إمكانية سكن. لم يرى شيء مما يألفه يشير إلى إمكانية العيش لإنسان. لكن رغم ذلك لاحظ في ملامح **أناستازيا** بهجة العودة إلى منزلها الدافئ المريح!

فسألها فلاديمير مؤنباً: ".. وأين منزلك؟.. أين تأكلين وتنامين وتأوين نفسك من الشتاء؟.."، فأجابته ببساطة وارتياح: ".. هذا هو منزلي يا فلاديمير.. لدي كل شيء أحتاجه هنا.."، عند سماعه ذلك راح ينتابه شعور بالاستفزاز لكنه أكمل حديثه متجاهلاً كل ما سمعه ورآه: ".. أين كل شيء؟.. أجلبي أبريق الشاي لكي نسخن فيه ماء،

واجلبي الفأس لكي أقطع بعض الخشب وأشعل النار.."، فأجابت قائلة: ".. ليس لدي إبريق ولا فأس يا فلاديمير.. ومن الأفضل أن لا نشعل النار.."، فأجابها مندهشاً وكأنه لم يصدق: ".. عن ماذا تتكلمين؟.. يا إلهي.. حتى أنها لا تملك إبريق!.. ماذا سأفعل الآن؟ الماء في قارورتي نفذ.. وأنتِ شاهدتي متى أكلت آخر مرة؟.. حتى أنني رميت القارورة الفارغة.. والآن لم يبقى لدي سوى عدة بلعات من البراندي.. وأنا أشعر بالعطش والتعب، من أين تجلبين ماء الشرب النظيف؟.. كيف تشربين هنا؟.."

بعد أن شاهدت تذمره العصبي أبدت **أناستازيا** مشاعر قلق عليه، فأسرعت بالإمساك بيده وقادته عبر الفسحة ومن ثم إلى الغابة، وكانت تطمئنه وتهدئ من روعه على طول الطريق: ".. لا تقلق يا فلاديمير.. أرجوك لا تغضب.. سوف أهتم بكافة الأمور.. أنت فقط ارتاح.. سوف تنام جيداً.. سوف أتولى كل الأمور.. سوف لن تبرد.. هل أنت عطشان؟.. سوف أعطيك ما تشربه فوراً..".

ليس بعيداً عن الفسحة وخلف مجموعة أعشاب طويلة وصلا إلى بحيرة صغيرة. غرفت **أناستازيا** كمية من الماء بيديها الملتصقتين ورفعتهما إلى وجه فلاديمير وقالت: ".. تفضل.. إليك بعض الماء.. اشربها أرجوك.."، فاندفع فلاديمير غاضباً: ".. هل أنتِ مجنونة؟! كيف يمكن شرب الماء من نقعة موحلة في الغابة؟! هذا الماء لا يصلح حتى للغسيل!.."، فأجابته الفتاة المسكينة موضحة: ".. هذه ليست نقعة موحلة يا فلاديمير.. إنها ماء نقيّة مفعمة بالحياة.. مياه جيّدة! وليست مياه شبه مدمّرة مثل التي تستخدمونها.. أنت تستطيع شرب هذا الماء كما تشرب حليب الأم! أنظر.."، ورفعت يديها إلى شفتيها وشربت الماء. فانتفض فلاديمير قائلاً: ".. أناستازيا، هل أنتِ نوع من كائن متوحّش؟.. يا إلهي أنتِ متوحشة.."، فأجابته فوراً: ".. لماذا متوحشة؟ لأن سريري ليس كسريرك؟ لأنه لا يوجد سيارات هنا؟ ولا مواد اصطناعية أو أدوات؟.."، فأجابها واثقاً: ".. لأنكِ تعيشين كما الوحوش! تعيشين في غابة.. وليس لديكِ أي مقتنيات أو ممتلكات.. ويبدو أنكِ تستمتعين بهذه الحالة.."، فأجابت واثقة: ".. نعم، أنا أستمتع في العيش هنا.."، فأجابها منتصراً: ".. أرأيتِ؟.. ها أنتِ أثبتي كلامي..". فقالت أناستازيا متسائلة: ".. هل تعتبر يا فلاديمير بأن ما يميّز الإنسان من باقي المخلوقات في

الأرض هو امتلاكه لأشياء مصطنعة؟.."، أجابها واثقاً: ".. نعم! وبشكل أدق، الذي يميزه هو وجوده المتحضّر.."، فتساءلت قائلة: ".. وهل تعتبر وجودك أكثر تحضراً من وجودي؟.. نعم طبعاً أنت كذلك فعلاً.. لكنني لست متوحشة يا فلاديمير.. أنا كائن بشري وهذا يكفي..".

أناستازيا تلعب في فسحة الحب التي تعيش فيها وسط الغابة، وتبدو كرة النور التي ترافقها دائماً وأبداً، وتحيطها الحيوانات التي رافقتها دائماً

بدأ فلاديمير الفصل التالي معلقاً: بعد قضاء ثلاثة أيام مع أناستازيا وراقبت كيف تعيش هذه الفتاة الغريبة لوحدها في أعماق الغابة السيبيرية بدأت أفهم القليل عن نمط حياتها وراحت تراودني أسئلة عديدة حول نمط حياتنا نحن. أحد التساؤلات التي لازالت تطاردني حتى اليوم هو: **هل نظامنا التعليمي والتربوي الذي ينشئ الأطفال كافياً لمعرفة معنى الوجود؟** هل استطاع ترتيب أولويات الحياة لكل فرد بطريقة صحيحة؟ هل هو يساعد أو يعيق قدرتنا على إدراك جوهر الإنسان وغايته؟ لقد أنشأنا نظام تعليمي هائل وعظيم، وعلى أساس هذا النظام التعليمي نقوم بتعليم أولادنا وتعليم أنفسنا. من مرحلة الحضانة مروراً بالمدرسة وانتهاء بالجامعات وما يتبعها من مشاريع تخرّج. هذا النظام التعليمي هو

الذي مكننا من اختراع الأشياء والسفر في الفضاء. نحن نبني حياتنا بالاعتماد عليه وبالتوافق معه، وبمساعدته نسعى جاهدين لإيجاد بعض السعادة في نفوسنا. نسعى جاهدين لاستيعاب الكون والذرّة، بالإضافة إلى كافة الظواهر الغريبة الأخرى. نحب أن نناقش ونوصف هذه الظواهر بالتفصيل وعبر الروايات الشيّقة في أجهزتنا الإعلامية ومنشوراتنا العلمية المنهجية.

لكن يوجد ظاهرة واحدة لازلنا نحاول جاهدين ولسبب ما تجنبها، حتى أننا نسعى بكل ما نمتلك إلى تجنبها! وقد يتكون الانطباع لدى الفرد بأننا نخاف الحديث عنها. أقول نخاف لأن هذا الموضوع سوف ينسف كامل منظومتنا التعليمية ومسلماتنا العلمية وتجعل طريقة حياتنا العصرية مجرّد مسخرة! ورغم ذلك كله لازلنا نتظاهر بأن تلك الظاهرة غير موجودة أصلاً. لكنها موجودة! وسوف تبقى موجودة مهما حاولنا تجاهلها أو تجنبها. ألم يحين الوقت لإلقاء نظرة متفحّصة وربما، فقط ربما، يمكننا عبر المجهود الجماعي لعقولنا البشرية المجتمعة إيجاد جواب واضح وصريح للسؤال التالي:

إذا نظرت إلى المفكرين والحكماء العظماء، دون استثناء، وهم الذين أوجدوا الأديان العظمى والمنظومات الفلسفية والروحية الكبرى التي تتبعها أعداد هائلة من البشر، ما هو العامل المشترك الذي يجمعهم؟ لماذا نجد أنه قبل الخروج بتعاليمهم الكبرى كانوا يعيشون في عزلة تامة، الاختلاء في البرية، وفي معظم الحالات في الغابات؟!

لماذا؟ من أو ماذا مكن هؤلاء الأشخاص من إحراز حكمتهم؟ من منحهم المعرفة؟ ومن قربهم أكثر إلى فهم جوهر الحياة؟ كيف عاشوا، وماذا فعلوا وبماذا فكروا خلال اختلاءهم في البرية أو الغابة؟

هذه الأسئلة واجهتني لبعض الوقت بعد حواراتي مع أناساتازيا وبعد البدء بقراءة كل شيء أستطيع الحصول عليه بخصوص موضوع الخلوات والتنسك والانعزال، لكن حتى اليوم لم أجد أجوبة. لماذا لم يتم الكتابة عن خبرتهم خلال تنسكهم واختلائهم؟

فلاديمير مع أناستازيا

خلال مكوثه مع هذه الشابة العجيبة في الغابة السيبيرية، اكتشف فلاديمير بأن ما ظنها في البداية مجرّد فتاة ريفية بسيطة كانت في الحقيقة تتمتع بمعرفة عميقة وقدرات عقلية مذهلة تفوق الخيال لكن رغم ذلك فهي تظهر البساطة والمحبة البريئة والأفكار النقية مع نظرة حكيمة مختلفة تماماً للعالم من حولها وهذه الأمور تركت أثراً كبيراً على حياته لاحقاً.

كتب فلاديمير معلقاً:

".. هي مجرّد صبية يافعة، ولدت وتعيش في عزلة تامة في غابات سيبيريا العميقة، تم تبنيها بعد موت والداها من قبل جدها ووالد جدها والذين يعيشان أيضاً في عزلتهما الخاصة في الغابة... لو أنكم تتصوّرون إخلاص الحيوانات البرية لها فهذا أمر غير عادي.. لكن رغم ذلك فلدينا ظاهرة مشابهة نعتبرها عادية وهي العلاقة الحميمة بين حيوانات المزارع وأصحابها حيث نجد تلك الحيوانات تعامل أسيادها بمودة واحترام.."

لكن في الحقيقة لا يمكن تشبيه تلك العلاقة القائمة في المزارع مع هذه التي تجري في الغابة بين أناستازيا والحيوانات التي بعضها يكون مفترساً. ورغم ذلك نجدها تأمر

الحيوانات فتنفّذ أوامرها فوراً، وبالتالي هذا ليس بالبساطة التي نلاحظها في المزارع. فمثلاً، خلال جلوسها مع فلاديمير والحديث معه، كانت أكثر من مرّة مجرّد أن تشير بيدها يأتي سنجاب ويضع حبة من البندق أو الكستناء البري في فمها! وهذه الحبة تكون مقشرة وجاهزة للأكل! وتعاملها مع الذئاب والدببة يكون بنفس الطريقة، فقط الإشارة باليد (ربما مصحوباً بالتخاطر العقلي) فنجد أوامرها تُنفذ في الحال.

النوم مع الدبّ

في ليلة اليوم الأوّل حان موعد النوم وفلاديمير لم يكن مجهزاً للنوم في الغابة لذلك لم يجلب معه أي من التجهيزات اللازمة. لذلك قادته **أناستازيا** إلى حفرة في الأرض تحت إحدى الأشجار وتشبه المغارة الصغيرة. كانت أرضيتها مفروشة بالأعشاب والزهور اليابسة بحيث كانت رائحة الحفرة جميلة ومحببة. كان فلاديمير متعباً جداً لذلك لم يعلّق على الموضوع فغرق في النوم مباشرة. وعندما استيقظ في اليوم التالي كان يشعر بالراحة والنعيم كما لو أنه كان يستلقي على سرير ملكي مريح. وخلال مد يديه ورجليه لمست إحدى يديه ما يشبه قطعة من الفرو خلفه فظن مباشرة بأنه لا بدّ من أن أناستازيا كانت صيادة حيوانات وتسلخ جلودها وغيرها من تصورات مشابهة. مع تقريب ظهره من قطعة الفرو بحيث تلاصق مباشرة به شعر بالحرارة المنبعثة منها، لكنه لم يتصور أي شيء غير أنها قطعة فرو دافئة فقرر أن يغط مرة أخرى في النوم. كانت أناستازيا واقفة على باب الحفرة من الخارج ملاحظة أنه قد استيقظ من النوم فقالت له: فليأتيك هذا اليوم ببركاته يا فلاديمير. وعليك بدورك مبادلة هذا اليوم بالمباركة، لكن أرجوك لا تخاف مما ستراه الآن. صفقت بيديها وبعدها مباشرة راحت تلك القطعة من الفرو تتحرّك وراء ظهر فلاديمير... فأصيب بالرعب الشديد بعد معرفته أن ما يقبع وراءه لم يكن قطعة فرو. راح يزحف دب ضخم إلى خارج الحفرة، فتلقى طبطبة رضى من أناستازيا وبعد لعق يدها قليلاً توجه نحو الغابة بهدوء. تبين أنها استدعت الدب لكي يستلقي بجانب فلاديمير خلال نومه العميق فيبقى دافئاً في الليل، بينما هي استلقت على باب الحفرة ونامت حتى الصباح. أما فلاديمير فكاد يفقد عقله بعد ما شاهده يخرج من الحفرة! فصرخ قائلاً: "..كيف يمكنك فعل ذلك بي؟.. كان بإمكانه أن يقطعني إرباً أو يطحنني حتى الموت!.."

فأجابته: ".. أولاً، هو ليس دب بل دبة.. ومن المستحيل أن تفعل شيئاً يؤذيك.. هي مطيعة جداً وتستمتع عندما أوكلها بمهمات مختلفة.. حتى أنها لم تتحرك طوال الليل لكي لا تزعجك.. فقط شخرت قليلاً تعبيراً عن تذمرها منك لأن يدك كانت تصفع ظهرها دائماً خلال تحريكها أثناء نومك.. لكن رغم ذلك فقد كانت سعيدة.."

قدرة أناستازيا على الرؤية البعيدة والتأثير عن بُعد

المهمة الأصعب بالنسبة لفلاديمير هي وصف وتفسير الآلية التي تتمكن من خلالها رؤية أشياء عبر مسافة بعيدة ومعرفة تفاصيل دقيقة عن أحداث متنوعة، حتى تلك التي حصلت قبل آلاف السنين، كما أنها أظهرت إلماماً واسعاً ومفصلاً عن الحياة العصرية رغم أنها لم تخالط سكان المدن مثلاً. تشرح هذه القدرة العجيبة لديها مستخدمة مصطلح "**الأشعة**" التي تنبعث منها إلى الشيء المستهدف، لكن كيف تعمل هذه الأشعة خلال رؤيتها الأحداث البعيدة وكذلك في علاج الأشخاص عبر مسافة بعيدة، بالإضافة إلى ذلك، كيف تتجاوز هذه الأشعة حاجز الزمن بحيث يمكنها رؤية الماضي البعيد وكذلك المستقبل البعيد؟!

ملاحظة: أعتقد بأن كل من اطلع على موضوع الوعي الديناميكي في الجزء الخامس من هذه المجموعة (من نحن؟) يجب أن تكون قد تكوّنت لديه فكرة واضحة بخصوص هذه الظاهرة التي تسميها أناستازيا "إشعاع".

تقول أناستازيا: ".. كل إنسان لديه هذه القدرة، الأمر يعتمد على قوة المشاعر لديه.."

وتقول أيضاً: ".. الإنسان لم يخترع أي شيء لم يكن موجوداً أصلاً في الطبيعة. التكنولوجيا وراء جهاز التلفزيون هي مجرّد تقليد ضعيف لإمكانيات هذه الأشعة التي يملكها الإنسان.."

كتب "فلاديمير ميغري" يقول حول هذا الموضوع:

أظن بأن الظاهرة الروحية الأكثر غرابة والتي شهدت عليها خلال فترة مكوثي في الغابة هي قدرة **أناستازيا** على رؤية – ليس فقط الأفراد عبر مسافات بعيدة – بل ما كان يحصل معهم في حياتهم أيضاً.. فعلت ذلك بمساعدة أشعة خفية. زعمت بأن هذه قدرة موجودة لدى كل الناس، لكن الجميع يجهل وجودها وبالتالي هم محرومين من إمكانية استخدامها. لكن طالما أن هذه الأشعة غير مرئية فأنا شخصياً لم أؤمن بها في البداية، رغم محاولاتها المتكررة لاستعراض وتفسير آلية عملها، لكن في يوم من الأيام وخلال إحدى حواراتنا حصل ما يلي...

سألتني أناستازيا: ".. قل لي يا فلاديمير، ما هو تعريفك لأحلام اليقظة؟ وهل يحلم الكثير من الناس بالمستقبل؟.."

فأجبتها متسائلاً: ".. أحلام اليقظة؟.. أعتقد بأن الكثير من الناس قادرين على فعل ذلك. هي تلك الحالة التي يتصوّر فيها الناس المستقبل الذي يرغبون به.."

قالت: ".. جيد. إذاً أنت لا تنكر بأن الإنسان لديه استطاعة تصور مستقبله أو تصور مواقف وظروف محدد ومتنوعة؟.."

أجبتها: "..لا أنكر هذا.."

قالت: ".. وماذا عن البديهة أو الحدس؟.."

قلت: ".. الحدس؟.. ربما هو الشعور الذي ينتاب الفرد بدلاً من إشغال تفكيره في تحليل ماذا يمكن أن يحصل أو لماذا. إنه نوع من الشعور الذي يفترض ما هو الصواب الذي وجب فعله.."

قالت: ".. إذاً أنت لا تنكر حقيقة أنه في الإنسان، إلى جانب عقله التحليلي العادي يوجد شيء يساعده على توجيه سلوكه وسلوك الآخرين؟.."

قلت: ".. حسناً، لنفترض بأن هذا صحيح.."

صاحت قائلة: ".. رائع! جيد!.. والآن، الأحلام الليلية.. ما هي؟ أقصد تلك التي تراود جميع الناس تقريباً أثناء نومهم؟.."

قلت متسائلاً: ".. الأحلام الليلية؟.. هي.. في الحقيقة لا أعلم ما هي بالضبط. عندما تنامين.. الحلم هو مجرّد حلم.."

قالت: ".. حسناً، حسناً.. دعنا نسميه حلم فحسب. لكنك لا تنكر وجوده؟ أنت وغيرك من الناس تدركون بأنه إذا كان أحدهم في حالة الحلم، وعندما يكون جسمه خارج سيطرة الجانب الواعي من عقله، يستطيع رؤية أفراد وأمور مختلفة تجري في أماكن مختلفة.."

قلت: ".. حسناً، أعتقد بأن هذا أمر لا ينكره أحد.."

قالت: ".. وحتى أنه في الأحلام يستطيع الناس التواصل مع الآخرين وإقامة الحوارات ويتحمسون ويبدون كافة أنواع المشاعر؟.."

قلت: ".. نعم، يستطيعون فعل ذلك.."

قالت: ".. وما هو رأيك، هل يستطيع الإنسان التحكم بحلمه؟ أي يستطيع استحضار الصور والأحداث التي يرغب في رؤيتها؟ كما هي حالة التلفزيون العادي مثلاً؟.."

قلت: ".. لا أعتقد بأن هذه إمكانية موجودة عند الجميع.. الحلم، بطريقة ما، يأتي تلقائياً لوحده.."

قالت: ".. أنت مخطئ. يستطيع الإنسان التحكم بكل شيء. لقد خُلق الإنسان لكي يتحكم بكل شيء.."

وتابعت قائلة: ".. الإشعاع الذي أكلمك عنه يحتوي على كل المعلومات والمفاهيم والبديهيات والمشاعر العاطفية التي يحوزها الفرد، وبالتالي هذا الإشعاع يحتوي على رؤيا وتصورات حلمية يمكن التحكم بها وفق إرادة الإنسان.."

قلت متسائلاً: ".. كيف يمكن التحكم بالحلم خلال الحلم؟.."

فأجابت موضّحة: ".. ليس خلال الحلم، بل خلال الصحوة التامة! وبدقة لامتناهية!.. الناس الآن يختبرون هذه القدرة في الأحلام لكنها تكون في الحالة العادية عشوائية وفوضوية.. لقد فقد الإنسان قدرته على التحكم.. التحكم بالظواهر الطبيعية وكذلك التحكم بنفسه.. لذلك قرر بأن يعتبر الحلم الليلي مجرّد منتوج عفوي لدماغه المتعب. بينما في الحقيقة كل إنسان تقريباً على وجه الأرض يستطيع...

فالتفتت إليه وأكملت قائلة: ".. حسناً، إذا كنت ترغب، أستطيع مساعدتك في رؤية شيئاً عبر مسافة بعيدة من هنا والآن.."

فقلت: ".. هيا، افعلي.."

قالت: ".. استلقي على العشب واسترخي.. سلّم تماماً بحيث يتوقف جسدك من سحب كمية كبيرة من الطاقة الحيوية. من المهم جداً أن تكون مرتاح ومسترخي. هل من شيء يعيق سبيلك؟ والآن فكّر بالشخص الذي تعرفه جيداً.. زوجتك مثلاً.

".. تذكر عاداتها، كيف تمشي، ملابسها، أين يمكن أن تكون الآن، وحوّل كامل الأمر إلى خيالك.."

نفذ فلاديمير كامل التعليمات، إذ تصوّر زوجته وهو يعلم أنها سوف تكون في الوقت الحالي في المنزل الريفي. تصوّر فلاديمير أيضاً ذلك المنزل وبعض مفروشاته ومحتويات أخرى. تذكر أشياء كثيرة وبالتفصيل، لكنه لم يرى شيئاً. أخبر أناستازيا عن ذلك فأجابت:

".. أنت لم تستطع أن تسترخي بالكامل كما لو أنك تغطس في النوم.. دعني أساعدك.. أغمض عينيك ومدّ يديك باتجاهاتها المعاكسة.."

بعد أن أغمض فلاديمير عينيه شعر بأصابعها تلمس أصابعه.. فبدأ يستغرق بنوع من الحلم أو نوع من الدوار الصاحي. وبعدها بلحظات.. بدأ يرى.. ها هي زوجته واقفة وسط مطبخ المنزل الريفي. فوق فستانها المعتاد لبست بلوزة صوف مما يعني أن المنزل كان بارداً. يبدو أنه يوجد مشكلة في نظام التدفئة. كانت زوجته تصنع القهوة على مدفئة الغاز. وهناك شيء آخر موضوع في صحن الكلب. كان وجه زوجته عابس وغير سعيد. كانت حركاتها متلكّئة.

لكن فجأة، أدارت رأسها وتوجهت مسرعة إلى النافذة ونظرت إلى المطر في الخارج وابتسمت. كانت القهوة على المدفئة تغلي وتفور. لكنها هرعت إلى غلاية القهوة ورفعتها دون أن تتذمر أو تغضب كما هي العادة. بدأت تخلع بلوزة الصوف... لكن فلاديمير استيقظ حينها ولم يعلم ماذا حصل.

سألته أناستازيا: ".. حسناً، هل رأيت شيئاً؟.."

أجابها: ".. نعم فعلت، وقد رأيتها.. لكن أين البرهان على أن ما شاهدته قد حصل فعلاً، أي كيف أعرف أن زوجتي كانت فعلاً هناك في المطبخ عندما رأيتها في حلمي؟.."

فأجابت واثقة: ".. تذكر هذا اليوم وهذه الساعة يا فلاديمير.. إذا أردت فعلاً البرهان ما عليك سوى سؤالها بعد عودتك إلى المنزل.. لكن ألم تلاحظ شيئاً آخر غير عادي في حلمك؟.."

قال: ".. لا أفكر بشيء له أهمية.."

قالت: ".. تقصد بالقول أنك لم تلاحظ الابتسامة على وجه زوجتك عندما اقتربت من النافذة؟.. كانت تبتسم، ولم تغضب عندما فارت القهوة وانكبت على الأرض.."

قال: ".. صحيح أنني لاحظت ذلك.. ربما رأت شيئاً مثيراً خارج النافذة مما جعلها تشعر بشكل جيد.."

قالت: ".. كل ما رأته في الخارج هو المطر الذي لم تحبه يوماً.."

فقال سائلاً: ".. لماذا إذاً كانت تبتسم؟.."

قالت: ".. أنا أيضاً كنت أشاهد زوجتك عبر إشعاعي الخاص، لكنني قمت بتدفئتها قليلاً.."

فقال: "..إذاً إشعاعك قام بتدفئتها، لكن ماذا عن إشعاعي؟ هل هو بارد عديم الجدوى؟.."

قالت: ".. أنت كنت تشاهد بدافع الفضول فقط، لكنك لم تدخل المشاعر في العملية.."

قال: ".. إذاً، إشعاعك يستطيع تدفئة الناس عبر مسافة بعيدة؟.."

قالت: ".. نعم، يستطيع فعل ذلك.."

قال متسائلاً: ".. وماذا يستطيع فعله أيضاً؟.."

قالت: ".. يمكنه جمع أنواع معينة من المعلومات أو إرسالها.. يستطيع إبهاج مزاج الشخص ويزيل المرض منه.. يوجد الكثير من الأمور التي يمكنه فعلها، فهذا يعتمد على الطاقة المتوفرة لدي ودرجة المشاعر وبالإضافة إلى الإرادة والرغبة.."

قال: ".. هذا مثير فعلاً.. تقولين أن كل شخص يمكنه الحيازة على إشعاع كهذا؟.."

قالت: ".. طبعاً كل فرد يستطيع. حتى اليوم لازال الناس يملكون المشاعر والحدس والقدرة على الحلم بأمور مستقبلية، كما يستطيعون تصوّر مواقف معينة وكذلك الأحلام العادية التي تأتيهم في النوم.. لكن كل هذه الأمور تبقى فوضوية وتلقائية وغير مسيطر عليها.."

قال فلاديمير متسائلاً: ".. ربما نوع معيّن من التدريب ضروري.. نوع من التمرين ربما؟.."

لكن أناستازيا أشارت إلى شروط أخرى غير التمرين والتدريب، وتتعلق غالباً بطريقة الحياة وطريقة التفكير التي يتصف بها الإنسان العصري. المشكلة بكاملها تبدأ منذ ولادة الطفل!

انتهى الاقتباس

التلفزيون البيولوجي

أثبتت **أناستازيا** نقطة مهمة لطالما حاول الكثيرون إظهارها عبر التاريخ، وهي أن لدى الإنسان قدرة كامنة بداخله تمكنه من مشاهدة أفراد وحوادث وحالات مختلفة عبر مسافة بعيدة، وهي مشابهة تماماً للتقنية التي يستند عليها التلفزيون، أي كما نمضي وقتنا في مشاهدة المسلسلات والأخبار والبرامج المختلفة فإن أناستازيا أيضاً تمضي وقتها في السفر عبر مسافات وتطلع على أخبار الأسر والأفراد وغيرها من أمور تجذب فضولها. والفرق هو أن ما نشاهده من مسلسلات وأخبار هو مفبرك وكاذب وغير واقعي بينما ما تشاهده أناستازيا هو حقيقي وله أساس واقعي.

صورة فنية تبين أناستازيا تنتقل وجدانياً وروحياً مع إشعاعها نحو المكان المستهدف، وهي حالة نعرفها نحن بظاهرة الخروج عن الجسد

....

علاج الناس من المشاكل الصحية والحياتية بحاجة إلى تأنّي وحكمة، وليس هناك أعلى من الحكمة الإلهية

في مكان آخر من الكتاب، من بين المواضيع التي طرحها فلاديمير خلال محاولة إغراء **أناستازيا** بالمرابح الهائلة التي يمكن كسبها من مواهبها الاستثنائية كان موضوع العلاج الذي زعم بأنه سوف يدر عليهما الملايين. وجرى بينهما الحوار التالي:

قال فلاديمير: ".. حسناً يا أناستازيا، ليس مهماً كيف تتجلى هذه القدرة لديكِ، المهم هو النتيجة وما يمكن أن تجلب لنا من فوائد.. قولي لي، هل تقبلين أن ترافقيني وتعملي في علاج الناس؟.."

أجابته أناستازيا: ".. يا فلاديمير، كما ترى، منزلي هو هنا.. هذا هو موطني وإليه أنتمي.. فقط من خلال بقائي هنا يمكنني تحقيق الغاية من وجودي.. لا شيء يمنح الإنسان قوة أكثر من موطنه، فسحة الحب التي خلقها والداها.. أما بخصوص علاج الناس وتخليصهم من أمراضهم فأستطيع فعل ذلك من هنا بمساعدة إشعاعي.."

قال فلاديمير: ".. حسناً إذاً.. إذا لم ترغبي في السفر، يمكنكِ أن تقومي بالعلاج من هنا.. يمكننا أن نجري بعض الترتيبات لتحديد زمان ومكان إرسال قوة العلاج. سوف يدفعون المال وأنتِ سوف تعالجينهم في وقت محدد. سوف نضع جدولاً خاصاً لعمليات العلاج. هل توافقي على ذلك؟.."

قالت: ".. يا فلاديمير، أنا أعلم أنك تريد كسب الكثير من المال.. سوف تحصل عليه.. أنا سوف أساعدك.. لكن هذه ليست الطريقة المناسبة للكسب.. في عالمك يطلبون المال مقابل العلاج، إذ ليس هناك أي طريقة أخرى في عالمكم.. لكنني أفضّل أن أعالج دون طلب المال.. بالإضافة إلى ذلك، أنا لا أستطيع علاج الجميع بشكل عشوائي، إذ أنني لم أكسب الحكمة الكافية التي تمكنني من معرفة أي حالات علاجية تكون نافعة وأيها

تكون ضارة ومؤذية. لكني سأحاول أن أكسب الحكمة في ذلك، إذ وجب الحذر والتفهّم أكثر في هذا الموضوع. ومجرّد أن أقدر معرفة..."

قاطعها فلاديمير قائلاً: ".. أي كلام سخيف هذا؟.. كيف يمكن للعلاج أو الشفاء أن يكون ضاراً؟.. أو هل تقصدين أنه ضاراً بالنسبة لكِ؟.."

قالت موضّحة: ".. إن علاج الأمراض الجسدية قد يجلب الأذى للشخص الذي عولج.."

قال فلاديمير: ".. يبدو يا أناستازيا بأن حنكتك الزائدة كونت لديكِ مفهوم خاطئ بخصوص الخير والشرّ.. لطاما كان الأطباء محط احترام من قبل المجتمع، حتى لو لم يخدموا الناس مجاناً.. وبما أنك تقتبسين من الكتاب المقدس دائماً فسوف تجدين بأن هذا العمل ليس محرماً فيه. لذلك عليكِ التخلّص من هذه الشكوك من رأسك.. لطالما اعتبر علاج الناس أمراً جيداً.."

قالت: ".. يا فلاديمير، أنا أعرف هذه الحقيقة من خلال خبرة سابقة.. علمني جدّي مثالاً على الأذى الذي قد يجلبه العلاج عندما لم يتم التفكير جيداً بالأمر،إذا لم يساهم المريض ذاته في عملية العلاج.."

قال فلاديمير: ".. أي نوع من الفلسفة لديكِ هنا! أنا أعرض عليكِ مشروع شراكة في عمل مربح.. ما علاقة هكذا أمثلة بالموضوع؟.."

راحت أناستازيا تروي ما اختبرته في إحدى الحالات:
".. في أحد الأيام رأيت من خلال إشعاعي مرأة عجوز تعمل في حديقتها الصغيرة. كانت نحيفة ومبتهجة دائماً. جذبت اهتمامي مباشرة. كان لديها قطعة أرض صغيرة لكن هناك الكثير من المزروعات المختلفة التي تنمو فيها. وكانت تنمو بشكل جيد لأنها كانت ترعاها بمحبة.."

".. ثم عرفت لاحقاً بأن هذه المرأة العجوز تضع كل ما زرعته في سلة ثم تأخذه إلى البلدة لبيعها. حاولت أن لا تأكل من المنتوجات المبكرة لحديقتها بل باعتها لكي تحصل على سعر أعلى. كانت بحاجة إلى المال لكي تساعد ابنها. لقد ولدته في سن متأخرة وبعدها بقليل صارت أرملة. أقربائها لم يتصلوا بها أبداً. كان ابنها يحب الرسم منذ طفولته وكان لها أحلام مستقبلية ترى فيها ابنها فناناً ناجحاً.."

".. حاول عدة مرات أن يلتحق بمدرسة مناسبة لكي يكمل دراسته وقد نجح في النهاية. وكان يأتي مرة أو مرتين في السنة لزيارة والدته العجوز. كانت هذه الزيارات أجمل المناسبات في حياتها، وفي كل مرة كانت تجمع المال الذي كسبته من زراعتها وتخبئه جانباً من أجل ابنها، ذلك مع بعض المؤن الغذائية التي سوف يأخذها معه عند رحيله. ومع اقتراب موعد عودته تقوم بوضع بعض الخضروات في المرطبانات الزجاجية وتحكم إغلاقها وتعطيه كامل ما جمعته عندما يصل.."

".. كانت تحبه كثيراً، وتستمر في الحلم دائماً كيف سيصبح ابنها فناناً مشهوراً. كانت تعيش على ذلك الحلم. كانت المرأة كريمة ومبتهجة دائماً.."

".. ثم لفترة من الوقت لم أعد أراقبها حيث انشغلت بمواضيع أخرى، لكن في المرة التالية التي رأيتها فيها كانت مريضة جداً. كانت تواجه صعوبة في الإنحناء والعمل على مزروعاتها ف الحديقة. كلما كانت تنحني كان يصيبها ألم شديد في جسدها بالكامل.."

".. لكن تبين أنها واسعة الحيلة، حيث جعلت المساكب طويلة وضيقة. وكل مرة ذهبت إلى الحديقة أخذت معها مقعد خالي من الأرجل بحيث يمكنها الجلوس عليها خلال العمل على زرع المساكب. وبهذه الطريقة أصبح بإمكانها العمل في كافة أنحاء الحديقة دون حاجة للانحناء. كانت تسحب السلة بواسطة حبل رفيع. وكانت تتوقع حصاد جيد.."

".. يبدو فعلاً وكأن الحصاد سيكون وفيراً في تلك السنة، لأن النباتات شعرت بحالتها العقلية فاستجابت وفقاً لذلك. شعرت المرأة بأنها ستموت قريباً، ولكي تسهّل الأمور على ابنها، اشترت تابوت وكفن ورتبت كافة إجراءات الجنازة.."

".. لكن رغم ذلك أصرّت على الحصول على الحصاد الأخير من حديقتها لكي تحضّر مونة الطعام الشتوي لابنها قبل أن تموت.وتابعت أناستازيا قائلة لم ألقي أي انتباه للسبب الذي جعلها تمرض رغم تواصلها القريب مع النباتات. ظننت ربما لأنها لم تأكل كثيراً من حصاد الحديقة. كانت تبيع كل ما حصدته لأنها بحاجة إلى المال لشراء ما تحتاجه من أساسيات.."

".. قررت مساعدتها، وفي أحد الليالي عندما استلقت في الفراش للنوم بدأت التأثير عليها بواسطة إشعاعي، فأزلت كل الآلام من جسمها. كنت أشعر بعض المقاومة أمام إشعاعي لكن رغم ذلك كررت المحاولة. استمرت العملية مدة عشر دقائق إلى أن نجحت أخيراً في شفاء جسدها بالكامل.."

".. بعدها، عندما جاء جدّي لزيارتي، أخبرته عن المرأة العجوز. سألته لماذا الإشعاع واجه مقاومة. فكر في الأمر قليلاً ثم قال لي أنني قمت بعمل خاطئ. وهذا جعلني مهتاجة بالحزن والخوف.."

".. رحت أطلب من جدّي أن يشرح لماذا. في البداية لم يتكلم. ثم قال: لقد شفيتي الجسد فقط.."

".. كنت مندهشة.. فسألت: ما الضرر الذي يمكن أن أجلبه إلى روحها إذاً؟.."

تنهدت أناستازيا ثم تابعت روايتها:
".. لقد تحسنت صحة المرأة ولم تمت. جاء ابنها لرؤيتها في فترى أبكر من المعتاد. هذه المرة جاء لمدة يومين فقط، وقال لوالدته بأنه ترك دراسته ولم يعد رغب في أن يصبح

فنان. هو الآن يعمل في مجال مردوده المالي أكبر. لقد تزوج. والآن سوف يكون لديه الكثير من المال. كما أنه لم يعد يحتاج من والدته أن تحضر له تلك المرطبانات التافهة لأن نقلها سوف يكلفه مالاً إضافياً.. الآن تستطيعين أكل المزيد من الطعام يا أمي.."

".. رحل دون أن يأخذ شيئاً. وفي ذلك الصباح جلست المرأة في الشرفة ونظرت إلى حديقتها وكانت عيناها مليئتان بالإحباط والفراغ.. بدا واضحاً أنها لم تعد ترغب العيش. فجسدها كان سليماً معافى، لكن يبدو كأنه مفرغ من الروح والحيوية. رأيت، أو شعرت، ذلك الفراغ وفقدان الأمل في قلبها.."

".. لو أنني لم أشفي جسمها، لكانت هذه المرأة العجوز ماتت في موعدها الصحيح، لكانت ماتت بسلام وبقي أملها وحلمها الجميل قائماً. ها هي الآن، لازالت على قيد الحياة، لكن في حالة إحباط كبير، وكان هذا أكثر معاناة من الموت الجسدي.."

".. بعدها بأسبوعين توفيت.."

سبب اهتمام اناستازيا بفلاديمير وجذبه إليها

خلال إحدى الحوارات، سألته أناستازيا إذا كان يتذكر شيئاً من الماضي بحيث يمثل نقطة مهمة في حياته، فتذكر كيف تضمن قارب سياحي في أحد الأنهار الروسية وكيف قرر إغراء المرأة الجميلة التي طالما كان يحبها مع أنها لم تهتم لأمره أبداً، لكن عندما استأجر القارب لفت نظرها واهتمامها ودعاها في إحدى الليالي إلى القارب فأمضى سهرة من العمر معها. قالت له أناستازيا بأن تلك المرأة الجميلة خلال وجودها معه لم تفكر به بل كان فكرها مشغولاً بعشيقها الحقيقي وكم تمنت لو أنه واقفاً أمامها بدلاً من فلاديمير، وهذه الملاحظة أزعجته لأنه كان يعلم بذلك ولم يود تذكر تلك الفترة الحزينة بالنسبة له. لكن أناستازيا لفتت انتباهه إلى أمر مهم وهو أن القارب ومغامراته خلال استئجاره لا يشكل أي أهمية بل شيء آخر لم يفطن به فلاديمير وهو شجرة الكرز الصغيرة التي زرعها في حديقة منزله الريفي.

لكن قبل الحديث عن شجرة الكرز، ذكرته أناستازيا بإحدى المناسبات حين كان فلاديمير يدير قاربه السياحي في أحد الأنهار حين زارته فتاة غريبة، وبدأ فلاديمير يروي متذكراً تلك الفتاة الغريبة التي زارته يوماً في قاربه:

".. في أحد الأيام وخلال رسو القارب السياحي على ضفاف أحد البلدات، كنت جالساً في حجرتي أستمع إلى الموسيقى التي كانت تصدح من مطعم القارب، وكنت أحاول إجراء تعديلات في مسار الرحلة القادمة عبر النهر، لكن فجأة انتابني شعور بأن أحدهم يحدق إليّ.. التفتت إليها مباشرة ولمحت عينيها على الجانب الآخر من زجاج النافذة. هذا لم يكن أمراً غير عادياً، حيث طالما أحب الزوار النظر عبر النافذة لاستكشاف محتويات حجرات القارب.."

".. نهضتُ من مكاني وفتحت النافذة لم تبارح مكانها بل استمرت في النظر إلي مع بعض من الحياء والخجل. شعرت بأنه علي أن أفعل شيئاً لهذه المرأة الواقفة وحيدة هناك في الخارج أمام حجرتي. رحت أتساءل لماذا لم تكن ترقص وتمرح مع باقي الفتيات في

باحة القارب. ربما هي حزينة؟ عرضت عليها أن أريها المكان في القارب فهزت رأسها بصمت إشارة لموافقتها. أخذتها إلى كافة أنحاء القارب وأريتها المكتب الرئيسي الذي طالما كان يبهر الزوار بمفروشاته ومقتنياته الفاخرة. ثم دعوتها للدخول إلى حجرتي التي كانت مفروشاتها فاخرة أيضاً. ربما كنت مسروراً لإبهار فتاة ريفية بسيطة من خلال استعراض إنجازات عالمنا المتحضّر.."

".. فتحت لها علبة حلويات وسكبت كأسين من الشمبانيا، ولكي أضيف لمسة مكملة لإثارة الأجواء مما يزيد من انبهارها شغلت شريط فيديو يعرض أغاني جميلة. أما الفتاة، فبالكاد لمست الكأس شفتيها ثم نظرت إلي بقوة ثم سألت: .. إنه تحدي كبير أليس كذلك؟.."

".. لقد توقعت كافة أنواع الأسئلة ما عدا هذا السؤال. هذه الرحلة تواجه فعلاً تحدي كبير بسبب سوء ظروف الإبحار في النهر بالإضافة إلى أن معظم طاقم القارب يدخنون المخدرات ويسرقون البضاعة من المخزن، وأيضاً لقد تأخرنا عن المواعيد المحددة للرحلة.. وغيرها من مصاعب ومشاكل أخرى سرقت مني حتى الراحة والنوم العميق.."

".. تمتمت كلمات عديمة المعنى، لكنها تشبه عبارات مثل: هذا أمر عادي.. سوف نتمكن من النفاذ عبر هذه المرحلة، ثم التفت ونظرت إلى النافذة ورحت أمسح كأس الشمبانيا بيدي.."

".. رحنا نتحدث عن هذا وذاك من الأمور العادية، ثم نستمع إلى الموسيقى الصادرة من الفيديو الذي شغلته. استمرّ حديثنا إلى أن توقف القارب مرّة أخرى في الموقف التالي. ثم رافقتها إلى مخرج القارب. لكن مع عودتي إلى حجرتي خطر في ذهني ملاحظة مهمة، هناك شيء غريب جداً وغير طبيعي بخصوص هذه المرأة. لكنني شعرت بعد هذا اللقاء بالتفاؤل وراحة البال. وفي تلك الليلة نمت نوماً عميقاً وهنيئاً لم أشعر به منذ أيام عديدة.. وأخيراً عرفت لماذا. تلك المرأة التي زارتني في القارب كانت أناستازيا.."

قالها كما لو أنه اكتشف شيئاً مهماً: ".. إذاً كنتِ أنتِ يا أناستازيا؟!.."

قالت: ".. نعم، هناك، في حجرتك قمت بتسجيل كل تلك الأغاني التي سمعناها في ذاكرتي، وهي ذاتها الأغاني التي غنيتها لك الليلة الماضية في الغابة. كانت الأغنيات تصدح بينما نحن كنا نتكلم ومع ذلك حفظتها جميعاً.. هل رأيت كم هي العملية بسيطة؟.."

سألها متعجباً: ".. كيف استطعتِ المجيء إلى متن القارب؟.."

قالت: ".. كنت مهتمة في معرفة كيف تجري الأمور هناك وكيف كنتم تعيشون. فكما تعلم يا فلاديمير، لقد أمضيت عمري كله أهتم برعاية المزارع الريفية.."

فتابعت أناستازيا في رواية قصتها حول موضوع القارب: ".. في ذلك اليوم أسرعت إلى القرية وبعت الفطر المجفف الذي جمعته لي السناجب، ثم اشتريت بطاقة صعود إلى القارب والاشتراك بالحفلة الجارية على متنه. الآن أصبحت أعلم المزيد بخصوص المقاولين أمثالك. وأنا أعلم الكثير عنك أيضاً.."

ثم قالت: ".. أشعر بأنني مدينة لك باعتذار كبير. لا أعلم كيف يمكن للأمور أن تنتهي، حيث قمت دون قصد بتحويل قدرك ومصيرك. لكنني لا أستطيع فعل شيء حيال الأمر. من الآن سوف تواجه مع أسرتك بعض المصاعب لبعض من الوقت، لكنها سوف تمر بسلام.."

ملاحظة: الحوار الذي دار بينهما كان طويلاً وما من داعي لذكره هنا، لكن تبيّن أن الفتاة الغريبة التي زارته على قاربه كانت أناستازيا وقد نال اهتمامها فلاديمير بسبب مسألة شجرة الكرز. حينها بدأت تهتم بأمره، إلى أن تحوّل هذا الاهتمام إلى حب وعشق. فجذبته إليها عبر موضوع أشجار الأرز الرنانة الذي شغل اهتمامه والذي قاده إلى الغابة حيث كانت تعيش. بهذا قصدت أناستازيا أنها غيّرت مسار قدره. أما مسألة

شجرة الكرز التي كانت السبب الرئيسي لاهتمام اناستازيا بفلاديمير أصلاً، فهي قصة ثانية وسوف نتعرف عليها من خلال الحوار التالي:

شجرة الكرز

قالت أناستازيا: ".. إن كل ما يحصل من أحداث في الحاضر هو نتيجة دوافع ومشاعر سابقة للروح، وهي فقط التي تحدد المستقبل. وأنه فقط قوتها الدافعة (زخمها)، فقط رفرفة جوانحها، هي التي تنعكس بوضوح في مرايا السماء. وفقط نبضاتها وإلهاماتها سوف تنعكس في الأحداث الحاصلة هنا على الأرض.."

سأل فلاديمير محتاراً: ".. ماذا تقصدين بذلك؟.."

قالت: ".. قد يكون لقائنا ناتج من تراكم الكثير من غايات الروح في كلانا.. أو ربما أيضاً نابع من روح أسلافنا القريبين أو البعيدين. أو ربما قد يكون نتيجة نبضة صغيرة من شجرة الكرز التي تنمو في حديقة منزلك الريفي. لكن بكل تأكيد ليس من قاربك السياحي.."

قال فلاديمير: ".. وما علاقة شجرة الكرز التي في حديقتي بالموضوع؟.."

قالت: ".. عندما سألتك أن تتذكر شيئاً في الماضي بحيث يمثل نقطة مهمة في حياتك، في كافة تأملاتك إلى الماضي لم تنتبه أبداً لتلك الشجرة ولمشاعرك المرتبطة بها، مع أن هذه المشاعر لعبت دوراً رئيسياً في حياتك بالسنوات القليلة الماضية. الكون لم يتفاعل مع قاربك الذي أنت مبهور به. فقط فكّر في الموضوع، ماذا يمكن لآلة مادية عاجزة عن التفكير أن تعنيه بالنسبة للكون؟.."

".. لكن شجرة الكرز.. تلك الشجرة السيبيرية الصغيرة، والتي لم تستطع حتى خلق مكان لها في ذاكرتك، قامت باستثارة الامتداد الكوني وغيّرت مسار الزمن والتاريخ.. وليس فقط

قدرك وقدري. لأنها كائن حيّ، وكما الكائنات الحيّة الأخرى، لديها تواصل دائم غير منقطع مع الخلق ككل.."

".. حاول أن تتذكر يا فلاديمير كل شيء يتعلق بتلك الشجرة. عد بذاكرتك إلى البداية حيث أجريت أوّل تواصل معها.."

قال فلاديمير: ".. سوف أحاول التذكّر، إذا كنتِ تظنين بأنه أمر مهم.."

قالت: ".. نعم، هو أمر مهم.."

قال فلاديمير متذكراً: ".. كنت في سيارتي ولم أتذكر إلى أين كنت متوجهاً. توقفنا بالقرب من السوق المركزية. طلبت من سائقي أن ينزل ويشتري بعض الفواكه. بقيت في السيارة ورحت أشاهد الناس يخرجون من السوق حاملين كافة أنواع الشجيرات الصغيرة.."

سألته أناستازيا: ".. شاهدتهم وكنت متفاجئاً.. لماذا؟.."

أجاب فلاديمير: ".. كانت وجوههم سعيدة وراضية.. بالرغم من أن الجو كان بارداً وماطراً في الخارج.. كانوا يحملون نوع من الشجيرات التي كانت جذورها مغطات بالقماش.. تلك الشجيرات كانت ثقيلة، لكن رغم ذلك كانت وجوه الناس راضية، بينما أنا رغم جلوسي في سيارتي الدافئة كنت حزيناً.."

".. عندما عاد السائق، خرجت أنا من السيارة وتوجهت بنفسي إلى السوق المركزية. رحت أسير ذهاباً إياباً بين الأشجار التي يبيعها التجار إلى أن اشتريت ثلاثة شجيرات كرز. وخلال رمي تلك الشجيرات في صندوق السيارة، قال لي السائق بأن إحدى الشجيرات لن تعيش لأن جذورها قد تم قصها بحيث صارت قصيرة وبالتالي علي رميها

والتخلص منها، لكنني رفضت وقررت الإبقاء عليها. كانت هذه الشجيرة الأكثر جمالاً بين الثلاثة. فذهبت بعدها وزرعت الشجيرات في منزلي الريفي.."

".. بعد زرعها جميعاً قمت بإضافة نسبة أكبر من السماد للشجيرة ذات الجذور القصيرة كما وضعت المزيد من كمية التربة فوق كعبها.."

قالت أناستازيا تذكره: ".. من خلال محاولتك مساعدتها قمت بحرق المزيد من الجذور الصغيرة لهذه الشجيرة بواسطة السماد الإضافي.."

قال فلاديمير: ".. لكنها عاشت!.. في الربيع، عندما راحت البراعم تنمو في الشجيرات بدأت أغصان هذه الشجيرة تحيا أيضاً.. كما بدأت تظهر الوريقات الجديدة الصغيرة.. بعدها مباشرة انطلقت في رحلتي التجارية التي انشغلت بها في تلك الفترة.."

قالت أناستازيا: ".. لكن قبل ذلك، لمدة أكثر من شهرين، كنت تذهب بسيارتك يومياً إلى المنزل الريفي وأوّل شيء تفعله هناك هو التوجه نحو تلك الشجيرة الصغيرة لترى كيف تجري الأمور معها.. وبعض المرات كنت تملس أغصانها وتلاطفها.. كنت سعيداً جداً لرؤية الوريقات الجديدة، وداومت باستمرار في سقي تلك الشجيرة.. كما غرست عودة في الأرض بقربها وربطها بجذع الشجيرة لكي لا يكسرها الريح الشديد.."

أضافت أناستازيا: ".. قل لي يا فلاديمير، هل تؤمن بقدرة النباتات على الاستجابة لمزاج الناس تجاهها؟.. هل تعتقد بأنها تشعر بالأفكار السيئة أو الجيدة؟.."

أجابها فلاديمير: ".. لقد سمعت أو قرأت في مكان ما بأن النباتات المنزلية والزهور تستجيب وتتفاعل بهذه الطريقة.. حتى أنها تذبل عندما يغيب الذين يعتنون بها.. سمعت عن تجارب علمية قاموا خلالها بوصل مجسات بنباتات متنوعة وكان مؤشّر الجهاز يتصرف بطريقة معينة إذا تم الاقتراب من النباتات بأفكار عدوانية، وبطريقة مختلفة إذا تم الاقتراب منها بأفكار ودودة.."

قالت أناستازيا: ".. إذاً يا فلاديمير أنت سمعت بإمكانية تفاعل النباتات مع التعبيرات المختلفة للعواطف الإنسانية.. بالإضافة إلى ذلك، وفقاً لتصميم الخالق الأعظم، هذه النباتات تتوق بكل ما عندها من قوة لفعل ما بوسعها لتلبية حاجات الإنسان.. هي تنتج الفاكهة، وتحاول استنهاض المشاعر الإيجابية في الإنسان من خلال استعراض زهورها الجميلة والمحببة.. كما أنها تساهم في إنتاج الأوكسيجين لكي نتمكن من التنفس والحياة.."

".. لكن النباتات مُنحت أيضاً وظيفة أخرى لا تقل أهمية.. النباتات التي تكون على اتصال مباشر مع فرد معين تقوم بخلق فسحة حب حقيقي خاصة لذلك الفرد. إنه ذلك النوع من الحب الذي في غيابه تكون حياة العرق البشري مستحيلة.."

".. الكثير من أصحاب المزارع الريفية يتلهفون للذهاب إلى مزارعهم لأنه هناك يتم خلق فسحات الحب هذه من أجلهم. وشجيرة الكرز الصغيرة هذه والتي قررت زرعها، والتي قمت برعايتها بنفسك، حاولت أن تقوم بواجبها ووظيفتها التي خلقت من أجلها كما كل النباتات.."

".. إذا كان عددها كبيراً، يمكن للنباتات أن تخلق للإنسان فسحة حب هائلة، خصوصاً إذا كانت مختلفة الأنواع وراح الإنسان يتواصل معها ويعاملها بمحبة.. يمكن للنباتات المتنوعة أو المجتمعة أن تخلق للإنسان فسحة حب تعمل على تعزيز الروح وتجعل الجسد كامل وسليم ومعافى.."

".. كما ترى يا فلاديمير، لكي تتشكل فسحة حب هائلة فالأمر بحاجة إلى مجموعة متنوعة من النباتات، لكنك أنت لم ترعى سوى نبتة واحدة بين مجموعة النباتات الأخرى، وبالتالي شجيرة الكرز هذه بدأت تطمح إلى تحقيق ما لا يمكن تحقيقه سوى من قبل مجموعة نباتات مجتمعة.."

".. طموح هذه الشجيرة تم استثارته من قبل علاقتك الخاصة بها دون غيرها. وهو شيئاً لم تدركه أنت سوى بديهياً، إذ من بين كل محيطيك لا يوجد سوى هذه الشجيرة التي لا تطلب منك شيئاً، هي لم تكن منافقة، بل فقط تطمح لتمنح من ذاتها.. ثم جئت في يوم من الأيام وكنت متعباً جداً بعد يوم صاخب بالعمل، وتوجهت إلى تلك الشجيرة ووقفت وتأملت. لقد نظرت إليها وهي استجابت لك دون أن تشعر.. قررت فعل شيئاً من أجلك.."

".. قبل أن يظهر ويكتمل أوّل إشعاع في فجر الصباح، حاولت أوراق الشجيرة التقاط انعكاس ذلك الإشعاع في السماء الساطعة.. وعندما غربت الشمس بعيداً حاولت الشجرة استخدام نور أحد النجوم الساطعة.. ومع إصرارها أكثر، شيئاً ما تجلى رويداً رويداً، كان شيئاً دقيقاً تجلى.. راحت جذور الشجيرة تلتف حول موقع السماد الحارق وتمكنت أخيراً من أخذ ما تطلبت من تربة الأرض.. وبدأت عصائر التربة تجري عبر عروق الشجيرة بوتيرة أسرع من المعتاد.. وبعدها، في أحد الأيام، في ساعة باكرة صباحاً، جئت ورأيت الزهور الصغيرة التي ولدتها الأغصان الطرية للشجيرة. الشجيرات الأخرى لم تنتج أي أزهار. لكن هذه الشجيرة، والفضل يعود إلى اهتمامك بها، قد أزهرت. وأنت كنت مبتهجاً.. كانت روحك عالية، ومن ثم... هل تتذكر ماذا فعلت يا فلاديمير بعد رؤية الأزهار؟.."

قال فلاديمير: ".. كنت فعلاً مسروراً بشكل كبير. كان مزاجي لسبب ما مرتفعاً، شعرت بالخفّة في رأسي.. توجهت إلى الشجيرة ولاطفت أغصانها بيدي.."

تابعت أناستازيا: ".. لقد ملست أغصانها بلطف، وقلت حسناً يا جميلتي، يبدو أنكِ أزهرتي.."

".. أنت ترى الأشجار يا فلاديمير وترى أوراقها والفاكهة التي تثمرها.. لكن يوجد أكثر من ذلك، هذه الأشجار تخلق فسحة حب. تلك الشجيرة الصغيرة أرادت كثيراً أن يكون لك فسحة الحب هذه. لكن أين هو المكان الذي تجد فيه تلك الشجيرة القوة الازمة لمبادلة

الإنسان ما تلقته منه؟.. لقد حاولت وحاولت وقد سبق ومنحت كل ما لديها من قوة، وها قد تلقت شيئاً استثنائياً إضافياً.. وهو مبادرة لطيفة تجاهها وتجاه الزهور التي ولدتها. فتولدت لديها الرغبة لفعل المزيد! ولوحدها!.."

".. بعدها ذهبت في رحلتك التجارية الطويلة، وبعد إنجاز رحلتك وعودتك أوّل شيء فعلته هو التوجه إلى الحديقة وإلقاء نظرة على شجيرة الكرز الصغيرة.. لكن مع سيرك باتجاهها كنت تأكل الكرز الذي اشتريته من السوق. ومع اقترابك من الشجيرة لاحظت وجود ثلاثة حبات كرز حمراء نامية على أغصانها. وقفت هناك بجانبها وكنت متعباً لكنك استمريت في أكل الكرز الذي اشتريته وتبصق بذوره. ثم قطفت إحدى حبات الكرز النامية على الشجيرة وأكلتها متذوقاً طعمها. وكان بالفعل طعمها مرّ وأقل حلاوة من تلك التي اشتريتها من السوق. أما الحبتين الباقيتين على الشجيرة فتركتهما.."

قال فلاديمير: ".. لقد شبعت من أكل الكرز. وهذه الحبة التي للشجيرة كانت أكثر مرارة بالفعل.."

قالت أناستازيا: ".. آه، لو كنت تعلم يا فلاديمير كم من القوة كانت تحتويه تلك الكرزات الثلاثة والنافعة جداً لك!.. كم من الطاقة والمحبة!.. من أعماق الأرض وامتداد الكون.. وأكثر بكثير.. جمعت الشجيرة كل شيء مفيد ومساعد لك وراكمتها جميعاً في هذه الحبات الثلاثة. حتى أنها سمحت لإحدى أغصانها أن تذبل وتموت فقط من أجل أن تجعل هذه الحبات الثلاثة تنضج.. وقد تذوقت واحدة منها فقط، وتركت الحبتين الباقيتين تموتان على الشجرة.."

قال فلاديمير: ".. لم يكن لدي أي فكرة. لكن مع ذلك كنت سعيداً لأنها تمكنت من حمل الثمار.."

قالت: ".. نعم كنت سعيداً. لكن بعدها.. هل تتذكر ماذا فعلت هذه المرة؟.."

قال: ".. أنا؟.. حسناً، لاطفت أغصان الشجيرة أكثر.."

قالت: ".. لم تلاطفها فحسب، بل أنك انحنيت وقبلت الأوراق على الغصن الملقى على كف يدك.."

قال: ".. نعم، فعلت.. لأنني كنت في مزاج جيد جداً.."

قالت أناستازيا: ".. لكن بعدها، شيئاً عظيماً حصل للشجرة.. بدأت تتساءل، ماذا يمكنها أن تفعله أكثر من أجلك طالما أنك لم تقطف باقي الحبات التي نمتها بكل ذلك الحب من أجلك؟.. ماذا باستطاعتها فعله؟.."

".. لقد ارتجفت من قبلة الإنسان، والأفكار والمشاعر التي هي تابعة حصراً للإنسان قد تجلت في هذه الشجيرة، ثم انبعثت منها نحو الفضاء الكوني المشعّ.. وذلك من أجل أن تعيد للإنسان ما تلقته منه.. من أجل أن تبادل قبلة الإنسان بقبلة مفعمة بالحب.. أن يشعر بالدفء بها.. يحس بالمشاعر الساطعة، بفسحة الحب.. وضدّ كل القوانين الكونية التي مرّت عبرها الأمنية في رحاب الكون إلا أنها لم تجد مكاناً للمكوث.. لم تجد وسيلة لتجسّد الشجيرة نَفَسها وروحها.. لأنه، عدم إيجاد مكاناً للمكوث يعني الموت.."

".. ثم أعادت قوى النور إلى الشجرة تلك الأمنية المشعّة التي أرسلتها نحو الكون.. وذلك لكي تتخلص منها بداخلها لكي لا تموت.. لكن الشجرة عاندت ولم تقبل التقاطها!.. لقد استمرت رغبتها المتوهّجة النقية لتحقيق تلك الأمنية.."

".. كانت قوى النور حائرة بحيث لم تعد تعلم ماذا تفعل. قالت للشجرة: الخالق الأعظم غير مستعد لتغيير القوانين الثابتة من أجلك. لكن شجرة الكرز لم تموت.. بل تمكنت من التحمل والاستمرار، لأن فكرها وطموحها ومشاعرها كانت نقية جداً، ووفقاً لقوانين الخلق ككلّ، لا شيء يمكنه تدمير الحب النقي.. راحت الأفكار النقية لهذه الشجيرة تدور

حول روحك يا فلاديمير وحلمت أن تجد مكاناً للمكوث، مكاناً للازدهار. كانت وحدها في الكون، تحاول البقاء والازدهار، تطمح في أن تخلق لك فسحة حب خاصة بك.."

".. فجئت أنا إلى القارب في تلك الليلة محاولة أن أساعد وأحقق رغبة شجيرة الكرز في إيجاد مكان لمكوث محبتها، مكاناً لتجسيد تلك المحبة. رغم أنني لم أكن أعلم حينها إلى من بالضبط كانت موجهة.. حتى وجدتك هناك على القارب.."

سأل فلاديمير متعجباً: ".. تقصدين القول أن علاقتك معي بدأت من رغبتك في مساعدة الشجرة؟.."

أجابت أناستازيا: ".. علاقتي معك يا فلاديمير هي مجرّد.. علاقتي. من الصعب تحديد من يساعد من، أنا للشجرة أو الشجرة لي.. كل شيء في الكون متداخل ومتشابك. لا يمكنك فهم واستيعاب ما يحصل في الكون سوى من خلال ما يمكن استيعابه من أمور تجري في نفسك.. لكن الآن، مع وجودك هنا بجانبي، سوف أقوم بتجسيد رغبة الشجرة أخيراً.. هل يمكنني تقبيلك بالنيابة عن الشجرة؟.."

قال فلاديمير: ".. طبعاً يمكنك ذلك. طالما أنها تمثل الأمر الصائب الذي وجب فعله.. وعندما أعود للمنزل سوف آكل من ثمارها.."

أغمضت أناستازيا عينيها وضغطت بيديها على صدرها وهمست قائلة: ".. أشعري بهذا يا شجيرة الكرز الصغيرة.. أنا أعلم أنك تستطيعين الشعور به.. سوف أفعل الآن ما تمنيت أنت فعله.. هذه ستكون فعلاً قبلتكِ أيتها الشجرة.."

فوضعت أناستازيا يديها على كتفي فلاديمير وبدون فتح عينيها اقتربت نحوه ولامست خده بشفتيها وثبتت هكذا لفترة. وصفها فلاديمير بأنها قبلة غريبة، فقط ملامسة الخد. لكنها لم تكن كأي قبلة تلقاها من قبل. لقد استنهضت إحساس محبب بشكل استثنائي.

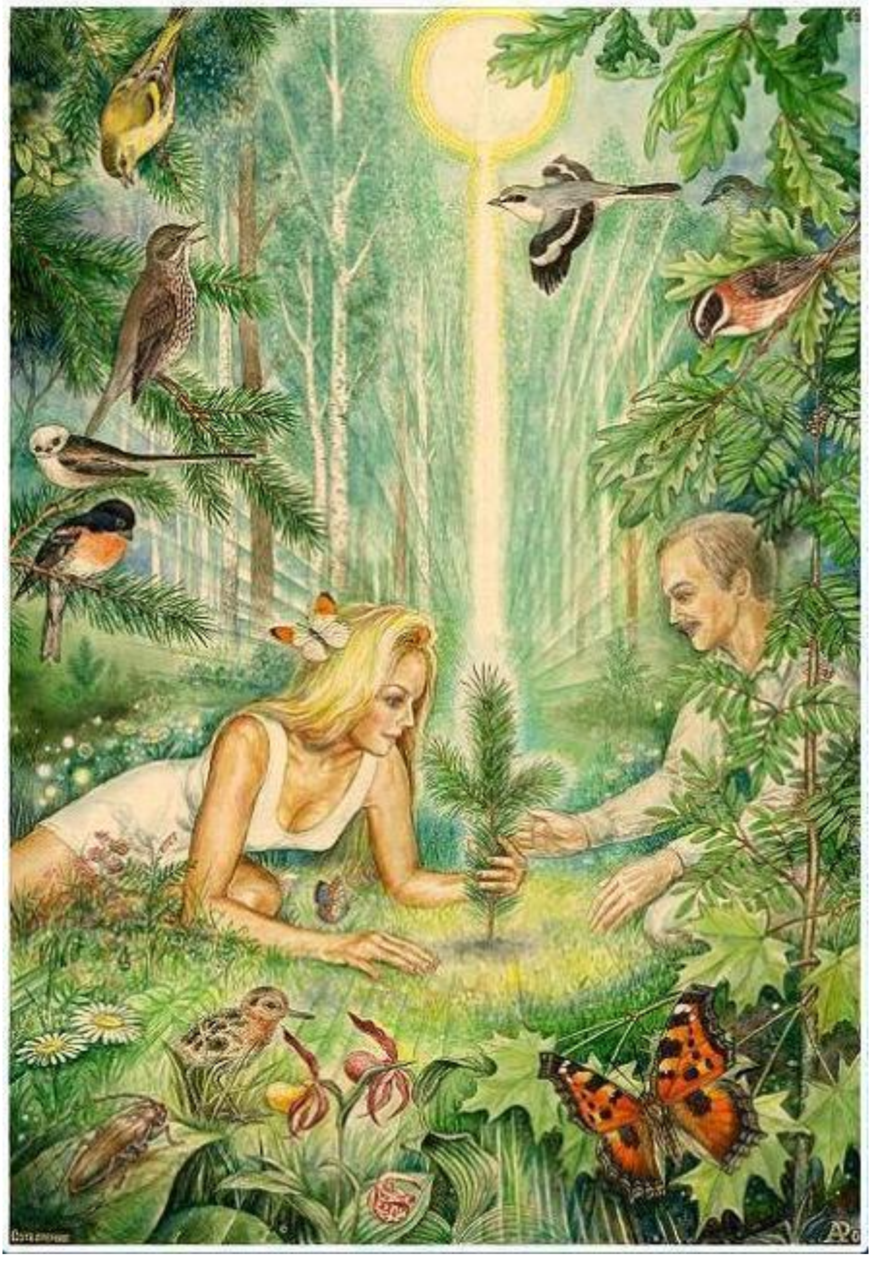

علاج كافة الأمراض موجود في نباتات حديقتك الخاصة

أحد الأسرار المنسية بخصوص زراعة البذور

تحدثت أناستازيا في أحد حواراتها عن القوة العلاجية العجيبة للنباتات، حيث النباتات التي تزرعها في حديقة منزلك يمكن تحويلها إلى دواء استثنائي قادر على علاج كافة الأمراض والعلل والأوبئة، لكن قبل أن تحصل على هذا الدواء العجيب من نبتة حديقتك المنزلية عليك أولاً التعرف على طريقة خاصة لزراعة بذورها. قالت شارحة الموضوع:

".. كل بذرة تزرعها تحتوي بداخلها على كمية هائلة من المعلومات بخصوص الكون. لا شيء صنعته يد الإنسان يمكن مقارنته بهذه المعلومات إن كان في الحجم أو الدقة. بمساعدة هذه المعلومات يمكن للبذرة أن تعرف التوقيت الدقيق، على مستوى أجزاء الثانية الواحدة، لزمن إحياءها ونموها، أي عصائر عليها استخلاصها من التربة، وكيف يمكنها استخدام أشعة الأجرام السماوية، مثل الشمس والقمر والنجوم، كما أنها تعلم بأي هيئة سوف تنمو وأي فاكهة سوف تثمر.."

".. هذه الثمار مُصممة لكي تحافظ على حياة الإنسان، وبطريقة أكثر قوة وتأثيراً من أي دواء اصطناعي يمكن أن يشهده الطب في الحاضر والمستقبل. هذه الثمار تستطيع منع وإحباط أي مرض يمكن أن يصيب جسم الإنسان.."

".. لكن من أجل التوصل إلى النتيجة المرجوة، وجب على البذرة أن تتعرف أكثر عن حالة الإنسان المعني. ذلك لكي تتمكن خلال نموها من إشباع ثمرتها بالمعايير المناسبة للمواد المخصصة لعلاج الفرد المعني من مرضه. حتى لو لم يمرض بعد إذ لازال معرّض لأن يمرض، فسوف تقوم الثمرة المذكورة سابقاً بشفاءه بالكامل حتى من المقومات التي سوف تؤدي إلى المرض.."

من أجل أن تتمكن بذرة الخيار أو البندورة أو أي نبتة منزلية أخرى من الحصول على المعلومات الخاصة بالشخص المريض وجب اتباع الخطوات التالية:

١ . أولاً، وجب على اشخص المريض أن يقوم هو بالإجراءات المذكورة لاحقاً، لأنه يمثل الشخص المعني الذي يتم برمجة البذور خصيصاً لعلاجه، ولكي تنجح هذه البرمجة على الشخص أن يقوم بالعملية بنفسه.

٢ . قبل زراعة البذرة، أو البذور، ضع واحدة أو مجموعة منها في فمك ثم ابقيها فيه، تحت اللسان، لمدة عشر دقائق على الأقل.

٣ . بعد مضي المدة المذكورة سابقاً أخرج البذرة (أو البذور) من فمك وضعها بين كفي يديك (أطبق عليها بالكفين) لمدة حوالي٣٠ ثانية. خلال هذه المدة من المهم جداً أن تقف حافي القدمين على أرض الحديقة، وتحديداً عند النقطة التي سوف تزرع فيها البذرة (أو البذور).

٤ . بعد مضي المدة المذكورة سابقاً، افتح يديك وارفعهما إلى مستوى الفم، ثم انفخ عليها بلطف عدة مرات، مدفئاً إياها بحرارة نَفَسك، حينها سوف تعرف هذه البذرة الصغيرة كل شيء تعاني منه.

٥ . والآن عليك حملها على كفيك المتوجهتين للأعلى لمدة ٣٠ ثانية، وكأنك تعرّضها للأجرام الفلكية. حينها سوف تحدد البذرة موعد صحوتها (أي نتوشها بالمصطلح العلمي). الكواكب سوف تساعدها في هذا الأمر، حيث سوف تقوم أيضاً بمنح البراعم نوع الإشعاع الذي تحتاجه لإنتاج الثمرة المناسبة تحديداً لك أنت.

٦ . بعد القيام بالإجراءات السابقة أصبح بإمكانك الآن زرع البذرة في الأرض. وجب عدم سقي البذرة مباشرة في أي حال من الأحوال، لأن هذا سوف يزيل اللعاب الذي يغطي البذرة، بالإضافة إلى إزالة المعلومات الأخرى التي علقت على البذرة من الخارج والتي لم تمتصها بعد. يمكن سقي البذرة بعد ثلاثة أيام من زرعها.

٧ . وجب أن تتم عملية زرع البذور في الأوقات المتوافقة مع مواعيد الرزونامة القمرية التي تحدد زمن زراعة كل نوع خضار (وهذه الروزنامة متوفرة لدى مزارعي الخضار، أنظر في الروزنامة القمرية التي أوردتها في نهاية هذا الموضوع). وفقاً لهذه المواعيد القمرية، فإن غياب الماء عند الزراعة قبل أوانها هي ليست ضارة مثل زراعتها بعد أوانها. لكن وجب أن يحاول الفرد زراعتها عند أوانها تماماً.

٨ . لا تُعتبر فكرة جيدة أن تقلع كافة الأعشاب النامية في مكان زرع البذور أو عندما تصبح براعم. اترك واحدة على الأقل من كل نوع من الأعشاب. وجب عدم إلغاء هذه الأعشاب كلياً من الموقع، لأن لها وظيفتها الخاصة لصالح البذور. بعض الأعشاب تخدم في حماية النبتة من المرض بينما بعضها الآخر تمنحها معلومات غذائية.

٩ . خلال زرع البذور، من المهم أن تسهمد جوانب الحفرة التي صنعتها للبذرة بحيث تصبح تربتها طرية. يمكنك فعل ذلك من خلال رصرصة جوانب الحفري بأصابعك أو حتى بإبهام قدمك. وبعدها، قبل أن تضع البذرة في الحفرة، أبصق بداخلها، وقد تعرفنا على أهمية المعلومات الموجودة في اللعاب.

١٠ . بعد زرع البذور، وتركها ثلاثة أيام دون سقي، ابدأ بسقي الموقع بماء تم فيها غسيل القدمين (دون استخدام صابون طبعاً). قم بذلك مرتين أو ثلاثة مرات على الأقل. تقول أناستازيا بأنه عبر عملية التعرّق الجارية عند القدمين تخرج مواد تحتوي على معلومات متعلقة بأمراض الجسد المعني. وهذه المعلومات تأخذها البذور عبر السقي بماء القدمين. والبذور بدورها تحوّل هذه المعلومات بعد معالجتها إلى الثمار التي تنتجها النبتة. وهذه الثمار تصبح محتوية على مضادات خاصة للأمراض الموجودة. كما أوصت أناستازيا بالمشي حافي القدمين بين النباتات المزروعة بين الحين والآخر.

وفقاً لأناستازيا، بعد القيام بالإجراءات السابقة يصبح بإمكان البذور أن تأخذ المعلومات المتعلقة بالشخص المعني والذي عليه أن يقوم بهذه الإجراءات بنفسه. وعندما يحين الحصاد، تكون الثمرة قد التقطت من الكون وكذلك من الأرض مكونات الخلطة النهائية للطاقات اللازمة لعلاج الشخص المعني.

تؤكّد أناستازيا بأن الثمار التي تنتج من البذرة التي عولجت بالطريقة الموصوفة سابقاً، والتي يتناولها الشخص المعني (الذي قام بزراعتها ورعايتها حتى نضج الثمر)، تصبح قادرة ليس على شفاءه فحسب من أي مرض مهما كان خطيراً، بل سوف تساهم بشكل مذهل في منع عملية التقدم بالعمر بحيث يبقى الفرد متمتعاً بالشباب لفترة طويلة. كما

أنها تخلصه من العادات السيئة وكذلك تزيد بشكل عجيب من قدراته الذهنية كما تمنحه شعور داخلي بالسلام.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الثمار التي تنتج بهذه الطريقة يكون طعمها مختلفاً تماماً من الثمار التي من نفس الفصيلة والتي نمت بطريقة عادية. لكن الاختلاف لا يتوقف عند الطعم فقط، بل في نسب المكونات الكيماوية، وهذه الحالة الأخيرة يمكن التأكد منها عبر التحليل المخبري. بكل بساطة يمكننا القول: بهذه الطريقة سوف تتحول الثمرة إلى دواء سحري يشفي من المرض المتجسّد في الشخص، مهما كان نوعه ودرجة خطورته.

سألها فلاديمير: ".. لكن أي نوع من النباتات يفضّل زرعها في الحديقة؟.."

أجابت أناستازيا: ".. نفس أنواع النباتات التي تُزرع عموماً في الحدائق المنزلية، مثل البندورة والخيار والكوسا وغيرها.. أما من ناحية الأشجار، فيمكن زرع شجرة واحدة من أي نوع من التفاح، وشجرة كرز وشجرة توت العليق مثلاً.. وغيرها. حتى الزهور والورود مفيدة أيضاً.. الأمر لا يهم كم عدد الأشجار أو النباتات من كل نوع، أو كم هي مساحة الأرض المزروعة.."

".. لكن هناك بعض المزروعات الأساسية التي وجب حضورها لكي تتم دورة الطاقة في الحديقة. إحدى تلك النباتات الأساسية هي نبتة عباد الشمس (واحدة على الأقل)، كما وجب زرع مساحة مترين مربع في الحديقة بالحبوب مثل القمح أو الشيلم أو الشعير مثلاً، وكذلك وجب ترك مساحة أخرى (مترين مربع) لتنمو فيها الأعشاب البرية، أي تلك التي تنمو لوحدها في الأرض.."

".. الأهمية لا تكمن في تنوع النباتات فحسب، بل أيضاً في طريقة زراعتها. إن التواصل المباشر معها هو الذي يمكنها من أخذ المعلومات التي تحتاجها لتصنع الدواء. وقد شرحت سابقاً كيف تتم عملية التواصل خلال الزرع.."

".. الأمر المهم هو غرس أو بث المعلومات المتعلقة بك في كل أنحاء الحديقتك. حينها فقط يبدأ التأثير العلاجي والدعم الحيوي لجسمك، وهذا التأثير لا يأتي فقط من ثمار النباتات بل من الأشجار والأعشاب وكافة النباتات الموجودة في الحديقة.. لهذا السبب، وجب أن تبني علاقة حميمة مع حديقتك ككل، وهذه العملية وحدها تساعدك بشكل كبير في الحصول على نتائج مجدية بخصوص صحتك.. لا تنسى أن النباتات كائنات حيّة وهي تفهم وتشعر وتتصرف حيال ما تدركه.."

".. هناك في الطبيعة البرية الموحشة (كما تشيرون إليها)، رغم أنها ليست موحشة بل مجرّد مكان غير مألوف بالنسبة لكم.. يوجد عدد كبير من النباتات التي يمكنها مساعدتنا على علاج كل شيء، وأنا أقصد كل أنواع الأمراض. هذه النباتات قد صممت خصيصاً لهذه الغاية، لكن الإنسان فقد القدرة على تمييزها.."

".. جسمك هو الطبيب الرئيسي. لقد مُنح منذ البداية القدرة على معرفة وتمييز أي عشبة وجب تناولها ومتى وجب تناولها. وهو يعرف كيف يأكل وكيف يتنفس. هو قادر على طرد الأمراض تلقائياً، حتى قبل أن تتجلى أعراضها. لا أحد آخر يستطيع استبدال جسمك من ناحية المعرفة العلاجية التي يحوزها. لذلك فهو طبيبك الشخصي، وقد وكله الله [تعالى] خصيصاً لرعايتك شخصياً.."

".. أنا فقط أشرح لك كيف توفر لجسمك الفرص المناسبة التي تمكنه من التصرف بطريقة إيجابية لصالحك. إذا أقمت التواصل المناسب مع النباتات في حديقتك الخاصة، فسوف ترعاك وتشفيك من كل الأمراض. سوف تستطيع القيام بالتحليل المخبري المناسب على طريقتها الخاصة ومن ثم تصنع الخلطة الدوائية الأكثر قوة وتأثيراً والمصممة خصيصاً لك أنت.."

الزراعة والروزنامة القمرية

معظم العاملين بالزراعة العضوية يزرعون ويحصدون في أوقات محددة متوافقة مع أطوار معيّنة للقمر بالإضافة إلى سمات محددة للكواكب. ويؤكدون ويصرّون بأن هذه الوسيلة هي مجدية وتؤدي إلى نتائج مذهلة. لكن رغم ذلك، فالعلوم المنهجية الرسمية تفضّل استخدام الكيماويات التي تبيعها الشركات، وتنصح باستخدامها خلال ممارسة مهنة الزراعة العصرية. هناك لوائح وجداول زمنية منحدرة إلينا من عصور غابرة ولازالت تتمحور حولها الكثير من التقاليد الزراعية المتوارثة حول العالم. والمثير في الأمر هو أن هذه الجداول متشابهة حول العالم ولازالت بعض المجموعات البشرية الزراعية تلتزم بها حتى اليوم. جميع هذه المعتقدات التي توارثها المزارعون تستند على حقائق علمية ثابتة رغم أنهم يجهلونها.

أطوار القمر ونمو النباتات

كما هو مبيّن في الشكل التالي، وجب على البذور التي لديها فترة إنتاش قصيرة (حتى ٧ أيام) أو فترة إنتاش طويلة جداً (شهر أو أكثر) أن تُغرس في المدة الممتدة من قبل القمر الجديد بيومين إلى بعده بسبعة أيام.

خلال الأسبوع الأوّل من ذورته، يزداد سطوع القمر، بينما شدة اجتذابه تنخفض. وفي تلك الفترة بالذات تزداد شدة الجاذبية الأرضية مما يعزّز النمو المتوازن للأوراق والجذور. في الأسبوع الثاني يزداد الجذب القمري، وكذلك يزداد سطوعه إلى أعلى درجة. في هذه الفترة يزداد نمو الأوراق. في الأسبوع الثالث تتراجع شدة السطوع والجذب القمري، فيتم تعزيز نمو الجذور بتوازن طبيعي. في هذه الفترة يمكنك زرع الشتلات (شتلة الطماطم مثلاً). في الأسبوع الرابع تزداد شدّة الجذب القمري بينما تنخفض شدة السطوع. في هذه الفترة تنخفض نسبة النمو للجذور والأوراق.

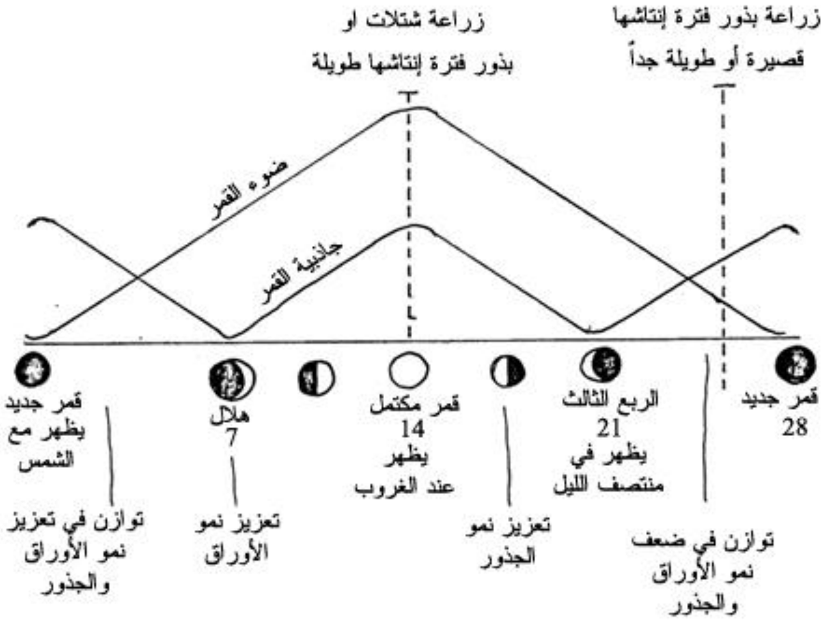

تقترح المصادر التقليدية بأنه وجب على بذور الأزهار أن تُزرع خلال قمر الهلال، وفي هذه الحالة أغرس البذور قبل اكتمال القمر. الأشجار المزروعة خلال طور قمري مظلم سوف تنتج ثماراً ذات جودة عالية.

أفكار جديدة حول تربية الأطفال

كيف تنشء الأطفال العباقرة والموهوبين بقدرات استثنائية مختلفة

كامل المسألة تبدأ من الولادة:

قالت أناستازيا بأن المجريات التعليمية والتربيوية الطبيعية قد تعرضت للشلل والجمود منذ الولادة، وذلك من قبل الوالدين المحبين وذوي النوايا الحسنة لكنهما جاهلين للحقيقة، حيث كل ما يعرفانه بخصوص تنشئة مولودهما هو ذلك الموروث تقليدياً وهو في الحقيقة الإجراء المناسب تماماً مع النظام التكنوقراطي السائد اليوم حول العالم. تكشف أناستازيا في مجموعة الكتب ما هي الطريقة المناسبة لتربية وتنشئة الأطفال بحيث يمكن بعدها تطوير كافة قواهم العقلية والروحية التي هي مقومات طبيعية ممنوحة من الخالق. وحتى البالغين يستطيعون استعادة بعض تلك القوى التي فقدوها نتيجة تنشئتهم الخاطئة.

الواقع الاصطناعي...

العالم التكنوقراطي لا يسمح للوالدين أن يفعلا الشيء الصائب. ما الذي يراه الطفل عند أوّل لمحة واعية تجاه محيطه؟ يرى السقف والجدران، وحواف المهد الذي غالباً يشبه القفص، وبعض قطع القماش.. إلى آخره. كافة هذه الأشياء، بالإضافة إلى القيم والمواصفات التي يدركها منذ البداية هي تابعة لعالم اصطناعي خلقه المجتمع التكنوقراطي. وفي هذا العالم غير الحقيقي يجد أمه وثديها (وهما الشيئان الحقيقيان فقط) فيحصل الخلط ولم يعد يعرف أين الحقيقي وأين الاصطناعي.

ملاحظة: العالم التكنوقراطي وفقاً لمفهوم أناستازيا يعني عالم الخبراء في كافة المجالات، أي أن الفرد لا يعتمد على نفسه في التفكير وتقييم الأشياء، بل وجب أن يتبع ما أقره الخبير في المجال المعني. لا يستطيع الفرد في هذا العالم العيش دون توجيه وإرشاد. حتى الخير والشرّ تم تحديدهما في هذا العالم التكنوقراطي بحيث لا يمكن للفرد الشذوذ عن القاعدة مهما لاحظ فيها من عيوب وشواذ واضحة وجلية. الأخطر هي تلك القواعد التي يؤدي خرقها إلى عقاب إلهي يتراوح بين الحرق في نار جهنم وبين البؤس الأبدي في الحياة نتيجة حقد الرب!

الخشخشة والصرصرة عديمتا المعنى والإحساس...

بعد النظر إلى كل ذلك الجنون من حوله سوف يستنتج في النهاية بأنه لا بد أن هكذا هي الأمور على حقيقتها. يقدم له والديه الحنونين ألعاب وأشياء مختلفة وكأنها كنوز ثمينة، خصوصاً تلك التي تصدر أصوات خشخشة وصرصرة. فيمضي وقتاً طويلاً محاولاً استخلاص معنى مجدي لتلك الأشياء التي تصرصر وتخشخش. يحاول جاهداً في فهمها واستيعابها من خلال عقله الواعي والباطن معاً.

هل هو محمي.. أم معزول عن محيطه؟...

بعدها نرى كيف هذان الوالدان الحنونان يحاولان لفّ الطفل بالقماش (لفلوفة) والتي يجدها غير مريحة إطلاقاً. يقوم بمحاولات عديدة لتحرير نفسه لكن دون جدوى! والطريقة الوحيدة المتوفرة للتعبير عن امتعاضه واحتجاجه هي البكاء والصراخ! هو يبكي محتجاً على حالته، إنه بكاء التمرّد على وضعه، كما أنه يتوسل المساعدة.. ومنذ تلك اللحظة، يتحول هذا الملاك.. هذا الكائن السماوي الجليل.. يتحول إلى عبد وضيع معدوم.. يتوسل المساعدة من غيره.

الواحدة تلو الأخرة، يقدمون للطفل عتاد وأدوات العالم الاصطناعي الذي بدأ يسيطر على عقله بالكامل. يقدمون له لعبة جديدة أو ثوب جديد وكأنهم قدموا له آخر إنجازات الخالق [جلّ وعلا]. فترسخ في عقله ووجدانه فكرة أن هذه الأشياء هي الأكثر أهمية في العالم الذي جاء إليه.

الكمال بذاته يصبح مخلوق غير كامل..

منذ طفولته، بالرغم من كونه يمثل الكائن الأكثر كمالاً في الكون، يكون قد تعرض للقمع والقهقرة والتذليل إلى أن يصبح كائن مشوّه.. غير كامل.. ينقصه الكثير. حتى في تلك المؤسسات التي تعتبرونها تعليمية، يتعرّض دائماً للتلقين وغسيل الدماغ بخصوص القيم المتعلقة بالعالم الاصطناعي فقط.

ليس قبل سن التاسعة من عمره، يُذكر أمامه عن وجود عالم الطبيعة هناك في الخارج، لكن يصورنه له كمجرّد ملحق تافه لعالمه الاصطناعي الأكثر أهمية. معظم الناس لم تُفر لهم فرصة إدراك الحقيقة، حتى في نهاية حياتهم. لهذا السبب نرى أن الجميع لازال عاجزاً عن الإجابة على سؤال بسيط مثل: "..ما معنى الحياة؟.."

قانون الطبيعة هو أساس كل شيء..

".. إن ولد في سن التاسعة من عمره (أو عمرها)، ويكون قد نشأ في العالم الطبيعي يتمتع بإدراك دقيق للخلق بدرجة أكبر بكثير من كافة المؤسسات العلمية والتعليمية لديكم، ويعرف بكل تأكيد أكثر بكثير من فقهائكم البارزين.."

".. الفرد الذي تعلم، في طروف مناسبة، ما يتكون منه الخلق، سوف يرى كل ما يحويه المنهج العلمي الرسمي (رياضيات، فيزياء، كيمياء،..) بأنه مجرّد مجموعة مواضيع سخيفة وتافهة. إذا أراد هذا الفرد، أو يعتبره أمراً ضرورياً لإثبات نفسه في مجال علمي معيّن، فسوف يتفوق على الجميع دون منازع.."

".. الإنسان في العالم التكنوقراطي لم يخترع أو يبتكر أي شيء لم يكن موجوداً أصلاً في الطبيعة. حتى الأجهزة الأكثر تطوراً وتعقيداً هي مجرّد تقليد ضعيف لما هو موجود في الطبيعة.."

دعهم يلعبوا بالبقات (حشرات) بدلاً من القطع البلاستيكية...

وفقاً لأناستازيا، فإن البقة bug (صرصور أو حشرة عموماً) تعتبر أفضل آليات تطوير الطفل بالمقارنة مع أي لعبة مصطنعة. إذا تسنى للطفل أن يلعب ويتواصل مع هذه الكائنات المتكاملة سوف يصبح هو أيضاً متكاملاً، وبكل تأكيد يكون أكثر تكاملاً من اللعب مع الأشياء الجامدة الخالية من الحياة.

كل شفرة عشب وكل بقة هي متداخلة بشكل صميمي مع كل الخلق وهذا بالتالي يساعد الطفل على أن يصبح مدركاً لجوهر الكون ومدركاً لنفسه كجزء منه، وهذا كله سوف

يساهم في إدراك الطفل لغايته الحقيقية في الوجود. الأشياء المنتجة اصطناعياً لا تملك هذا التواصل الوجداني مع الكون، كما أنها لا ترتب الأولويات والقيم بطريقة سليمة في عقل الطفل.

قدراتنا الطبيعية الكامنة...

لقد سعى كل من الطبيعة والعقل الكوني إلى جعل كل مولود جديد سيداً.. بل ملكاً. هو ملاك طاهر ونقي وغير مدنّس بعد. هو يسحب من خلال القسم العلوي من رأسه، والذي لازال طرياً، كميات هائلة من المعلومات الجارفة من الكون. القدرات الكامنة في كل مولود جديد تجعله قادراً على أن يصبح أكثر الكائنات حكمة في الكون.. شبه إله. لهذا نلاحظ بأنه خلال وقت قصير بعد ولادته يمنح السعادة والنعمة لوالديه.

خلال هذه الفترة الأولية، والتي تمتد حتى سن التاسعة، يصبح مدركاً لكل ما يتألف منه الخلق وكذلك معنى الوجود البشري. وكل ما يحتاج إنجازه هو موجود أصلاً. لكن على الوالدين أن لا يشوّها أو يحرّفا هذه المسيرة التطورية للطفل من خلال تربيتهما الشاذة والتي يعتقدونها التربية التقليدية الأنسب، والتي في الحقيقة تعيق عملية التطور الطبيعية لقدرات الطفل الإدراكية.

الطريقة السليمة لتعليم الطفل...

المشكلة مع والدي الطفل (في الثالثة من العمر مثلاً) هي أنهم حتى لو أخذوه معهم برحلة في الطبيعة، أو حتى إذا رافقهم خلال عملهم في حديقة المنزل، يجلبون معه

ألعابه المفضلة فيتلهى بها دون أن يلقي أي انتباه إلى الطبيعة من حوله. الألعاب الاصطناعية تلغي تماماً الأولويات الحقيقية للكون. أه، لو أنهم لم يفعلوا ذلك! فكر بالأمر، يمكن للطفل أن ينشغل ويستلهم في أمور أكثر إثارة وأهمية من ذلك التفاعل عديم المعنى، وحتى الخطير، مع الأشياء المصطنعة.

أطلب من الطفل مساعدتك...

أولاً، عليك أن تطلب منه المساعدة. عليك فعل ذلك بجدية وليس بصيغة دلع، خصوصاً بعد معرفة أنه سوف يستطيع المساعدة فعلاً. إذا كنت تزرع مثلاً، أطلب منه أن يحمل البذور المجهّزة للزرع، أو أن يعزّل مكان غرس البذور، أو دعه يضع بذرة في الحفرة التي حضرتها. وخلال العملية تحدث معه واشرح له ماذا تفعل، أي كما يلي مثلاً:

".. سوف نضع البذرة الصغيرة في الأرض ونغطيها بالتراب.. عندما تشرق الشمس في السماء وتحمّي الأرض سوف تحمى البذرة وتبدأ بالنمو. سوف تتوق البذرة إلى رؤية الشمس، فيطل برعم صغير برأسه فوق مستوى الأرض. كما هذه.." وتريه بعدها إحدى الأعشاب في المكان. ثم تكمل: *".. إذا أحب البرعم نور الشمس فسوف ينمو أكثر وأكثر، ويمكن أن يتحول لاحقاً إلى شجرة كبييرة، أو نبتة صغيرة مثل الزهرة.. أريد أن تجلب لنا فاكهة لذيذة، وسوف تأكلها إذا أحببتها.. هذا البرعم سوف يصنع فاكهته خصيصاً من أجلك.."*

متما دخلت مع الطفل إلى الحديقة، أو عندما يستيقظ في الصباح، دعه يذهب قبلك إلى مكان غرس البذور ليستكشف إذا نمى أي برعم فوق الأرض. إذا لاحظت وجود برعماً عبّر عن سعادتك أمام الطفل. وعندما تزرع شتلات بدلاً من بذور، من المهم أن تشرح للطفل ماذا تفعل. إذا كنت تزرع شتلات البندورة مثلاً، دعه يناولك الشتلات الواحدة تلو الأخرى. إذا صادف وكسر إحدى الشتلات، خذها الشتلة المكسورة بيدك وقل: *".. لا أعتقد بأن هذه الشتلة سوف تعيش أو تمثر لأنها مكسورة، لكن دعنا نزرعها على أي حال، فلنجربها.."*، ثم ازرعها مع باقي الشتلات الأخرى.

بعد مضي عدة أيام، عندما تزور المشتل المزروع في الحديقة مع طفلك، وتكون الشتلات قد استقامت، أشر إلى الشتلة المكسورة والذبلانة وذكّر الطفل بأن هذه هي الشتلة التي كسرت خلال الزراعة. لكن لا تتكلم عنها بنغمة الموعض بل بنغمة عادية. لا تنسى أنه عليك الحديث مع الطفل وكأنه رجل بالغ.. كأنه ند لك. وجب أن تتذكر فكرة أنه أرقى منك في بعض الجوانب، من ناحية نقاوة أفكاره مثلاً. هو ملاك! إذا تمكنت من استيعاب هذه الحقيقة وداومت في معاملته على هذا الأساس فسوف تنجح في جعل ابنك يصبح في المستقبل شخصاً يسعد أيامك.

لا تملئ الفراغات بالنيابة عنه... دعه يملئها بنفسه

متما نمت في الهواء الطلق تحت سقف النجوم، خذ طفلك معك ودعه يستلقي بجانبك ودعه ينظر إلى النجوم. لكن وفق أي ظرف من الظروف لا تسمي أي من الكواكب أو كيف تأصلت أو ما هي وظيفتها، لأن هذه الأمور حتى أنت لا تعرفها على حقيقتها. المعلومات المدرسية المشوهة التي غرست في دماغك سوف تساهم في تحريف الطفل عن الحقيقة. لا تخاف عليه، عقله الباطن يعرف الحقيقة وسوف تنتقل هذه الأخيرة إلى

عقله الواعي لوحدها. كل ما عليك فعله هو القول له أنك تحب النظر إلى النجوم الساطعة، ثم اسئله أي من النجوم يحب أكثر.. وهكذا.

حفّز خلايا دماغه على النمو...

بشكل عام، من المهم معرفة كيف تطرح على الطفل أسئلة مختلفة. لازلنا في مثال موضوع الزراعة. بعد أن أصبحت عملية الزراعة مألوفة بالنسبة للطفل، حضر له في السنة التالية مشتله الخاص في الحديقة. قم بصنع صبور من التراب كما لو أنه مشتل حقيقي واترك للطفل حرية فعل ما يشاء به. لا تحاول أبداً غصبه أو إكراهه على فعل شيء محدد بهذا المشتل، ولا تحاول أبداً تصحيح ما فعله. الشيء الوحيد الذي يمكن فعله هو أن تسأله ماذا يحب. يمكنك أن تعرض مساعدتك له، لكن فقط بعد أن تستأذن منه العمل معه. عندما تزرع أي نوع من الحبوب، دعه يرمي بعض الحبوب في المشتل كما أنت تفعل.

".. المسألة ليست مجرّد الحوزة على معرفة أو شعور يتعلق بما ينمو وكيف ينمو. الأمر الأساسي هو أن الطفل بدأ يفكر ويحلل وبهذه الطريقة تصحو الخلايا في دماغه من سباتها العميق. وبعد صحوتها سوف تستمر في النشاط والعمل طوال حياته.

سوف تجعله أكثر ذكاء وأكثر موهبة وحرفة بالمقارنة مع أولئك الذين لازالت الخلايا نائمة لديهم.."

العبقرية ستنمو طبيعياً...

وفقاً لمعايير حضارتنا الحالية، وبما يتعلق بالتقدم في الحياة كما نراه، بعد أن يكبر الطفل سوف يصبح سباقاً في أي مجال يعمل فيه. هذا بسبب صفاوة تفكيره التي ستجعل منه شخصاً سعيداً بشكل استثنائي. التواصل الذي خلقه مع النباتات سوف يسمح له أن يتلقى دائماً، أو يتبادل دائماً، المزيد والمزيد من المعلومات (الباطنية أو التجاوزية). الرسائل القادمة إليه يستقبلها أولاً عقله الباطن ثم يبعثها إلى العقل الواعي على شكل أفكار جديدة وابتكارات واكتشافات. من الخارج سوف يبدو كأي إنسان عادي، لكن من الداخل سوف يكون عبقرياً.

اطلب من طفلك المساعدة، وكن جدياً في التعامل معه

إعادة التواصل مع الطبيعة

كل شيء في حياتنا هو عبارة عن تبادل معلومات مع البيئة المحيطة

كتب "فلاديمير ميغري" في كتابه يقول بأنه بقي مهتماً في معرفة ما لدى أناستازيا قوله بخصوص الطعام والأكل. فهي في النهاية تتبع طريقة خاصة في تغذية نفسها. فسألها يوماً:

".. قولي لي يا أنستازيا، كيف تظنين وجب على الإنسان إطعام نفسه؟ ماذا سيأكل؟ وكم مرة خلال اليوم؟ وما هي الكميات؟.."

أجابته قائلة: *".. بالنسبة لك، يصعب تصور طريقة حياة الإنسان بأي شكل مختلف عن تلك السائدة اليوم وفق الظروف التي يفرضها العالم التكنوقراطي. قوى الظلام تحاول دائماً، وبإصرار، أن تزيل الآلية الطبيعية لهذا العالم.. وهي الآلية الممنوحة للبشرية منذ البداية.. فيحاولون استبدالها بذلك النظام الاصطناعي الثقيل والمرهق والذي هو مضاد للطبيعة البشرية.."*

طلب منها فلاديمير أن تقوم بتبسيط كلامها وفق مصطلحات مباشرة وقابلة للاستيعاب، دون أي موشحات فلسفية. فأكملت قائلة:

".. أسئلتك هذه التي تطرحها بخصوص ماذا ومتى وكيف وكم يمكن أن يأكل الفرد، أفضل من يمكن الإجابة عليها هو جسم الفرد. إن الشعور بالجوع والعطش هو شعور مصمم خصيصاً لإرسال الإشارة للفرد ليقول له أن عليه تناول الطعام أو الشراب فوراً. هذه هي اللحظة الأنسب التي وجب تناول الطعام فيها.."

".. لأن العالم التكنوقراطي يعجز عن توفير متطلبات كل فرد على حدا، بحيث يحرم الأفراد من التعبير عن فرديتهم وبالتالي يحرم كل منهم على حدا من إرضاء عطشه الخاص أو جوعه الخاص في اللحظة التي طلبها جسمه الخاص، فما فعله هو إجبار

الجميع على الالتزام بمواعيد محددة لا تستند سوى على عجز هذا العالم التكنوقراطي، ثم يحاولون في النهاية تبرير هذا الإجراء الإجباري من خلال رفع شعار الكفاءة والفعالية أو الطريقة الأنسب.."

".. فقط فكر في الأمر، أحد الأشخاص يمضي كامل يومه جالساً دون حراك، أي بالكاد يصرف أي طاقة، بينما شخص آخر يجهد نفسه في عمل شاق طوال النهار، فيعرق ويحرك طوال الوقت، ويكون بذلك قد صرف كمية طاقة كبيرة جداً بالمقارنة مع الشخص الأوّل، ورغم ذلك نتوقع من الاثنين أن يأكلا في نفس الموعد.."

".. على الفرد أن يتناول الطعام في اللحظة التي ينصح بها جسمه، ولا يمكن أن يكون هناك ناصح أكثر حكمة ومعرفة من الجسم. أنا أعلم أنه في ظروف عالمكم الحالية تعتبر هذه العملية مستحيلة، لكن هناك فرص متوفرة للكثير من الناس الذين يعيشون في مزارعهم الريفية بالقرب من حدائقهم الخاصة، وبالتالي عليهم استغلال هذه الفرصة والتخلي عن منظومة طعامهم الاصطناعية وغير الطبيعية."

".. أما بخصوص سؤالك الثاني حول ماذا علينا أكله، فالجواب هو: ما هو متوفر في الوقت الراهن.. ما هو موجود بين الأيدي.. كما يقولون. الجسم لوحده يختار ما يحتاجه عبر الشعور بالاشتهاء.."

".. دعني أقدم لك نصيحة مهمة: إذا كان لديك حيوان أليف في منزلك، مثل القطة أو الكلب، حاول أن تراقب تحركاتهما دائماً وبحذر. سوف تلاحظ بأن هذا الحيوان الأليف سيتوج إلى عشبة أو نبتة في محيط المنزل ثم يأكلها. صحيح أنه حيوان لاحم لكن غريزته تدفعه إلى أكل نوع معيّن من النبات لأسباب صحية. عندما تتعرف على نوع النبتة قم بجلب عينات منها و من ثم إضافتها إلى منظومتك الغذائية اليومية. أنت لست مضطراً إلى فعل ذلك كل يوم بل فقط مرة أو مرتين في الأسبوع يكفي.."

كتب فلاديمير بخصوص هذا الموضوع يقول:

سبق ووصفت طريقة أناستازيا الخاصة في الأكل. خلال حديثها معي بخصوص هذا الموضوع، كانت تقطع شفرة أو اثنتين من العشب وتضعها في فمها ثم تعلكها وتعرض علي بعضاً من العشب لأمضغه أيضاً. فقررت أن أجرّبها. لا أستطيع القول بأن طعمها يستحق الاهتمام لكنه بنفس الوقت لم يكن سيئاً.

يبدو أن أناستازيا تركت كامل مهمة التغذية للطبيعة، فهي لن تسمح لهذا الموضوع أن يعطل أو يعيق سلسلة أفكارها التي تكون مشغولة بأمور أكثر أهمية. لكن رغم ذلك، حالتها الصحية مذهلة كما جمالها الخارجي.

وفقاً لأناستازيا فإن أي شخص تمكن من إقامة علاقة مع الأرض والنباتات في حديقته الخاصة لديه الفرصة لأن يخلّص جسمه من أي نوع من المرض.

المرض هو نتيجة حتمية لابتعاد الإنسان من الأنظمة الطبيعية المصممة خصيصاً للاعتناء بصحته ودعمه الحيوي. بالنسبة لتلك الأنظمة الطبيعية فإن مهمة طرد أي نوع من المرض لا يمثل أي مشكلة مهما كان نوع المرض، طالما أن هذه هي الغاية من وجود تلك الأنظمة أصلاً.

مهما كانت الفوائد التي اختبرها الأفراد الذين أقاموا هذه العلاقة المتبادلة للمعلومات مع حديقتهم الخاصة، والتي تمثل رقعة صغيرة من الطبيعة ككل، فهذه الفوائد تتجاوز مسألة الأمراض بمراحل عديدة.

في الحقيقة لا يمكن تغطية كافة المواضيع التي تناولتها أناستازيا خلال حواراتها مع فلاديمير الذي زارها أكثر من مرّة بعد المرة الأولى التي عانى خلالها كثيراً لأنها كانت أوّل اختبار له في العيش بالغابة لمدة ثلاثة أيام. أنا لا أستغرب من الظاهرة التي خلقتها هذه المجموعة من الكتب والأثر البالغ الذي خلفته في نفوس الملايين. إنها تتناول عالم

آخر يختلف تماماً عن عالمنا الحالي الذي نألفه. لكن هذا العالم الآخر هو العالم الحقيقي الذي وجب أن يكون... للأسف الشديد.

ولادة نجم جديد في السماء

قد يتسائل القارئ الكريم، كيف يمكن لفتاة طاهرة وعفيفة كهذه، وبكل ما تتمتع به من حكمة وإدراك سليم، أن تحبل من رجل متزوج ومن ثم تنجب منه ولداً غير شرعياً؟ هذا سؤال طبيعي وحتى بديهي بالنسبة لشخص معتاد على الطريقة التقليدية في التفكير ظناً منه أنها الطريقة السليمة والصحيحة، لكن الجواب على هذا السؤال سهل وبسيط إذا تخلينا عن تفكيرنا التقليدي وأحكامنا المسبقة، ويمكن استخلاصه بعد قراءة الفصل التالي والذي اقتبسته من الكتاب الأوّل من مجموعة "الأرز الرنان" لفلاديمير ميغري.

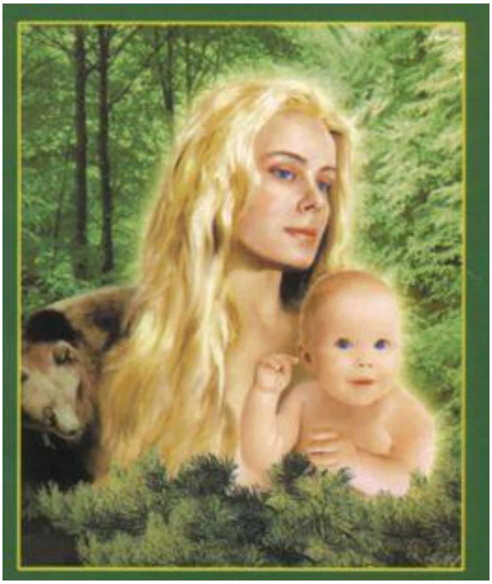

أناستازيا ومولودها من فلاديمير

أعتقد بأننا، وبعد قراءة الصفحات السابقة، أصبحنا نعلم بأن أناستازيا، وأثناء سلسلة الأحداث التي دفعتها إلى التعرف على فلاديمير (شجرة الكرز.. اللقاء على القارب.. إلى آخره) وقعت في حبه! وهنا بدأ قانون الجذب يفعل فعله حيث استطاعت في النهاية تغيير مسار قدره وجذبه إلى حيث تسكن في الغابة السيبيرية. في الحقيقة حتى هي لا تعلم إن كان هذا جذب مرسوم أو قدر محتوم، لكن الأمر حصل على أي حال.

في الفصل التاسع من الكتاب الأوّل من مجموعة "الأرز الرنان" والذي بعنوان "أنستازيا"، كتب "فلاديمير ميغري" يقول:

في الليلة الثانية من وجودي مع أناستازيا في الغابة، وبسبب خوفي من قيامها بتوكيل الدبة للنوم معي في الحفرة أو تلجأ إلى وسيلة مرعبة مشابهة لتؤمن الدفئ، عبرت عن تمرّدي ورفضت أن أنام إلا بشرط واحد وهو أن تستلقي هي بجانبي. قررت أنه طالما كانت موجودة بجانبي فسوف لن يتسنى لها القيام بأي من مشاريعها المرعبة أثناء نومي. فقلت لها:

".. لقد دعوتيني بصفتي ضيف، فقبلت دعوتك على أساس أن لديك منزل. تصورت بأنه على الأقلّ سيكون هناك عدة حجرات هنا، لكن تبيّن أنك لم تسمحي لي حتى بإشعال النار، ثم قدمتي لي كائن متوحّش ليرافقني خلال نومي ليلاً.. وداخل حفرة!.. طالما أنه ليس لديك منزل، فما المعنى من دعوة الضيوف؟.."

فأجابته أناستازيا قائلة:
".. حسناً يا فلاديمير.. لا تقلق أرجوك. لا تخف. لن يحصل لك أي سوء. إذا أردت فسوف أستلقي بجانبك وأبقيك دافئاً.."

تابع فلاديمير في روايته لما حدث:
هذه المرة كان في الحفرة المزيد من أغصان الأرز المكسّرة والأعشاب اليابسة. فخلعت ملابسي، ووضعت البلوزة والبنطال تحت رأسي كمخدة. استلقيت وغطيت نفسي بالجاكيت. فاح من كسرات أغصان الأرز تلك الرائحة القاتلة للبكتريا التي وصفتها الأدبيات الشعبية، ووظيفتها أيضاً هي تنقية الهواء، رغم أن الهواء هنا في الغابة هو نقي جداً، كما أن الهواء في الحفرة سهل التنفس أيضاً. وقد ساهمت الأعشاب والورود اليابسة في جعل رائحة المكان محبباً.

حافظت أناستازيا على وعدها واستلقت بجانبي. شممت رائحة جسدها التي تميزت عن كل الروائح. كانت أكثر طيب ولذّة من أروع العطور التي شممتها في مرأة. لكنني الآن لا أفكر أبداً في الإقدام عليها، خصوصاً بعد تلك المحاولة الفاشلة التي قمت بها أثناء قدومنا إلى المكان والتي نتج منها صدمة شبه كهربائية وفقداني للوعي. حتى أنني لم استثار بأي رغبة جسدية حتى بعد رؤيتي لها عارية.

استلقيت هناك بجانبها ورحت أحلم بالإبن الذي لم تنجبه لي زوجتي أبداً. ثم فكرت: كم كان رائعاً لو ولد ابني عن طريق أناستازيا! هي في صحة سليمة، كما أنها قوية وجميلة! بالتالي لا بد للطفل أن يكون صحيحاً وقوياً. سوف يشبهني. ويشبهها أيضاً، لكن أنا أكثر. سوف يكون فرداً ذكياً وقوياً. سوف يعرف الكثير. سوف يصبح موهوب وسينجح في الحياة.

تصورت كيف سيتغذى طفلنا من ثدي أمه وقمت بشكل لاإرادي بوضع يدي على صدر أناستازيا الطري. فجأة سرت رعشة عبر كامل جسمي ثم زالت بسرعة. لكنها لم تكن رعشة خوف بل شيء آخر، محبب بشكل استثنائي. لم أبعد يدي عن صدرها بل حبست نفسي وانتظرت ما يمكن أن يحصل. الأمر التالي الذي لاحظته هو يدها الدافئة التي أمسكت بيدي. هي لم تبعدني عنها.

رفعت رأسي وبدأت النظر إلى وجه أناستازيا الرائع. الشفق الأبيض والسماء المضيئة لليل الشمالي جعلا وجهها يبدو أكثر جاذبية. لم أستطع الكف عن التحديق إليها. نظرت عيناها الزرقاوتين الرماديتين إلي بلطف. لم أردع نفسي، بل انحنيت مقترباً منها، وبسرعة وحذر، وبلمسة خفيفة جداً، زرعت قبلة على شفتيها. ومرّة أخرى، سرت رعشة محببة عبر جسدي. كان وجهي مغموراً بنفَسها. لم تتلفظ بأي كلمة أو تعبير عن معارضة كما حصل في المرة الماضية. وأنا أيضاً لم أشعر أبداً بالخوف هذه المرة. لازلت مسكوناً بإمكانية أن أرزق بولد. وعندما عانقتني أناستازيا ولاطفت شعري ومنحتني نفسها بالكامل، شعرت بشيء لا يمكن وصفه أبداً!

فقط عندما استيقظت في الصباح استطعت إدراك ما نوع هذا الشعور الرائع الذي راودني.. الإثارة والاكتفاء البهيج والممتع، وهو شيء لم أشعر به من قبل في حياتي. هناك شيء آخر غريب أيضاً. في الماضي عندما أمضي ليلتي مع إحدى النساء، كنت أشعر دائماً بالإرهاق والتعب الجسدي، أما هنا والآن فكان الأمر مختلفاً. بالإضافة إلى ذلك، كان لدي شعور بنوع من الاشتراك في الخلق. لم يكن اكتفائي على المستوى الجسدي فحسب، بل كان له بعد آخر لم استطع استعابه. أنه شيء لم اختبره من قبل. كان محبب وممتع بشكل استثنائي. خطرت في بالي فكرة سريعة فحواها أن الحياة تستحق العيش فقط من أجل هذا الشعور وحده. ورحت أتسائل: لماذا لم اختبر أي شيء حتى لو قريب من هذا الشعور من قبل، رغم وجودي مع كافة أنواع النساء.. الجميلات والمحببات والحنونات، وأولئك اللوات كنت أعشقهن.. إلى آخره؟

كانت أناستازيا مجرّد فتاة. فتاة رقيقة ومرتعشة، كما غيرها تماماً. لكن ماوراء ذلك كان هناك شيئاً ما بخصوصها لا ينتمي لأي امرأة عرفتها من قبل. ما هو ذلك الشيء؟

بعد أن صحوت من خواطري ولازلت مستلقياً في الحفرة، رحت أتسائل أين ذهبت الآن. شققت طريقي نحو مدخل ذلك الكهف الترابي المحفور في الأرض وأطللت برأسي إلى الخارج ونظرت إلى الفسحة التي كان مستواها أدنى بقليل من غرفة نومي المؤقتة. كانت الفسحة مغطاة بطبقة من الضباب الصباحي الذي تبلغ سماكته حوالي نصف متر. وسط الضباب استطعت رؤية أناستازيا تغزل وتدور بيدين ممدودتين. غيمة صغيرة من الضباب كانت تتشكل حولها. وعندما غطتها بالكامل انتفضت أناستازيا عالياً في الهواء وأبعدت رجليها كما تفعل راقصة الباليه ثم طارت فوق طبقة الضباب لتهبط مرة أخرى على الأرض، فانتفضت مرة أخرى ثم هبطت.. وهكذا، وكانت تضحك مبتهجة، وكانت تغزل الضباب حولها مع حركتها وأشعة شمس الصباح بالكاد تجد طريقها عبر الأشجار إلى الفسحة فتلاحق أناستازيا لتلتقطها وبالكاد تلمسها. كان مشهداً مذهلاً، فرحت أصيح مشحوناً بالعاطفة:

".. أنا.. ستا.. زي.. يا..! صباح الخير يا جنيّتي الرائعة.."

فأجابت صائحة ببهجة وفرح: ".. صباح الخير يا فلاديمير.."

فصاح فلاديمير بكل ما عنده من قوة: ".. الأمر الآن بهيج جداً.. ممتع جداً.. رائع جداً!.. لماذا أشعر بذلك؟.."

رفعت أناستازيا يديها نحو الشمس وراحت تضحك بتلك الصيغة المألوفة لديها، وصاحت إلي (ولشيء آخر محلقاً فوقها) بصوت موسيقي متأرجح:

".. من بين كافة مخلوقات الكون، فقط الإنسان موهوب لأن يختبر هذه الحالة.. فقط الرجال والنساء الذين يرغبون بصدق أن يرزقوا بأطفال كنتيجة لاتصالهما.. فقط الإنسان الذي يختبر هذه التجربة يساهم في إنارة نجم جديد في السماء.. فقط الإنساااااااان الذي يسعى إلى الخلق والاشتراك في الخلق.. شككككككرررااااااً..."

ثم توجهت إلي وكأن كلامها التالي مخصص لي تحديداً، وقالت:
".. فقط الإنسان الذي يسعى إلى الخلق والاشتراك في الخلق، وليس من أجل إشباع حاجاته الجسدية.."

ثم انطلقت مرة أخرى وهي تضحك، وتنتفض عالياً في الهواء وكأنها تعوم فوق طبقة الضباب. ثم جائت تركض نحوي، وجلست بالقرب مني عند مدخل غرفة نومنا وبدأت تمشط شعرها الذهبي بأصابعها مبتدئة من القاعدة حتى نهايته.

فسألتها: ".. إذاً أنتِ لا تعتبرين ممارسة الجنس بأنه أمر حرام؟.."

لاذت أناستازيا بالصمت، ثم نظرت إلي بذهول وأجابت: ".. هل كان هذا ذات النوع من الجنس الذي تألفه في عالمك؟.. هل أن تعطي من نفسك في سبيل خلق إنسان جديد يأتي إلى هذا العالم يعتبر حرام؟ أو أن تمسك نفسك ولن تسمح بولادة هذا الإنسان الجديد؟ إنسان حقيقي!.."

رحت أفكر.. في الحقيقة لا يمكن اعتبار ما فعلناه أنا وأناستازيا في الليلة الماضية بأنه جنس بالمعنى الذي نألفه عموماً. إذاً، ما الذي حصل الليلة الماضية؟ ما هي الكلمة المناسبة هنا؟ فسألتها مرة أخرى:

".. لماذا لم أختبر أبداً من قبل ذلك الشعور السحري الذي اختبرته الليلة الماضية.. حتى أنني أستطيع القول بأنني لم اختبره مع أحد آخر في العالم؟.."

أجابت أناستازيا شارحة: ".. كما ترى يا فلاديمير، قوى الظلام تحاول دائماً وباستمرار الإيقاع بالإنسان في شرك الغرائز الجسدية، ومنعه من اختبار النعمة الممنوحة من الله. يحاولون كافة أنواع الخدع لإغواء البشرية بفكرة أن الإشباع والاكتفاء هو شيء سهل المنال، والتركيز يكون على إشباع الرغبات الجسدية. وبنفس الوقت يسعون إلى عزل الإنسان عن الحقيقة. المرأة المسكينة المخدوعة والتي تكون جاهلة تماماً بهذا الموضوع تمضي حياتها تتقبل العذاب وكأنه قدر محتوم، وذلك مع سعيها الدائم نحو إيجاد النعمة التي فقدتها البشرية لكن دون جدوى، لأنها تبحث عنها في المكان الخطأ. ما من مرأة تستطيع منع الرجل من البغاء أو النيل منها إذا سمحت لنفسها أن تمتثل له فقط لكي يشبع رغباته الجسدية. إذا حصل ذلك، فسوف لن تكون حياتهما الزوجية سعيدة.."

".. حياتهما الزوجية هي مجرّد وهم، كذبة، خدعة كبيرة يعززها التقليد الاجتماعي.. والمرأة في هذه الحالة قد تحولت إلى داعرة أو بائعة هوى لا أكثر ولا أقل.. بغض النظر إن كانت متزوجة من الرجل أو لا.."

".. أه، كم تشريع أو قانون ابتكرته البشرية في محاولة منها لتعزيز هذا الاتحاد الفاشل والكاذب بين شخصين والذي نسميه زواج!.. تشريعات دينية ومدنية معاً.. كلها عديمة الجدوى. كل ما فعلته هو جعل الناس يتلهون ويتلاعبون مع بعضهم وببعضهم، يتساكنون أو كل منهم يحاول التلاؤم مع الشريك المفترض، ويتصورون بأن هكذا اتحاد موجود فعلاً وهو مرغوب من الله. لكن رغم ذلك، تبقى الميول والأفكار الدفينة للفرد (الأنثى والذكر) غير قابلة للتغيير من قبل تلك التعاليم والفرائض الدينية المزعومة والتي من المفروض أن تلمس الوجدان، فيبقى الفرد (الأنثى والذكر) مستقلاً من الداخل ولم يخضع لتعليمات أحد أو يمتثل لأي شيء.."

".. وبعدها، وحتى زمن ليس بعيد، سعيتم دائماً إلى إلصاق العار بكل من يهجر أسرته أو يغدر شريكه. لكن رغم هذا كله، وحتى رغم العقوبات القاسية التي قد يلقاها الزاني أو الزانية، إلا أن الحالة استمرت.. لا شيء في أي زمان أو مكان، أو أي ظرف من الظروف، استطاع أن يوقف رغبة الإنسان في سعيه إلى إدراك ذلك الإحساس بالنعمة الداخلية، ذلك الشعور الداخلي بالاكتفاء.. والذي يعتبر الاكتفاء الأعظم. فيبقى الإنسان مصرّاً على السعي وراءه إلى الأبد، مهما كانت العقبات المانعة لذلك والعقوبات المترتبة من ذلك.."

".. الزواج.. هذا الاتحاد الكاذب هو شيء مخيف.."

".. الأولاد.. هل ترى يا فلاديمير؟.. الأولاد.. إنهم يحسون بإصطناعية وأكذوبة هكذا إتحاد (الزواج).. وهذا يجعلهم متشككون بخصوص كل شيء يقوله لهم والديهم.. الأولاد يحسّون بهذه الكذبة بشكل لاواعي، حتى خلال فترة الحمل.. ولهذا الأمر تأثير سلبي عليهم.."

".. قل لي من؟.. أي إنسان يريد أن يأتي إلى هذا العالم كنتيجة للرغبات الجسدية وحدها؟.. جميعنا نحب أن نخلق نتيجة اندفاع عظيم من المحبة، واندفاع من الإلهام المحفّز للخلق، وليس مجرّد المجيء إلى هذا العالم لأن أحدهم قرر أن يمارس المتعة الجنسية المدفوعة من رغبة جسدية.."

".. الأفراد الذين اشتركوا في اتحاد كاذب كهذا (الزواج) سوف يسعون آجلاً أم عاجلاً إلى البحث سراً عن الإشباع الذي لم ينالوه من شريكهم.. سوف يبحثون عنه في مكان آخر ولدى شخص آخر غير شريكهم.. سوف يكافحون للحصول على جسد تلو الجسد، فيجعلون من أجسادهم أشياء حقيرة وتافهة وجديرة بالازدراء، ومع الوقت يكتشفون بأنهم يشردون بعيداً عن الهدف المقصود في وجدانهم، وهو السعادة الحقيقية والشراكة الحقيقية.."

قاطعها فلاديمير قائلاً: ".. أناستازيا، انتظري!.. هل يمكن أن الرجال والنساء مقدر لهم هذه المعاناة المحتومة لأن أوّل سعادة شعروها في علاقتهم هي سعادة الممارسة الجنسية؟ لكن بعد أن حصل الذي حصل، أليس هناك طريقة لإعادة تصحيح للمشكلة؟

أجابت قائلة: ".. نعم يوجد طريقة.. أنا أعلم ماذا وجب فعله.. لكنني أعجز عن إيجاد الكلمات المناسبة للتعبير عنها.. أنا أبحث عنها دائماً.. أقصد الكلمات المناسبة. كنت أبحث عنها في الماضي وفي المستقبل. لكنن لم أجدها. ربما هي ماثلة أمامي في النهاية؟ ومن ثم سوف تظهر، كلمات جديدة سوف تولد.. كلمات يمكنها أن تصل إلى قلوب وعقول الناس. كلمات جديدة تمثل الحقيقة القديمة بخصوص أصولهم الأولية.."

قال فلاديمير: ".. لا تخافي يا أناستازيا.. استخدمي كلمات متوفرة الآن كبداية، حتى لو كانت معانيها تقريبية.. ماذا بعد نحتاجه لتحقيق الاكتفاء الحقيقي غير التواصل الجسدي؟

أجابته أناستازيا: ".. الوعي الكامل!.. التوق المتبادل للخلق.. الصدق والنقاء في الدافع.."

قال فلاديمير: ".. كيف تعرفين كل هذا يا أناستازيا.."

فأجابته: ".. أنا لست الوحيدة التي تعرف عنها.. عدد من الأشخاص المتنورين حاولوا تفسير هذه الأمور للعالم.. وقد منحتمونهم أسماء مثل فيليس، كريشنا، راما، شيفا، يسوع، محمد، بوذا.. إلى آخره.."

قال فلاديمير: ".. أنت ماذا؟!.. هل قرأتي عن كل هؤلاء؟ أين؟ متى؟.."

قالت: ".. أنا لم أقرأ عنهم، بل فقط أعرف ببساطة ماذا قالوا وماذا كانوا يفكرون وماذا كانوا يريدون تحقيقه.."

قال: ".. إذاً تعتبرين الممارسة الجنسية بذاتها أنها أمراً سيئاً؟.."

قالت: ".. إنها سيّئة جداً.. إنها تقود الإنسان بعيداً عن الحقيقة، وتساهم في تدمير الأسر. كمية كبيرة من الطاقة تضيع هباء.."

قال: ".. لماذا إذاً نرى عدد كبير من المجلات تنشر صوراً لنساء عاريات في وضعيات مثيرة جنسياً، ولماذا يوجد الكثير من أفلام الجنسية والمثيرة جنسياً؟ وجميع هذه الأشياء منتشرة ولها شعبية كبيرة. والطلب يولّد المزيد من الإنتاج. إذاً أنتِ تحاولين القول بأن الإنسانية هي سيئة بالكامل؟.."

قالت أناستازيا: ".. الإنسانية ليست سيئة، لكن السيّء هو أدوات قوى الظلام التي تحجب الروحانية عبر التحريض على الرغبات الجسدية. هذه الأدوات هي قوية جداً. إنها تجلب للناس الكثير من الحزن والمعاناة. قوى الظلام تنفذ مخططاتها خصيصاً عبر النساء، مستغلين جمالهن. هذا الجمال الذي غايته الحقيقية هي أن تولّد وتعزّز في الرجال روح الشاعر والفنان والخالق. لكن من أجل فعل ذلك على المرأة أن تكون نقية. إذا لم يكن هناك نقاوة كافية سوف يبدأن باجتذاب الرجال بالمفاتن الجسدية. بالجمال الخارجي للقوالب الفارغة. وتكون النتيجة في النهاية أن الرجال يقعون في الخدعة، وعلى النساء أن يتعذبن ويعانين لباقي حياتهن بسبب هذا الخداع الذي مارسنه.."

سأل فلاديمير: ".. إذاً ماذا تكون النتيجة؟.. طوال آلاف السنين من وجوده، لم يتمكن الإنسان من التغلب على أدوات قوى الظلام هذه؟.. هذا يعني أنها أقوى من الإنسان. لم يستطع الإنسان هزم تلك القوى رغم توصيات الأشخاص المتنورين روحياً كما وصفتيهم؟.. إذاً، هل هو مستحيل التغلب عليها؟.. أو ربما الأمر غير ضروري؟.."

أجابت أناستازيا: ".. إنه ضروري.. ضروري بكل تأكيد!.."

فسأل فلاديمير: ".. من إذاً يستطيع فعل ذلك؟.."

أجابت أناستازيا: ".. النساء! نعم النساء اللوات استطعن إدراك الحقيقة وفهم الغاية الفعلية لوجودهن. بعدها سوف يتغير الرجال بشكل تلقائي.."

قال فلاديمير: ".. آه لا يا أناستازيا، أنا أشكّ بهذا الأمر. الرجل الطبيعي سوف يبقى قابل للإستثارة من رؤية أرجل مرأة جميلة، أو حتى ثديها.. خصوصاً عندما يكون الرجل في رحلة عمل أو في عطلة استجمام بعيداً عن زوجته. هكذا تجري الأمور. ولا أحد هنا سوف يغيّر أي شيء. سوف لن يفعلوها بأي طريقة أخرى.."

فقالت أناستازيا: ".. لكنني فعلتها معك.."

سألها فلاديمير: ".. ماذا فعلتِ؟.."

قالت: ".. الآن أنت لم تعد تستطيع الانغماس في ممارسة الجنس المؤذي.."

فجأة ضربته فكرة رهيبة كما الطوفان، وراحت تجرف كل المشاعر الرائعة التي ولدت في فلاديمير الليلة السابقة. فسألها: ".. ماذا فعلتِ يا أناستازيا؟.. ماذا؟.. تقصدين أنا الآن.. ماذا؟.. أصبحت الآن عاجزاً؟.."

أجابته أناستازيا: ".. بالعكس تماماً.. لقد أصبحت الآن رجلاً حقيقياً.. فقط الجنس الذي تألفه في حياتك سيصبح مثير للإشمئزاز بالنسبة لك.. هو لن يجلب لك تلك المشاعر التي اختبرتها الليلة الماضية.. وما اختبرته الليلة الماضية سوف يكون ممكناً فقط عندما ترغب في إنجاب طفل من المرأة، والمرأة ترغب نفس الشيء منك أنت، أي عندما تكون مغرمة بك.."

قال فلاديمير: ".. مغرمة؟.. لكن وفق هذه الشروط.. هذا لن يحصل سوى عدة مرات فقط خلال فترة حياة الشخص.."

قالت: ".. أأكد لك يا فلاديمير، هذه المرات المعدودة هي كافية لأن تكون كامل حياتك سعيدة. سوف تشعر بنفس الحالة في النهاية.. الناس يدخلون مرات كثيرة في عملية الممارسة الجنسية فقط على المستوى الجسدي.. ولا يدركون بأن الرضا الحقيقي يكون مستحيلاً على المستوى الجسدي فحسب.."

".. الرجل والمرأة اللذان يتوحدان على كافة مستويات الوجود، مدفوعان بحافز الإلهام، يستلهمان بنية صادقة لتحقيق الخلق، يختبران حالة رضا هائلة.. الخالق منح هذا الاختبار للإنسان وحده. هذا الرضا ليس حالة عرضية، لا! لا يمكن مقارنته بالشهوة الجسدية المؤقتة. مع تذكرك دائماً مشاعر الرضا تلك بين الحين والآخر، تجد أن كافة مستويات الوجود سوف تساهم في إسعاد حياتك وحيات المرأة أيضاً.. أقصد المرأة التي تستطيع منح الولادة لخليقة في صورة الخالق، من تصميمه الخاص.."

مدت أناستازيا يدها باتجاه فلاديمير، محاولة أن تقترب أكثر، لكن فلاديمير ابتعد بسرعة خاطفة باتجاه إحدى الزوايا الداخلية لحفرة وصاح قائلاً: ".. ابعدي من طريقي.."

وقفت أناستازيا وابتعدت من مدخل الحفرة، فخرج فلاديمير مدبدباً من داخلها ثم ابتعد عن أناستازيا عدة خطوات، وقال مؤنباً: ".. لقد قمتي بتجريدي من ما يمكن أن يكون أحد أهم ملذاتي في الحياة!.. الجميع يتوق إليها، الجميع يفكر بها، فقط أنهم لا يتكلمون عنها بصوت عالي.."

قالت أناستازيا: ".. إنها أوهام يا فلاديمير.. ملذاتك هذه. لقد ساعدت في إنقاذك من شهوة رهيبة ومؤذية وأثيمة.."

قال فلاديمير: ".. أوهام أو لا، فالأمر سيان. إنها ملذّة يعترف بها الجميع! أياكِ أن تفكري بأن تخلصيني من أي شهوة مؤذية كما تعتبرينها أنتِ. وإلا في الوقت الذي أخرج فيه من هذا المكان تكوني قد جردتيني تماما من كل شيء.. لا علاقات مع نساء، لا

مشروبات أو مقبلات، لا تدخين! هذه الحالات الجرداء لا يعتادها معظم الناس في حياتهم الطبيعية.."

قالت أناستازيا: ".. حسناً، ما الخير في المشروبات والتدخين والهضم المؤذي لكميات كبيرة من لحم الحيوانات، في الوقت الذي يوجد فيه الكثير من النباتات الرائعة والمخلوقة خصيصاً لتغذية الإنسان؟.."

قال فلاديمير: ".. اذهبي أنتي وغذي نفسك بالنباتات إذا أردتي.. لكن لا تقتربي مني.. الكثير منا يجدون المتعة في التدخين والشرب والجلوس على مائدة طعام جيّدة. هكذا نفعل الأشياء، هل تفهمين؟.. هكذا نفعل.."

قالت: ".. لكن كل ما عددته هو سيء ومؤذي.."

قال: ".. سيء؟.. مؤذي؟.. إذا جاء ضيوف ليحتفلون عندي، فيجلسون على الطاولة ثم أقول لهم، تفضلوا بعض المكسرات لتقرشوها، إليكم بتفاحة، اشربوا ماء، ولا تدخّنوا.. فهذا سيبدو سيء جداً.."

قالت: ".. هل هذا الشيء الأكثر أهمية، أن تجتمع مع أصدقاء وتجلسون على المائدة لتشربوا وتأكلوا وتدخنوا؟..

قال: ".. إن كان مهماً أو لا فهذه مسألة أخرى.. هكذا يتصرف الناس في كافة أنحاء العالم. حتى أن بعض البلدان لديها أطباق رئيسية وجب أن تكون حاضرة على المائدة.. الحبش المشوي مثلاً.."

قالت: ".. لكن هذا الأمر ليس مقبولاً من قبل الجميع في عالمكم.."

قال: ".. ربما ليس كل فرد، لكنني أعيش بين أشخاص عاديين.."

قالت: ".. لماذا تعتبر الناس من حولك بأنهم الأكثر طبيعيين؟.."

قال: ".. لأنهم يمثلون الأكثرية.."

قالت: ".. هذا ليس مبرر جيّد بشكل كافي.."

قال: ".. هذا ليس مبرر جيّد بالنسبة لكِ. لأنه أمر يستحيل شرحه لكِ.."

بدأ غضب فلاديمير يهدأ ويتلاشى. تذكر سماعه بوصفات طبية ومعالجين متخصصين في الأمور الجنسية، وراودته فكرة أنه إذا قامت بطريقة ما بإيذائه أو عطبه جنسياً فسوف يتمكن الأطباء من إصلاح الأمر. ثم قال: ".. حسناً يا أناستازيا.. دعينا نصنع سلاماً بيننا.. أنا لم أعد غاضباً منكِ.. أشكركِ على الليلة الرائعة التي أمضيناها.. فقط لا تحاولي إنقاذي من عاداتي التي تعتبرينها سيئة. أما بخصوص الجنس فسوف أصلح الأمر بمساعدة الأطباء والأدوية المتطورة.. دعينا نذهب ونسبح قليلاً.."

انطلق فلاديمير متوجهاً نحو البحيرة، متمتعاً بجو الغابة في الصباح. في الوقت الذي بدأ مزاجه الجيد يعود إليه، قالت أناستازيا التي كانت تمشي خلفه: ".. الأدوية والأطباء لن يستطيعوا مساعدتك الآن. من أجل أن يتمكنوا أن يعيدوا كل شيء إلى مكانه عليهم أولاً محو ذاكرتك عن كل شيء حصل وكل شيء شعرت به.."

".. يا إلهي.. ها هي بدأت من جديد.."، توقف فلاديمير عن المشي نتيجة الصدمة التي أصيب بها من ما سمعه. فالتفت إليها وقال بصيغة الأمر: ".. إذاً، عليكِ إعادة كل شيء كما كان.."

قالت: ".. لا أستطيع.."

مرّة أخرى، أصيب فلاديمير بشعور جارف بالغضب الشديد، والخوف بنفس الوقت. فقال: ".. أنت.. أيتها الصفيقة الوقحة!.. لقد أدخلت أنفك في ما لا يعنيكِ وقلبتِ حياتي رأساً على عقب! هكذا إذاً.. لقد لعبتي علي خدعة قذرة! والآن تقولين بأنك لا تستطيعين إصلاحها؟!..

فأجابته أناستازيا: ".. أنا لم ألعب عليك أي خدعة قذرة.. في النهاية أنت الذي كنت تواقاً لإنجاب ولد.. لكن مرت سنوات طويلة ولم تنجب أي ولد. وما من مرأة في حياتك أرادت الحمل بولد منك. لكن أنا أردت أن أنجب ولد منك، وأردته صبياً كما أردته أنت. وهذا شيء أستطيع فعله لك.."

".. لماذا أنت قلق جداً بخصوص أمور مستقبلية حيث تجعل الأمور سيئة بالنسبة لك؟.. ربما سوف تفهم لاحقاً.. أرجوك لا تخاف مني يا فلاديمير.. أن بكل تأكيد لا أحاول التلاعب بعقلك.. هذا الأمر حصل لوحده. لقد حصلت على ما تريده.. كما أنني لازلت أريد أن أخلصك من خطيئة واحدة أخرى.."

سأل فلاديمير: ".. وما هي هذه الخطيئة؟.."

أجابت: ".. الغرور.."

قال فلاديمير: ".. أنت مضحكة فعلاً.. فلسفتك وطريقة حياتك لا تمت بالإنسانية بصلة.."

قالت أناستازيا: ".. وما هو الأمر غير الإنساني بخصوصي والذي يخيفك؟.."

قال: ".. أنتِ تعيشين لوحدك في الغابة، وتتواصلين مع النباتات والحيوانات.. لا أحد في مجتمعنا يقترب حتى من هذه الطريقة في الحياة.."

قالت: ".. كيف يمكن هذا يا فلاديمير؟ لماذا؟.. أصحاب المزارع والمنازل الريفية لديكم.. هم أيضاً يتواصلون مع النباتات والحيوانات، لكن ليس بطريقة واعية بل في اللاوعي. لكنهم سوف يفهمون يوماً ما.. الكثير منهم بدأوا يفهمون.."

قال فلاديمير: ".. أنظروا إليها.. أصبحت مزارعة الآن.. وهذا الإشعاع العائد لكِ.. أنتِ تعلمين أمور كثيرة، لكنك لا تقرأين الكتب.. لا بد من أنك نوع من المتصوّفة.."

قالت أناستازيا: ".. سوف أحاول أن أشرح كل شيء لك يا فلاديمير.. لكن ليس مرّة واحدة.. أنا أحاول، لكنني أعجز عن إيجاد الكلمات المناسبة.. كلمات قابلة للإستيعاب.. أرجوك صدقني.. كافة قدراتي هي موجودة في أي إنسان.. إنها شيء ممنوح للإنسان منذ البداية.. في الماضي البعيد حيث أصوله الأولى.. وكل فرد يستطيع فعل ما أفعله اليوم.. على أي حال بدأ الناس يعودون إلى أصولهم الأولية.. لكنه سوف يكون تقدم تدريجي بعد أن تنتصر قوى النور!.."

قال فلاديمير: ".. وماذا عن الحفلة الغنائية التي أديتيها الليلة الماضية؟.. لقد قمتي بغناء كل الأغاني وبكافة أنواع الأصوات التي تعود للفنانين المفضلين لدي، وغنيتيها بنفس الترتيب الذي كانت موجودة فيه بشريط الفيديو..كيف استطعتي فعل ذلك؟!.."

قالت: ".. هذا صحيح يا فلاديمير.. لقد شاهدت الشريط مرة واحدة على القارب عندك، فحفظته وحفظت أصوات الفنانين.. سوف أشرح لك كيف حصل هذا لاحقاً.."

قال: ".. وماذا فعلتِ؟!.. قمت بحفظ كامل الشريط عن ظهر قلب بعد سماعه من المرة الأولى فقط؟!.. حفظتِ الكلمات والأنغام والأصوات لكافة الأغنيات والفنانين؟!.."

قالت: ".. نعم، حفظتها جميعاً.. ما هو الأمر الصعب أو السحري في الموضوع؟.. يا إلهي، ماذا فعلت! لقد تكلمت كثيراً، وقد كشفت الكثير!.. أنا مغفلة وخرقاء! لقد قال لي

هذا جدّي من قبل. قلت لنفسي بأنه كان يمزح. لكنني فعلاً خرقاء. أرجوك.. فلاديمير!.."

بدت أناستازيا ضعيفة ومسكينة في تلك اللحظة، وربما هذا هو السبب الذي جعل كافة مخاوف فلاديمير منها تزول. لكن كامل مشاعره الآن محكومة بفكرة ابنه المستقبلي.

قال فلاديمير: ".. حسناً، أنا لست خائفاً منك.. فقط أرجوكِ حاولي أن تكوني منضبطة قليلاً.. تذكري ماذا قال لك جدكِ.."

قالت: ".. نعم.. وجدّي.. لكن ها أنا ذا أتكلم وأتكلم.. لدي رغبة قوية لإخبارك بكل شيء.. هل أبدو مثل الثرثارة؟.. نعم؟.. لكنني سأحاول جهدي.. سوف أحاول بكل ما عندي ضبط نفسي.. سوف أحاول الكلام فقط وفق مصطلحات يمكنك أن تفهمها.."

قال فلاديمير، مغيراً الموضوع: "..إذاً، سوف تنجبين مولوداً قريباً يا أنستازيا.."

قالت: ".. طبعاً! لكنه لن يكون الموعد الطبيعي.. ففي الحالة المثالية، وجب أن يحصل في الصيف حيث تستطيع الطبيعة أن تساعد في الغذاء.."

قال: ".. لماذا إذاً اتخذتِ قرار الحمل طالما أن الأمر مخاطرة بالنسبة لكِ وللطفل؟.."

قالت: ".. لا تقلق يا فلاديمير.. على الأقل إبنك سوف ينجو ويعيش.."

قال: ".. وأنتِ؟.."

قالت: ".. سوف أحاول أن أصمد حتى الربيع، وحينها كل شيء سوف يعدل نفسه.."

قالت أناستازيا هذا دون أي نبرة أسى أو خوف على حياتها. ثم ركضت وقفزت إلى البحيرة الصغيرة. فراحت المياه مع اصطدامها بها تطير وتلمع بنور شمس الصباح، كما الألعاب النارية ومن ثم راحت تعود إلى سطح البحيرة الأملس كما لو أنه مرآة. بعد ثلاثين ثانية تقريباً راح جسد أناستازيا يبرز من تحت الماء. استلقت على سطح الماء ويداها ممدودتين وكفيها للأعلى وابتسمت.

وقف فلاديمير على ضفة البحيرة ونظر إليها وفكر لنفسه: ".. هل سوف يستطيع السنجاب أن يسمع إشارة يدها عندما تكون مستلقية مع الطفل في مأواها الشتوي؟ هل سيأتيها مساعدة من أصدقاءها الحيوانات؟ هل سيكون لجسمها الحرارة الكافية لتدفئ الطفل الصغير؟.. لكن فجأة، وقد صدم فلاديمير من أناستازيا تجيب خواطره قائلة بصوت خافت مع خروجها من الماء:

".. إذا برد جسدي ولم يكون للطفل شيئاً ليأكله، سوف يبدأ بالبكاء.. إن بكاءه اليائس سوف يساهم في إيقاظ الطبيعة، أو على الأقل جزءاً منها، قبل بداية فصل الربيع، وبعدها كل شيء سيكون بخير.. سوف يقومون برعايته.."

قال فلاديمير مصدوماً: ".. أنتِ قرأتي أفكاري؟.."

قالت: ".. لا، أنا فقط خمنت بأنك تفكر بهذا الموضوع.. هذا أمر طبيعي.."

قال فلاديمير: ".. يا أناستازيا، أنتِ قلتِ بأن أقاربك يسكنون هنا في الجوار.. هل يمكنهم مساعدتكِ؟.."

قالت: ".. إنهم مشغولون جداً، ووجب أن لا أشغلهم عن أعمالهم.."

قال: ".. ما الذي يشغلهم يا أناستازيا؟ ماذا تفعلون هنا طوال النهار، في الوقت الذي تتلقون الخدمة والعون من البيئة الطبيعية؟.."

قالت أناستازيا: ".. أنا منشغلة دائماً في محاولة مساعدة الناس في عالمك.. أولئك الذين تسمونهم مزارعين أو فلاحين.."

(انتهى الفصل)

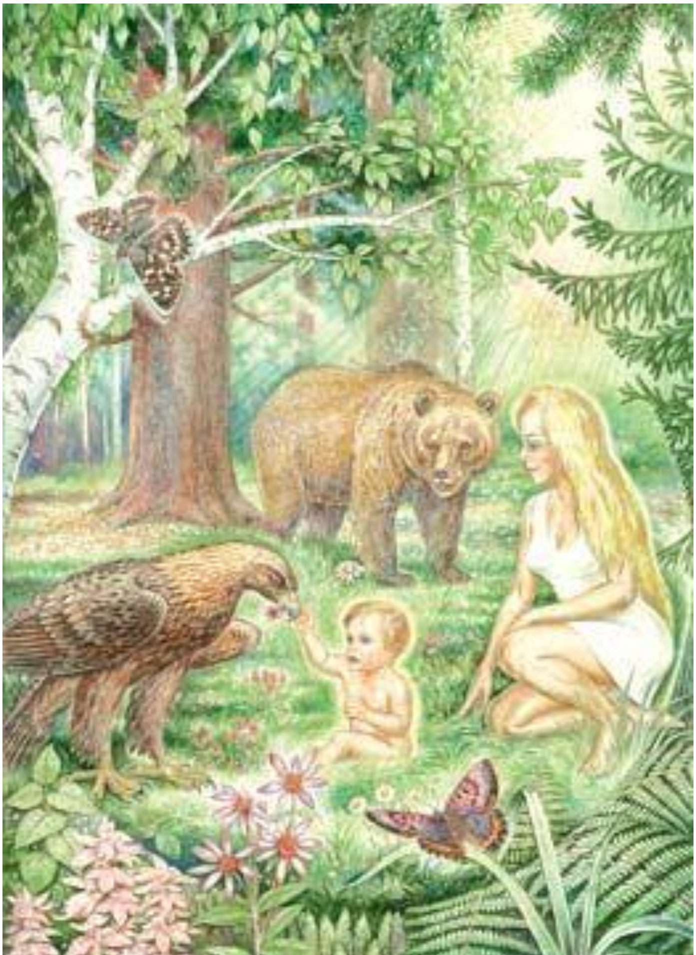

المولود الجديد بعد أن كبر قليلاً. التقى به فلاديمير عند عودته إلى الغابة بعد سنة تقريباً، وقد تحدث عن ذلك في الجزء الثالث من المجموعة.

محاولة قتل أناستازيا

بصفتها خطراً داهماً على النظام العالمي القائم

بعد أن نشر "فلاديمير ميغري" كتابه الأوّل مباشرة، حصل شيئاً لم يكن يخطر في باله أبداً. ربما لأنه لم يكن يتوقع كل هذا التأثير الذي سوف يحدثه في الناس. الذي لم يتوقعه هو وجود الكثير من الفضوليين الذين أرادوا رؤية أناستازيا ومقابلتها بشكل شخصي. لقد تم تنظيم الكثير من الحملات الاستكشافية من قبل عدد كبير من المجموعات الفضولية والتي تتألف من مجرّد مراهقين مغامرين إلى أشخاص عاطفيين يتوقون إلى عبادة أحد الأفراد وتمجيده. لكن يبدو أن ما من هذه الحملات الاستكشافية أثمرت بنتيجة مجدية.

لطالما عبر فلاديمير عن ندمه الشديد لكشفه عن العنوان الحقيقي لمنطقة وجودها في الغابة السيبيرية الممتدة على مساحة شاسعة جداً. لكن كل تلك الضجة التي أحدثتها الحملات الاستكشافية المختلفة والعديدة من قبل أشخاص عاديين لم تكن تمثل شيئاً مهماً مقابل تلك الحملة الاستخباراتية/العسكرية التي تم تنظيمها من قبل إحدى الجهات النافذة في الحكومة والتي يبدو أنها كانت جدّية جداً في هذا المسعى لدرجة أنها كانت مصرّة على إيجاد أناستازيا والعودة بها إلى موسكو أو التخلص منها إلى الأبد. هذا الإصرار الذي دام فترة من الزمن بحيث أربكت أهالي تلك المنطقة دفع أناستازيا إلى الحضور لوحدها وبإرادتها والدخول إلى المعسكر الذي كانت مجموعة من رجال الأمن تقيمه وسط الغابة.

خرج قائد المعسكر لمقابلتها في الخارج، وسألته أناستازيا: هل تبحثون عنّي؟.. فها أنا ذا..."، قال الضابط: ".. نعم، نحن نبحث عنكِ وموكلون بمهمة أخذك إلى موسكو لنجري بعض التجارب على قدراتك الاستثنائية ثم نعيدكِ فوراً..". في الحقيقة، لا يوجد أي معنى للحوار الذي دار بينهما، لكن المهم هو أنها رفضت الذهاب معهم، ويبدو أن التعليمات التي لدى رجال الأمن هي قتلها فوراً إذا رفضت الانصياع لطلبهم! يبدو أن أناستازيا مثلت خطراً داهماً على أسياد العالم الذين يسعون عبر قرون إلى ترسيخ

مخطط شيطاني يهدف إلى تحويل شعوب العالم إلى مجتمعات استهلاكية تافهة.. إلى تنابل لا يفقهون شيئاً عن طبيعتهم الأصيلة والغاية الفعلية من وجودهم. يحاولن جاهدين، وبكل ما عندهم من قوة ونفوذ، تحويلنا إلى رجال لصوص ونساء بائعات هوى.. مجتمع دنيوي فاسد وفاسق ومنافق ومجرّد من الأخلاق كلياً.

وسط هذا المخطط الشيطاني لا مكان لأشخاص مثل أناستازيا. هذا أمر كبير لا يمكن لهم تحمله. وجب التخلص من هذه الشائبة الملوثة في الحال. لأن غاية هذه المرأة كانت مختلفة تماماً. أرادت تحويلنا إلى كائنات محبة وصالحة وشريفة، ليس بالغصب والتقييد والتهديد والوعيد كما تفعل الأديان التقليدية، بل بالحب والاقتناع بأننا فعلاً شرفاء ونمثل أنبل الكائنات وأعظمها. هذا ما سعى إليه الكثير من الأشخاص عبر التاريخ لكنهم واجهوا نهاية وخيمة لما آمنوا به وسعوا من أجل تحقيقه. تاريخنا كله مزوّر!

بعد أن فقدوا الأمل من انصياعها لطلبهم، قام أحد أفراد الأمن، والذي يبدو أنه كان مستفزّاً من عنادها وكبرياءها، بتوجيه بندقية رشاش نحو أناستازيا وأفرغ المخزن بالكامل! لكن الأمر الذي أبهرهم جميعاً وأرعبهم بنفس الوقت هو أن كوكب من النور الشديد تشكّل حول هذه المرأة العجيبة وشكّل درعاً منيعاً حماها من طلقات البندقية! ما عدا جرح واحد فقط، مشحة رصاصة واحدة في جانب رأسها عند الصدغ، سال منه الدم! لو أنهم يدركون ماذا فعلوا.. لو أنهم يعلموا كم هي ثمينة نقطة الدم هذه.. لو أننا ندرك كم هي مهينة نقطة الدم هذه بالنسبة لنا كبشر حقيقيون.. ماذا فعلت هذه المرأة الرقيقة الطاهرة البريئة لكي تستحق هذه المعاملة، في الوقت الذي يتمتع به أخطر المجرمين في العالم، رجال الشيطان، بالعز والمجد والاحترام والجاه والحياة الرغيدة في القصور الفخمة.. والمرافقة الأمنية والخدم والحشم والأمان والاطمئنان...؟

المهم أن أناستازيا رحلت بعدها متوجهة نحو الغابة دون أن يتجرأ أحداً الاقتراب منها. خصوصاً بعد ما شاهدوه. هي لم تؤذي أحداً منهم، لأنها لا تعرف الأذى أو الكره أو غيرها من مشاعر بغيضة.. لكنها كانت متفهمة ومتسامحة ومحبة بنفس الوقت. المهم

أن أناستازيا بقيت مصرّة على موقفها الذي عبرت عنه بالمقولة التالية: ***".. أنا موجودة فقط لمن وجدت من أجلهم.."***

لقد ساهمت أناستازيا في إعادة بعث حب الطبيعة والعيش معها بتناغم وسلام في مجموعة كبيرة من الناس، وهذا التأثير انتشر عبر دول عديدة

رأي أكاديمي

هناك مركز أبحاث في موسكو مكرساً للتحقيق في ظاهرة أناستازيا، وقد استنتج ما يلي:

".. إن أعظم المعلمين الروحيين المعروفين للبشرية بفضل تعاليمهم الدينية وأبحاثهم الفلسفية والعلمية، لا يمكن أن يُقارن تأثيرهم بذلك التأثير المذهل الذي خلقته أناستازيا على الوجدان البشري خلال أيام وشهور فقط، ودون مساعدة أي تعاليم دينية أو تعليمات مكتوبة بطريقة منظمة أو حملات تبشيرية من أي نوع.. فقط الاطلاع على طريقة حياتها الغريبة في الغابة وطريقة تفكيرها غير المألوفة عبر قراءة مجموعة كتب فلاديمي ميغري.. بينما التعاليم العائدة لؤلئك المعلمين الروحين العظماء لم تتجسّد في حياة الناس إلا بعد رحيلهم بقرون عديدة. أما أناستازيا، فبطريقة غامضة ومجهولة، استطاع تأثيرها أن يطال بشكل مباشر مشاعر الناس ووجدانهم، ويستنهض انتفاضات عاطفية غريبة ويسبب هيجان من الإبداع المتجلي في مجالات فنية مختلفة (مثل الرسومات والمقطوعات الموسيقية وغيرها) لدى عدد كبير من الناس الذين لمست عقولهم قصة هذه المرأة العجيبة. يمكننا النظر إلى تلك الأعمال الفنية المختلفة بصفتها أعمال فنية مستلهمة من دوافع دفينة نحو الخير والنور.."

الأستاذ "كيم إفانوفيتش شيلين" Kim Ivanovich Shilin، هو بروفسور في الفلسفة ودكتور في العلوم الاجتماعية في جامعة موسكو الحكومية، كما أنه عضو في الأكاديمية العالمية للمعلوماتية، كتب عدة مقالات يحلل فيها أقوال أناستازيا وآرائها بخصوص مواضيع عدة، كتب في أحدها قائلاً:

".. إن إمكانيات أناستازيا الخلاقة تعتبر هدية من الله، هدية من الطبيعة، وهذه موهبة كونية وليست مجرّد مسألة شخصية متعلقة بها. جميعنا ككل، وكل منا تحديداً، متصلون بالكون الذي يشملنا. الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من تجنب كارثة مستقبلية محتمة تتجلى في خلق تركيبة متناغمة ومنسجمة لمبادئنا الحضارية. إن تطوير هكذا نوع من الحضارة المتناغمة المتمحورة حول الأطفال تتطلب وجوب التحول إلى حضارة "أمومية" أو "أنثوية"..."

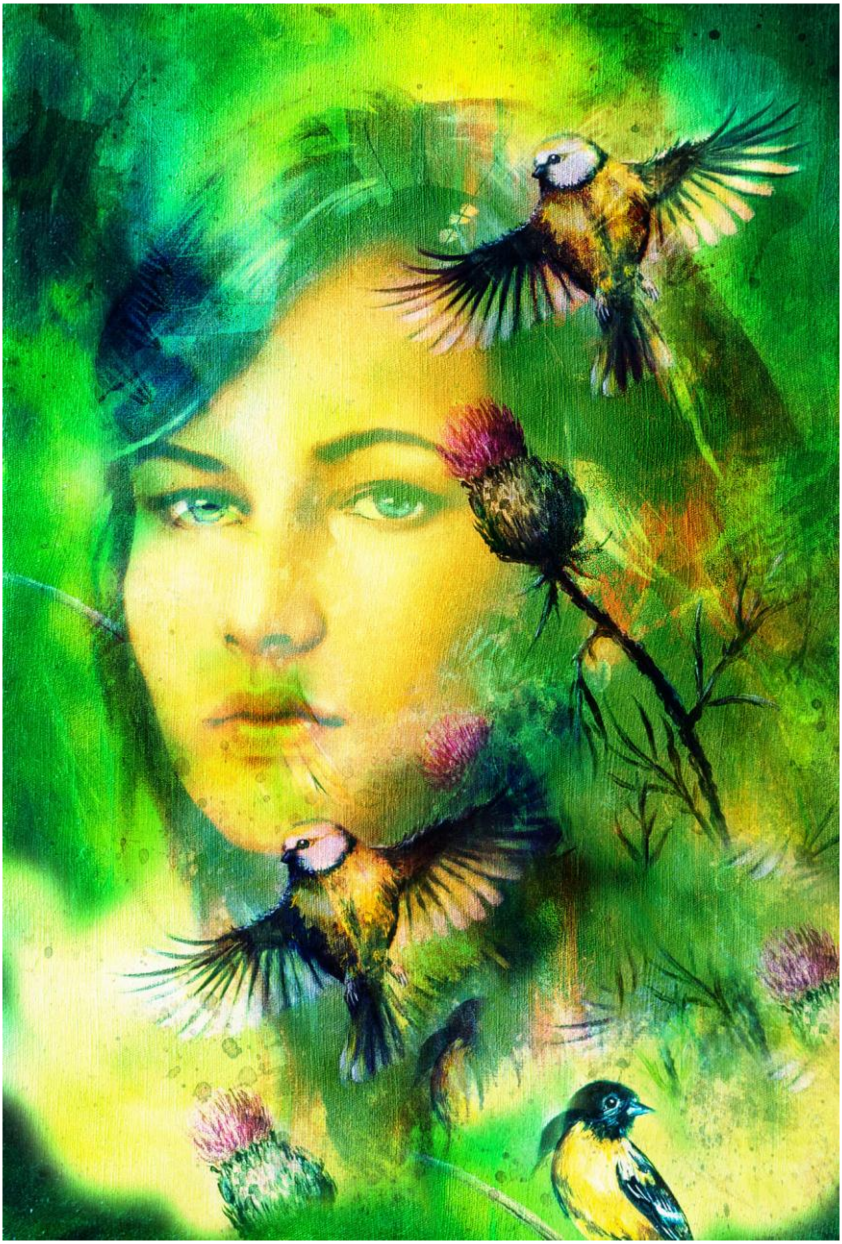

العودة إلى مجتمع أمومي (الحكم للأنثى)... هو الحل الوحيد لكافة مشاكل كوكبنا وكل ما يشمله من كائنات تعاني وتتألم نتيجة الظروف القاسية التي خلقها المجتمع الأبوي (الحكم للذكر) وحماقاته عبر العصور المظلمة السابقة.

الغاية من الحياة

لم يعد هناك أي شكّ بوجود غاية وراء حياة كل إنسان في الوجود، فالطبيعة لا تنتج أشياء غير ضرورية، الطبيعة لم تخلق أشخاص لكي ينجحوا وأشخاص آخرين لكي يفشلوا في الحياة، الطبيعة لم تكن أبداً عشوائية في تصرفاتها، بل إنّ كل كائن حيّ يحقق جزءاً من المخطط الشمولي العام، وهذا المخطط قد تمت شخصنته لدى كل إنسان، أي أصبح أمراً فردياً بالنسبة لكل شخص، وهذا يعني أن كل إنسان هو موجود لغاية محددة. لكن السؤال هو: لماذا أغلبية الناس ليسوا على إدراك بهذه الغاية؟. أعتقد أن الجواب هو بسبب حالة الإرباك التي يصاب بها الإنسان نتيجة تعرضه إلى ضغوط خارجية اصطناعية نابعة من بيئته الاجتماعية التي ينشأ وسطها.

إنّ الطفل لحظة ولادته يمتلك أعلى درجات من الذكاء. رغم أنه مولود جديد، لكنه يكون أكثر حكمة من أي وقت آخر في حياته. ربما هذا هو السبب الذي يجعل معظم الأطفال يأتون إلى هذا العالم وهم في حالة بكاء، وقد نلاحظ لدى الكثير من الأطفال عمق

غريب وغامض في نظراتهم وتصرفاتهم، رغم كونهم صغار جداً، إلا أن ملامح وجوههم الصغيرة تشير إلى أنهم يعرفون أكثر بكثير مما نتوقعه.

منذ لحظة ولادة الطفل تبدأ مأساته، إذ يُعتبر ملكاً حصرياً لذويه، وبالتالي هم أحرار في التصرف به كما يشاؤون، وبعد فترة من اعتباره لعبة مسلية بحيث كل فرد من العائلة نال حصته منه في اللعب والتسلية، تبدأ مرحلة التكييف بحيث الجميع يريد لهذا الطفل أن ينجح في الحياة، وربما قبل أن يحققوا هذه الرغبة الأنانية يكون الفتى قد دُفع عنوة إلى دوامة من الضياع والفشل.

خلال اجتهاد الأهل للافتراض بأن هذا العالم المادي الذي نأتي إليه لبعض السنوات هو أهم مكان في الوجود، والهدف الأعظم هو تحقيق بعض النجاحات المؤقتة هنا، تبدأ عملية تكييف الشخصية وفق أنماط تقليدية تطبق على الطفل المسكين. يُقال له ما الذي عليه أن يؤمن به وكيف يؤمن به. و إذا نشأ في عائلة متديّنة يقولون له من يعبد، وأي معبد هو الأنسب له. وعندما يلتحق بالمدرسة يلتقي بزملاء مكيّفين ومبرمجين مثله أكثر أو أقلّ. جميعهم أطفال خضعوا لنفس التأثيرات مثله، وقد تم تدمير أرواحهم قبل أن يصلوا صفوف الابتدائية. لقد تعرّض الواقع الحقيقي الكامن في جوهرهم إلى الصد والكبت بشكل دائم ومستمرّ.

بعد فترة، يبدأ هذا الولد المتنامي تدريجياً، والخاضع باستمرار لجميع أنواع التكييف، بالافتراض بأن قبول العالم له هو الأمر الأكثر أهمية، عليه أن يكافح من أجل البقاء، فيرى مثلاً أنه عليه إتمام تعليمه لكي يستطيع أن يصنع لنفسه مكانة في هذه الحياة ومورد رزق يعتاش منه. فتبدأ رحلة العذاب محاولاً إحراز نتيجة مجدية في مجال قد لا يناسبه إطلاقاً، المهم أن ينال رضى الجميع، المهم أن يشعر بقبول المجتمع له. لقد دُفع بأن يكون مهووس دائماً بالنجاح في هذه الدنيا.

لا يُشجّع الإنسان أبداً على الاعتماد على موارده الداخلية التي ولدت معه طبيعياً. لم يفطن أبداً بأنه خلف هذه الضغوطات التي تنهال عليه يوجد شيء آخر يمكن أن نسميه

الحياة الأبدية.. الواقع الحقيقي الذي هو أعمق وأكثر أهمية من القشور الزائفة التي ألقيت عليه وتراكمت فوق طبيعته الأصيلة فحجبتها تماماً.

الطريقة الوحيدة التي يمكننا معالجة الموضوع بها هي أدراك حقيقة أنه مجرّد أن تلقينا التكييف والبرمجة الكاملة من قبل مجتمعنا وأصبحنا بالغين جسدياً وفكرياً، ربما نستطيع التوقف للحظة ونحاول التعرف على المزيد عن أنفسنا. لكن عادةً ما تأتي لحظة التوقف هذه فقط عندما نواجه انتكاسات جسدية أو عاطفية أو غيرها من عوامل تؤدي إلى كسر أو تعطيل روتين الخطة الموضوعة لطريقة الكسب في الحياة، أو طريقة عيش الحياة اليومية. المهم أنه غالباً ما تكون الكارثة أو الإحباط أو الاكتئاب أو حتى المرض الشديد... أو غيرها، هذه هي الحالات الضاغطة، والتي صُممت أصلاً لتتجلى في حياتنا لكي تذكرنا بأن لدينا وجود ذاتي خاص بنا، وهذا الوجود الذاتي يجب أن يُمنح تعبير خاص به، وإلا فالحياة التي نعيشها تبقى غير مكتملة.. أي بمعنى آخر، الحالات

الضاغطة التي تصيبنا في فترة معينة من حياتنا هي عبارة عن أدوات تذكرنا بأنه يجب إعادة النظر في مجرى حياتنا حيث أن هذه الحياة ليست عشوائية بل لها غاية وهدف وعلينا لعب دور محدد لنا في هذه الحياة وإلا تعتبر حياة غير كاملة.

القليل منا فقط تمكنوا من عبور هذه الحياة دون أن يمروا في مأساة معيّنة.. دون انتكاسات، أحزان، إحباطات، وحتى خيبات أمل،.. وهذه الحالات تشير في معظم الأحيان إلى حقيقة أننا لم نسير نحو تحقيق الغاية التي خُلقنا من أجلها. الإنسان العلماني المادي لا يؤمن أصلاً بأن هناك غاية من الحياة، لذلك نراه يساهم في استمرارية حالة وجود عديمة الهدف، وهي حالة عشوائية بكل تأكيد، هدفه الرئيسي في حياته هو التقدم في الحياة والازدهار المادي. نرى أحدهم يصبح مصرفي وآخر يصبح أستاذ في الجامعة، وبهذه الإنجازات يعتبرون بأن حياتهم قد اكتملت لأن طموحاتهم تحققت، ليس كلياً لكن بدرجة كبيرة على الأقل. لكن في الواقع، هؤلاء الأشخاص أمضوا عقود طويلة من حياتهم الدنيوية المادية منشغلين في تقدمهم بالحياة لكنهم لم يتعلموا شيئاً من دروس الحياة التي خُلقوا أصلاً من أجل تعلمها واكتساب الحكمة منها. حتى أنهم لم يتعلموا كيف يكرسون طاقاتهم وتوجيهها نحو تحقيق غاية كونية أعظم بكثير من أي طموح دنيوي مادي. لكن كيف يمكننا تسوية هذه المسألة؟ كيف نستطيع مقاربة المشكلة لكي نتمكن من معالجتها؟

أوّل خطوة وجب اتخاذها هي دراسة أنفسنا جيداً، مهما كان عمرنا، أي إذا ما تجلّى ذلك الدافع بداخلنا. خلال عيش حياتنا العادية وفعل ما نفعله بشكل روتيني، والذي يبدو منطقياً أو حتى حتمياً، يمكننا أن نسأل أنفسنا مثلاً: ماذا أرغب في عمله فعلياً بحياتي؟ إذا سمحت لي الظروف أن أتخذ قراراً مستقلاً تماماً، إلى أي اتجاه تدفعني غرائزي الطبيعية؟ قد يكون الإنسان محامي ناجح لكنه لطالما أراد أن يصبح قبطان سفينة أو قارب. وانسان آخر رغب دائماً أن يصبح شاعر ويؤلف الدواوين لكن انتهى به الأمر موظفاً في المصرف يوقع على شيكات التسليم والاستلام. السؤال الكبير هو: **ماذا يمكن أن يكون الشخص لو تمكن من تحقيق الدوافع الأعمق من حياته الداخلية؟ ماذا**

يشور عليه ذلك الصوت الخافت بداخله؟ إذا كانت ضغوطات التأثير الخارجي غائبة تماماً، ماذا سيختار الفرد كهدف رئيسي أو دور رئيسي في حياته؟

أعتقد بأن كل كائن حي، ابتداءً من عالم المعادن وصعوداً، لديه نوع من الحياة الداخلية المُدركة فقط عبر الحدس والبديهة، وهذه الحياة الداخلية البديهية تحفّز ذلك الكائن الحيّ، مهما كان نوعه، على تحقيق الغاية التي خُلق من أجلها أصلاً. إن الافتراض بأن المصير الكوني يتحقق فقط لأن الشخص صار زعيم سياسي أو اقتصادي كبير أو ممثلة مشهورة.. أو غيره، هو افتراض خاطئ. كل هذه الأمور ليس لها أي أهمية أو قيمة بالنسبة للطبيعة.

الطبيعة هي المسوّي الوحيد لكل الأشياء. للطبيعة تأثير كبير يقبع ما وراء كافة الأشياء والظروف التي ندركها ونختبرها. هذه الطبيعة لن تهتم أبداً وبكل تأكيد إذا كان لدينا مسبح في حديقة منزلنا أم لا. هي لا تهتم بنوعية ومستوى عيشنا بل بكيفية عيشنا. الطبيعة لديها وظيفة خاصة بها. وهي بكل تأكيد تعمل عبر ومن خلال الكائنات الحيّة بهدف تحقيق الخير العام. وكل انسان منا هو مجرّد أداة صغيرة في هذا المخطط الكوني العظيم. وإنه من المهم بالنسبة لنا أن نحاول فهم الغاية الطبيعية للإنسانية جمعاء.

لماذا خُلق الكائن البشري؟.. لماذا نُفِخت فيه روح الحياة؟.. لماذا مُنح الجسد الذي يملكه؟.. ماذا كانت غاية الطبيعة عندما وضعته في البيئة التي يعرفها؟.. هذه التساؤلات تم تجاوزها وتجاهلها لأنها مناقضة لسياسات السلوك والتوجّه المتفق عليها من قبل الجميع. رغم ذلك لا يمكننا الافتراض بأن مسار الطبيعة قد تأثر نتيجة سقوط الامبراطورية الرومانية، أو الخطة الإلهية انقلبت رأساً على عقب نتيجة تصرفات أدولف هتلر والنازية، أو فتوحات الاسكندر المقدوني أو اجتياحات جنكيز خان. كانت هذه مجرّد فترات تاريخية عابرة، أو حتى أحداث تافهة، في الجانب السطحي الخارجي من الوجود البشري. هي تشهد على الجهل والطموحات الواهمة والتكبّر والطغيان وغيرها من صفات شاذة لم تُمنح لنا أصلاً من قبل الخالق [جلّ وعلا].

إن فكرة كوننا خلطة من الخير والشر (مع ضعف كبير يقع بسهولة للشر) هي فكرة مجرّدة من الأساس إذا كنا نتفكّر وفق منظور الطبيعة. لقد قامت الطبيعة بتجميعنا بطريقة استثنائية فعلاً. لقد خلقت كائن حتى أعظم العلماء يعجز حتى الآن عن تقدير مدى عظمته. الإنسان مليء بالعجائب. لقد تآمرت الطبيعة لصنع معجزة حقيقية واسمتها "الإنسانية". والسؤال الآن هو: ماذا ستصنع هذه المعجزة؟ ما الذي يبرر ملايين السنين من التطور الجسدي التي تقبع في ماضي الإنسان؟ ما الذي سوف يبرر التكشّف الدائم والمستمر لملكات وقوى مختلفة كامنة في جوهر الإنسان، ومعظمها تم تحريفه وإفساده وتم الحطّ من مستواه ليصبح مجرّد أدوات للربح المادي؟ لكن ما وراء الفرد تقبع قوة خلق أكثر رقياً وأعلى منزلة من الاستخدامات الوضيعة التي سخّرت من أجلها الموهبة الخلاقة. يقبع في باطن الفرد مورد أعظم بكثير من أي مورد مألوف يستخدمه في حياته. لكن السؤال هو: لماذا لا يستخدم الانسان هذا المورد العظيم القابع في باطنه؟ الجواب هو بسيط: بالنسبة لمعظم الناس اليوم فإن هكذا مورد ما ورائي غير موجود إطلاقاً!

الإنسان يعيش طوال عمره على الجانب السطحي من وجوده ويتوقع أن ينتهي هناك دون أي انتباه لوجود أعماق عظيمة لهذا الوجود السطحي الذي يختبره. رغم امتلاكه لهذه الخامة الرائعة الممنوحة له فهو يغادر هذا العالم تاركاً القليل مما ساهم فيه لتقدم أي شيء. لكن السؤال هو: كيف إذاً حاز الإنسان على كل تلك الإمكانيات الهائلة الكامنة بداخله؟ يبدو أن الجواب يشير إلى إمكانية واحدة فقط وتمثلها ظاهرة التقمّص أو التناسخ أو إعادة التجسيد. الفرد ليس هنا في العالم المادي للمرة الأولى، ولا حتى المرة الأخيرة. هو يتجلّى عبر مجموعة متسلسلة من التجسيدات المتتالية في العالم المادي. والغاية الرئيسية لهذه السلسلة من التجسيدات هي إغناء الحياة الداخلية للفرد، أي إكسابه حكمة والمساهمة في زيادة نقاوة النفس لديه (أنظر في موضوع التقمص في الجزء العاشر). إنه ينمو عبر آلاف السنين، أو حتى ملايين السنين ربما، نحو الموافقة أو محاولة التوافق مع البيئة المادية التي يتجسّد فيها. بدأ يقترب تدريجياً إلى أن يصبح قادراً على استخدام بدلاً من سوء استخدام الظروف المتنوعة الموجودة حوله في حياته. خلال هذا الإجراء طويل المدى المتمثل بظاهرة التقمّص يكون الفرد قد أنشأ بداخله كيان بالغ، أو

فرديـة (ذاتيـة) معينـة. وهـذه الفرديـة المعينـة لهـا خصوصـيتها التـي تسـتند علـى الخبـرة المتراكمة، وبنسبة كبيرة أيضاً، الحكمة المتراكمة التي اكتسبها عبر الأجيال (الحيوات) المتعاقبة، فهذه المراكمة المستمرة عبر الأجيال قد أنتجت مجموعة كبيرة ومتنوعة من القدرات الكامنة التي لازلنا نتجاهلها في حياتنا السطحية.

هذا لا يعنـي أن أديسون مثلاً كان مخترع المصباح الكهربائي فـي تجسيده السابق، أي قبل مئتي عام مثلاً، أو حتى في تجسيد يعود إلى ألف عام، لكنه خلال تلك التجسيدات السابقة كان يطور مواهب وقدرات ذهنية اجتمعت تدريجياً لتزويده بنوع من العبقرية الخاصة. وهذه العبقرية كانت تعتبر لدى الإغريق ليس ميزة عقلية بل كيان قائم بذاته. بالتالي وفقاً لمفهوم الإغريق فإن هذا الكيان (أي العبقرية) ينمو عبر الأجيال (الحيوات) المتتالية حتى يكتمل في أحد الأجيال فيتجلّى ليصنع من الفرد عبقرياً. إذاً، هذه العبقرية هي عبارة عن سجل مركّب لاواعي لمجموع خبراتنا السابقة. ربما هذا السجلّ بدأ ينشأ في العصر الحجري أو حتى أبكر من ذلك. لكنه يمثل دائماً كفاح من جانب الفرد لتحقيق الأمان وسط بيئة خطيرة. لا زلنا الآن نكافح للغاية نفسها.

لكن لسوء الحظ، فنحن لم نستخدم المورد المتراكم من الخبرات بداخلنا والذي جمعناه في جوهرنا خلال تناسخنا عبر العصور. لأن تلك الخبرات المتراكمة غير قابلة للتذكّر بشكل واعي فيتم بالتالي تجاهلها تماماً، ولهذا السبب لا زلنا عاجزين عن تفسير الأفكار البديهية والحدس والمشاعر والضغوطات الداخلية التي تبرز بداخلنا تلقائياً ودون سبب أو تحفيز مسبق.

أما الضغوط الداخلية فهي مقسومة بشكل طبيعي إلى مستويات عدة، في أحد المستويات نجد تلك الضغوط الداخلية تدفع مثلاً إلى تكرار الأخطاء ذاتها، والتي تستمر في ملاحقتنا وإزعاجنا حتى يتم تصحيحها. في مستوى آخر من تلك الضغوط الداخلية نجد مثلاً الخيال أو البصيرة أو العقل الوجداني، بحيث يصبح الفرد مدركاً بداخله لأمور وقيم أعظم بكثير من بيئته التي يعيش وسطها. معظم المعلمون العظماء في مجال الفلسفة أو الدين، أو المثاليين والطوباويين العظماء، كل هؤلاء ولدوا وهم يملكون مجموع قوي بداخلهم أتت مما اختبروه في حيواتهم الماضية، بينما في حياتهم الحالية استطاعوا

استثمار مجموع ما اختبروه في حيوات ماضية والتي أثمرت نوعية جيدة من الحكمة وقوة الاستدلال.

من الناحية المادية، أو الحياة الدنيوية الجسدية، نحن نبني حكمتنا على تجارب تاريخية للعالم المادي. لكن في الحقيقة هناك نوع آخر من التاريخ والذي لم نفطن له. هذا التاريخ يحفظ سجلاته في كياننا، يتجلى في الدم وفي العظم وفي الشرايين وفي الغدد الإفرازية.. وكذلك يتجلى عبر ضغوط بداخلنا والتي شهدت عصور طويلة من القولبة والتكييف. لا أعتقد بأن هذه السجلات، هذا النمط من الإنجازات السابقة عبر العصور، وجب إهداره هكذا دون استثمار. السبب الذي يجعلنا لا نتذكرها أو نفطن بوجودها بداخلنا بشكل واعي يعود إلى أننا تعلمنا من قبل بيئتنا الاجتماعية ألا نتذكرها بشكل واعي.

مثلاً الطفل الصغير الذي يستعرض عبقرية هائلة في مجال معيّن سوف يسبب الفرح للبعض بينما يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة للبعض الآخر. نحن نعلم أن هكذا أمور تحصل دائماً بين الحين والآخر، كما أننا نعلم أن أشخاص في هذا العالم ولدوا مع قدرة عجيبة على عزف البيانو بشكل رائع وساحر. كما أن هناك أشخاص ولدوا مع قدرة عجيبة على رسم اللوحات الرائعة، أو كتابة الشعر الباهر. كما يوجد البعض الذين ولدوا مع قدرة عجيبة على تناول مواضيع علمية معقدة، وكذلك مواضيع فلسفية مبهجة. وكذلك هناك البعض، وبفعل ضغوط من داخلهم، يميلون إلى ممارسة حياة دينية ملؤها التقوى. كل هذه المواهب لا تبرز في الفرد نتيجة التأثيرات الاصطناعية لحياته الخارجية. أصبحنا على يقين بأن مجموعة واسعة من المواهب تتجلى لدى الأفراد تلقائياً وكأنها ترافقه مع ولادته إلى هذه الحياة. حاولنا تفسير ذلك بالاعتماد على قانون الوراثة الجينية لكنه لم ينجح. وجدوا بأنه ما من وراثة جينية جسدية كافية لتفسير تلك العبقرية الغريبة المتجلية لدى أولئك الأشخاص.

الكثير من الخلاقين المشهورين والمهمين جاؤوا من بيئات اجتماعية أو عائلية تفتقد لأي خلفية داعمة لموهبتهم الفذّة التي استعرضوها. وبطريقة أخرى نرى أن هؤلاء الخلاقون

الموهوبون لم يورثوا موهبتهم وقدراتهم المميزة لأولادهم أو أحفادهم. لا بد من وجود عامل آخر غير الجينات والذي يقرر هذه الظاهرة، وهذا العامل هو السجلات المتراكمة عبر الأجيال والتي يحملها الشخص بداخله. هو طبعاً لا يملك التفاصيل لكنه يحوز على ورقة كشف الميزانية التي يجلبها معه إلى الحياة. هذه الورقة التي تشمل معادلة معينة من مكونات ميزانيته المعلوماتية تنتج نوع محدد من التكامل الداخلي لدى الفرد. هذا التكامل الداخلي هو عبارة عن معادلة محددة من الميزات والخصائص والسمات التي تطغي على شخصية الفرد وتحاول السيطرة على حياته بالكامل إذا لم تقمعها تربيته الخاصة التي يخضع لها في الأسرة والمجتمع. غالباً ما تكون هذه المعادلة الخاصة غير مبنية على أساس النجاح المادي في الحياة.

إذا عدنا إلى فرضية أن الانسان مولود سابقاً أكثر من مرة في هذا العالم المادي (تقمص)، وأضفنا إليها حقيقة أخرى، وهي أنه إذا عدنا إلى الوراء عدة مئات أو آلاف من السنين سوف نجد أن كافة النشاطات والأعمال التي نألفها اليوم كانت في حالة بدائية في تلك الفترة الغابرة، بحيث لم يكن هناك مثلاً اقتصاديون كبار، لأننا لم نكن نهتم أصلاً بموضوع الأنظمة الاقتصادية، حتى أنه لم يكن هناك قادة كبار في أي مجال آخر ما عدا الحروب طبعاً. لم يكن سوى حرف وأعمال قليلة جداً وهي بكل تأكيد بعيدة الصلة بمجال الكمبيوتر مثلاً أو غيرها من تطورات حاصلة في مجال العلوم. كان يسود في حينها نوع مختلف تماماً من التقدم الحضاري. كان تقدماً يهتم بالإجراءات المؤدية إلى إطلاق قوى الوعي الكامنة في الفرد. كانت عبارة عن برامج تدريبية تساعد الفرد على النمو وتطوير وعيه، وأقصد بالنمو تكشّف وتجلّي القوى الروحية الكامنة في الفرد. النمو في الحقيقة هو أن يصبح الفرد تدريجياً وحتمياً، ذلك الذي قُدر له أن يكون أصلاً.

ومن أجل أن يحقق مصيره، على الفرد أن يرقى بمستويات تقديره للأمور، ليدرك بأن المؤسسات القائمة لدينا اليوم سوف تزول وتندثر يوماً، كما حصل مع المؤسسات العظيمة في عصور السابقة. القوانين والكيانات الحكومية التي نألفها اليوم جميعها تشكل أجزاء من مهرجان صاخب لا بدّ أن يمرّ ويختفي في الأفق مع ضجيجه وبهرجته. العالم

يتغير على الدوام، وكل شيء يتغيّر ما عدا التغيير. ومعظم الخبرات التي نكسبها اليوم في العلوم والفنون المختلفة سوف لن تكون ذات جدوى مفيدة في منظومة اجتماعية مختلفة نوعياً. أما تجربة النمو، واختبار التكشّف التدريجي للكوامن الداخلية عبر التجسيد المادي المتناوب، هذه الخبرات سوف تستمر بالتراكم مهما كانت الأحوال والظروف.

لذلك علينا أن نتوصل في النهاية إلى الفكرة الأصلية للطبيعة، ومحورها هو القوانين الطبيعية والقوانين الإلهية. الكائن البشري قد خُلق في البداية ليرتقي إلى شيء معين، وذلك الشيء المعيّن وجب عدم الحكم عليه وفق مفاهيم تتعلق بالأهداف الفيزيائية والميكانيكية التي نحن مدمنون عليها اليوم. ما نحن هنا من أجله يمثل جزء من برنامج النمو الكامل للكون بحد ذاته. وكل خطوة نتخذها هي متصلة بقيم معيّنة في أنفسنا. إحدى تلك القيم هي الاستقامة (أو النزاهة أو الشرف أو الأمانة.. حسب ما تنظر إلى المسألة). الاستقامة تمثل شيئاً لا بد من أن يعبر عن نفسه طبيعياً في حياة الناس. لكن سمة الاستقامة قد تعرّضت للتقويض والإفساد من قبل سوء التوجه والانحراف.

غالباً ما يقرر الفرد التخلي عن الصدق والأمانة محاولاً تجنب تجربة غير محببة. أو من أجل أن يتقدم بمكاسبه المادية أو مكانته الاجتماعية يقوم بإفساد منظومته الأخلاقية. أو بسبب ضعفه أمام نزواته الدنيوية يعمل على إفساد فضائله الشخصية. لذلك نحن في حالة نزاع دائم بداخلنا بين الاستقامة والانحراف.

يمكن لهذا النزاع أن يحصل في أي مكان وزمان. يمكن أن يحصل في كهف (العصر الحجري) ويمكن أن يحصل في ثقافة كلاسيكية (اليونان القديمة مثلاً) ويمكن أن يحصل اليوم، في هذه الحضارة ميكانيكية والممكننة المتقدمة. لازال يمثل جزءاً من شخصية الإنسان الخيار المحيّر بين الاستقامة أو الانحراف.

لكن يبدو أن الميل للانحراف أكثر إلحاحاً داخل الفرد بالإضافة إلى كونه أكثر فائدة وربحاً فيبدو أكثر رغبة. إن كامل قصة الإنسان مع الأخلاق والفضيلة تعود إلى مشكلة الانحراف. يبدو أن الطبيعة تهدف بشكل رئيسي إلى دفعنا نحو تطوير قوتنا الداخلية

للاستقامة. بالتالي فإن الاستقامة تمثل شيئاً ثميناً. هي ليست ثمينة هنا والآن، لكن مهما حصل لثقافتنا في المستقبل فسوف تبقى الاستقامة ثمينة وذات قيمة. وكذلك الحال، مهما حصل معنا بعد أن نترك هذا العالم الدنيوي فسوف تبقى الاستقامة إحدى أكثر العوامل أهمية وضرورة لعملية التقدم والتطور.

إذاً، عبر آلاف السنوات مع تعدد التجسيدات المتناوبة في هذا العالم الدنيوي لازلنا نحاول تحقيق الاستقامة. بعض الناس بدؤوا يبحثون عنها خلال تجسيدهم في وقت مبكر من التاريخ، والبعض الآخر بالكاد بدأ يبحث عنها في تجسيدهم الأخير في هذا العصر الحالي، لكن مهما كانت الأحوال تبقى الاستقامة مطلوبة من قبل الطبيعة. فالطبيعة تسعى دائماً وأبداً إلى إثبات حقيقة أن الاستقامة وحدها تحقق المتطلبات الطبيعية. ها نحن نعيش في عالم قابل أن يكون مكان جميل ورائع مع الكثير من الفرص لكن معظم الخير في هذا العالم قد تم إفساده نتيجة تحريفه وتشويهه وكل ذلك بسبب انعدام الصدق والاستقامة.

حياة بعد حياة فُرض على الإنسان أن يعاني من عدم نزاهة رفاقه ومن ثم يفسد حياته نتيجة عدم نزاهته. وتستمر هذه الدورة مراراً وتكراراً، وسوف تستمر ربما لوقت طويل، حتى يستطيع الفرد كسر هذا النمط المنحرف في العيش والمعاملة، وذلك بعد أن يدرك فجأة بأنه من المهم فعل ذلك. إن وجود الضمير في جوهر الفرد، بالرغم من أنه قد تعرّض للتشويه نتيجة سوء التوجيه، يذكرنا دائماً بأن الرغبة في الاستقامة هي حالة داخلية دائمة بينما الرغبة في الانحراف هي حالة عابرة وغير دائمة ويعود سببها إلى ضغوط خارجية. هناك عامل آخر مهم في نمط الأشياء ويتمثل بالضغوط العاطفية. في الحقيقة فإن الخطة الإلهية تسعى إلى عالم جميل بحيث يكون الناس فيه سعداء ومفيدين وقادرين على تحقيق الاكتفاء العاطفي عبر التعبير السليم للصداقة والتعاطف والتعاون والفضيلة. لكن معظم الناس لا يسعون إلى تحقيق هذا الهدف المثالي. لقد حطّوا من مستوى العالم العاطفي لديهم إلى ذلك المستوى حيث السعي لإشباع الشهوات الجسدية على أنواعها. فقط ليكتشفوا في النهاية بأن تلك الشهوات لا يمكن إشباعها أبداً وأنه مهما

فعلنا أو حاولنا تحقيق السعادة من الخارج حيث السعي لإشباع الشهوات فسوف نبقى بؤساء.

هذه الحقيقة السابقة موثقة ومصادق عليها منذ زمن بعيد جداً وإنه مستغرب عدم الاعتراف بها علمياً. خلاصة هذه الحقيقة هي: ***الفرد الذي يسعى بكل ما عنده محاولاً أن يكون سعيداً يبقى بائساً بشكل دائم، بينما الفرد الذي يسعى لأن يكون صالحاً ومستقيماً يقترب إلى السعادة أكثر من أي شخص آخر***. لدينا الكثير من الخصائص المتعلقة بهذا الشأن لكن أهمها هي الصداقة. معظم الناس هم صدوقين بغريزتهم. لكن من خلال خبرتهم بهذا المجال أصبحوا حذرين وخائبو الأمل. لم تعد الصداقة تعتبر مجرّد قبول بسيط للعلاقات الحتمية في الحياة. في الحقيقة فإن الصداقة هي أساس كافة أشكال التعاون في الطبيعة. الصداقة هي العاطفة التي يمكنها إنهاء الحروب والفقر، وتكسر جدران العزلة، وتساهم في تصحيح معظم الضغوط العصبية لدى الفرد. لكن عبر التوجيه الخاطئ فإن الرغبة الطبيعية للصداقة تعرضت للقمع والحجب. لقد تعرض الفرد للاستغلال أكثر من مرّة وبالتالي لن يمنح صداقته بسهولة دون بعض التحفظ. لكن رغم ذلك نرى أن في داخله يتوق إلى الصداقة لكنه يمتنع عن التساهل في منحها دون تحفظ.

كل فرد منا يرغب اختبار الصداقة بكل مثاليتها، وهذه عاطفة أساسية موجودة لدى كل إنسان. فهذه الضغوط الداخلية تنبعث خارجاً مع طاقة الحياة ذاتها. الطاقة التي تعزّز بنية الإنسان هي ليست فقط طاقة جسدية بل طاقة أخلاقية أيضاً. هذه الطاقة لا تبتهج فقط بالدقّة بل تبتهج أيضاً بالجمال. وقد تم اكتشاف حقيقة أن الدقة والجمال يمثلان الأمر ذاته يمكن رؤية هذه الحقيقة في موضوع الهندسة المقدسة حيث العامل "فاي" والنسبة الذهبية. تبيّن أن كل علاقة طبيعية وبناءة هي علاقة جميلة. بينما العلاقة غير الطبيعية والمنحرفة هي غير جميلة. لكن مع هذا كله فإن الفرد لا يفهم كيف يعالج هذه الأمور لصالحه وبطريقة سليمة. هو لا يعرف كيف يجتهد نحو تكشّف الفضائل التي بداخله. هذا يؤدي بنا إلى الأنظمة التدريبية المختلفة التي أوجدها الحكماء في الأزمنة

الغابرة، وذلك بمجهود يسعى إلى مساعدة الفرد على إعادة اكتشاف نفسه. أو إعادة المصادقة على مكانته الحقيقية في الخطة الكونية للخير المطلق.

معظم الأنظمة التدريبية التي تم قبولها في القرون السابقة، أو حتى في العصور القديمة، كانت أنظمة تتوقع من الفرد أن يمارس سلوكيات ضابطة لنفسه. كان يُفرض عليه أن يُسكت أو يقمع سلطة الظروف الخارجية المحيطة به والتي تؤثر على حياته الداخلية. كان عليه كسر حواجز وأغلال العبودية.

فالعبودية هي حالة اصطناعية وليست طبيعية. حيث وفقاً للخطة الكونية المطلقة، فإن كافة الكائنات الحية لها حقوق متساوية. كل فرد له حقوق متساوية مع باقي أبناء جنسه. لطالما كانت العبودية نتيجة ترجمة خاطئة للحرية الشخصية. في الوقت الذي يرضى فيه الفرد بأن يكون عبداً لميوله الدنيوية السلبية يكون قد وقع في فخ العبودية. لذلك سعى كل من فلاسفة الإغريق والهندوس والصينيون والمصريون وحتى المسيحون الأوائل إلى معالجة تلك المسألة المتعلقة بإحراز الفرد للحرية. وجميع أولئك الفلاسفة القدماء اتفقوا على فكرة أن الحرية تعتمد على الفرد الذي يحرّر الوعي لديه من وهم الإغراءات المادية. يستطيع الفرد أن يقوم بكامل واجباته، إن كان في المواطنة أو العائلة، دون أن يكون موهوماً بالقيم الكاذبة التي برزت في البيئة البشرية الدنيوية.

اعتقد القدماء بأن الشهوات الغريزية والطموحات الدنيوية وجب ضبطها وأحياناً قمعها بالكامل. على الفرد أن يعزل نفسه تدريجياً عن بيئته الاجتماعية العامة ويسعى إلى الكشف عن مصيره الشخصي. هذا لا يعني أننا نشجّع على الفردانية متجهّمة صارمة. هذا لا يعني أن الفرد لا يكون ميالاً لعمل الخير، بل المسألة تكمن في اكتشاف نفسه بصفته عنصر معتمد للخير المطلق الذي يتجلى في كل شيء حيّ. عليه أن يدرك بأنه يوجد مهمات كثيرة وجب إنجازها بخصوص تحرير الوعي عبر الشخصية. كل فرد له مكانته الخاصة في المجهود العام نحو النمو. فهو مشترك في عملية التكشّف التي تشمل باقي الكائنات البشرية. هذا لأننا نقبل بأن خطة الطبيعة هي صائبة وصحيحة وأن الغاية الإلهية تمثل شيئاً حقيقياً. ولأنه ما من طريقة ممكنة لتغيير المتطلبات

الأساسية للعيش، يمكننا تغيير ترجمتنا الخاطئة لمتطلبات العيش الأساسية مع مرور الأيام. لكن الحقيقة تبقى واضحة جلية: نحن هنا لكي ننمو ونخدم، وأنه لأمر مهم وحتمي أن تتجلى هذه الحقيقة تدريجياً في انتباهنا.

إذاً، عبر الانضباط يمكننا الابتعاد تدريجياً عن مجموعة كاملة من الإغراءات. نبدأ بإدراك العلاقة الحقيقية بين الحياة بداخلنا والتي هي أبدية، والحياة الخارجية من حولنا والتي هي مؤقتة وغير دائمة. ومن ثم علينا إعادة تأمين أنفسنا بصفتنا مواطنون في الأبدية. علينا إدراك السلسلة غير المنقطعة للظروف التي أوصلتنا إلى حيث نحن الآن، وكيف ستستمر هذه السلسلة في المستقبل، حتى توصلنا إلى حيث وجب أن نكون. وهذه النهاية الأخيرة لا يمكن تجنبها بأي حال من الأحوال. وبالتالي بدلاً من محاولة تجنب المسيرة المؤدية إليها، فإنه أفضل بكثير مجاراتها والسير معها. يمكننا فعل ذلك عبر الاعتماد على الملكات الأساسية التي نحوزها بداخلنا، ثم نبدأ بمنح أهمية أكبر لعملية تكشّف كوامننا الداخلية. عندما نحاول فعل ذلك سوف نواجه مشكلة أخرى، وهي: أين سنتوجه بحثاً عن تعليمات مناسبة ومجدية لتحقيق نتيجة ذات قيمة؟.. كيف سوف نتأكّد من أن أي خطوة نتخذها ستكون متوافقة مع قانون الطبيعة؟ البعض يشعر بأن قانون الطبيعة سوف يُنجز عبر ثقافة صناعية تماماً، إذ يقولون بأنه عندما نصل إلى ذلك الوقت الذي يُدار فيه العالم بواسطة الروبوتات سوف يكون للإنسان حرية كافية لفعل كل ما يشاء. لكن في الحقيقة، فإن العالم الذي يديره الروبوتات لن يوصل الإنسان إلى أي مكان بخصوص سعيه في تكشّف كوامنه الداخلية.

إنه خطأ كبير أن نخترع أشياء لتفكّر بالنيابة عنا.. أو نبتكر طرق ووسائل مختلفة لتجنب الدروس التي وجب خوضها في الحياة. إذ سيكون هناك الكثير مما يمكن تعلمه من قبل الفرد الذي يصنع أحذيته بنفسه بالمقارنة مع الذي يشتري أحذيته جاهزة. كل شيء نفعله يزيد من مواهبنا وحرفتنا. فهي تحرر وتزيد من عملية التعبير عن كوامن الذات. وبالتالي عندما نتحول إلى مجتمع استهلاكي، بحيث كل شيء جاهز ومتوفر مقابل دفع المال، نكون قد فقدنا المبادرة تماماً.. أي نفقد مثلاً القدرة على مواجهة المشاكل والصعوبات.. كما حالتنا الآن حيث نعيش في عالم من الأجهزة والآلات

المختلفة والتي نعجز عن صيانتها أو إصلاحها دون حضور مختصّين. لقد فقدنا الحرفة التي تمكننا من إنجاز الأمور بأنفسنا، بحيث كنا قد حولنا ما نحوزه من ممتلكات إلى وسائل مهمة في مساعدتنا على النمو. أما اليوم فهناك الملايين من الوسائل المهمة التي يمكن امتلاكها والتي تدفعنا عنوة إلى الإفلاس المالي. هذا لأننا لا نستخدم المبادرة الفردية.

من أجل تكوين فكرة أوضح بخصوص هذا الموضوع، إنه من الأفضل بالنسبة لكل فرد أن يحاول إجراء عملية فصل في حياته، أي القيام بفصل وجوده الخارجي عن وجوده الداخلي، ومن ثم يدرك بأن وجوده الداخلي هو الأكثر أهمية.. هو يمثل الانتصار النهائي للحياة على الوهم. إذا أدرك بشكل صادق وأكيد وبكل ثقة بأنه عليه النمو والتطوّر ككائن بشري، وأن الأمر الجوهري الوحيد هو ذلك الشيء الذي سيصبح جزءاً من الوعي المتكشّف، بينما ذلك الشيء الذي يستغلّ الوعي للمنفعة هو غير جوهري. لهذا السبب كان الحكماء القدامى ينصحون بإجراء نوع من إعادة صياغة لنوايانا.. وكذلك لمعتقداتنا.. ونمط تفكيرنا. ما هو أفضل ما يمكن معرفته عندما نكون في حالة

سكون ذهني بعيد عن عمليات التكييف والبرمجة وغيرها من تأثيرات أولئك الذين يحيطون بنا؟.. ما هو اعتقادنا الخاص بخصوص الأشياء؟.. ما هو شعورنا حيالها؟.. هل نريد فعلاً أن نعيش بشكل أفضل مما نحن عليه الآن؟.. إذا كنا نريد ذلك فعلاً فهذا يعني أن مرحلة التحوّل صارت قريبة جداً، حيث الماضي أوصلنا إلى موقع يمكننا فيه اتخاذ قرار إيجابي. لكن إذا كنا لا نأبه بالموضوع بكامله بحيث ليس لدينا أي محفزات بهذا الاتجاه، فعلينا إذاً الاستمرار في الخضوع للتأثيرات الخارجية والمزيد من الصعوبات. والطبيعة سوف تمنحنا هذه التأثيرات الخارجية طبعاً، وإذا لم نعرف كيف نعتني بمجريات حياتنا فسوف نخسرها بكل تأكيد، لكن الحياة بداخلنا سوف تتعلم في النهاية كيف تعيش لأنها لم تتوقف يوماً عن اكتساب الخبرة وزيادة منسوب الحكمة، وربما بعد الكثير من التجارب الحياتية المختلفة سوف يصبح الفرد جاهزاً لاتخاذ قرار الانعتاق، وعندما يحصل هذا، فإن كامل قطبية حياتنا ستنعكس نحو الإيجابي.

بالطريقة ذاتها، معظم الناس يحوزون في داخلهم على تعبيرات خلاقة. يوجد الكثير من الناس الذين أرادوا التعبير عن ذاتهم الحقيقية، لكنهم يمتنعوا عن ذلك ربما بسبب فقدانهم للشجاعة أو لأنهم يفتقدون لوقت إضافي أو حتى أنهم قد يعتبرون هذا المجال غير مربح مادياً. لكن مهما تأخر الموعد فلا بد أن تتجلى هذه الموهبة الخلاقة في يوم من الأيام. قد تتجلى لدى امرأة عجوز في التسعين من العمر.. المهم أنها تتجلى لا محال. هذه الموهبة تتجلى فقط عندما يتغلب الدافع الخلاق على أحد النوازع الدنيوية كالنزعة للربح المادي مثلاً. إذا كان الفرد يريد أن يعبر عن موهبته الفعلية، عليه أن يفتح الباب بينه كشخص فانٍ وبين مصدره الباطني ككيان خالد. بالتالي فإن مسألة إخراج أحد التجليات الخلاقة والبناءة هي وسيلة مجدية للتعبير عن حالة بلوغ حقيقية في حياة الفرد. الفتاة التي أدركت بأنها ترغب في أن تصبح ممرضة تكون قد أصبحت بذلك خادمة لشيء ما نبيل وجليل. لكن أحياناً يكون الدافع الوحيد لأن تصبح الفتاة ممرضة هو دافع الرواتب المالية المرتفعة، وهذا طبعاً لا يمثل الحل السليم للمسألة. إذا كانت الغاية الاقتصادية هي الغالبة في اختيار الفرد لعمله فسوف لن يكون خلاقاً في مجال عمله. لكن إذا كانت المسألة الاقتصادية ثانوية بينما الرغبة في الخدمة هي الدافع الرئيسي والصادق، فهذا سوف يعمل بكل تأكيد على إطلاق القوة الخلاقة من داخل الفرد.

هذه الحالة السابقة تنطبق على كافة مجالات العمل. هناك الكثير من مجالات العمل التي يمكن فعل الكثير من الخير من خلالها. لكن للأسف الشديد، معظم تلك المجالات أصيبت بالفساد والانحراف نتيجة طغيان العامل الاقتصادي والرغبة في الربح المادي. الفرد الذي قرر أن يكون طبيباً لمساعدة المرضى يطلق بذلك طاقة خلاقة من داخله. أما الفرد الذي يصبح طبيباً لكي يصبح ثرياً فهو لا يطلق أي طاقة خلاقة من داخله، لأنه واقع في عبودية البيئة الدنيوية المؤقتة التي يعيش وسطها. وفي الحقيقة فإن هذه البيئة الدنيوية هي متجلية بطريقة تجعلها تبدو عجيبة وساحرة لدرجة أن الكثير من الكائنات البشرية مخدوعة بها، أو حتى مسحورة، طوال هذه الفترة الزمنية. الإنسان الذي راكم ثروة كبيرة جمعها من مهنته أو اختصاصه لا بد في النهاية أن يصل، كما الجميع غيره، إلى نقطة تفرض عليه التخلي عنها كلها.. هو لا يستطيع أخذها معه عند موته، لأنه ليس لها أي قيمة دائمة، وفي حالات كثيرة نراه ينهار من مجرّد التفكير بأنه سيتركها لأولاده. فماذا عليه أن يفعل؟ يقرر مثلاً التبرع بها لمؤسسة معينة، فقط لأنه يعجز عن أخذها معه ولا يعرف ماذا يفعل بها!!.

والإنسان الذي يكرس كامل حياته ليصل في النهاية إلى هذه الأزمة الحتمية في آخر أيامه لا بد من أنه تجاهل أمر مهم جداً. لقد تجاهل حقيقة أن كافة أشكال الوجود المادي لها مكانتها الخاصة. العامل يستحق أجاره.. لكنه ليس موجود هنا لكي يراكم ثروته على حساب جاره أو المحيطين به. بل هو هنا لكي يخدم.

الخدمة تمثل إحدى أعظم الإجابات والحلول لهذه المسألة. الخدمة تعتبر إحدى مكونات تلك النفحة الإلهية التي تتجلى في أرواحنا وتجعلنا حقيقيين. الخدمة إذاً هي الشعار الذي وجب الأخذ به. قد يظن الفرد بأنه إذا كرّس يوماً واحداً في حياته للخدمة المجانية في أحد المشافي أو مخيم لاجئين أو غيرها من مجالات إنسانية يكون بذلك قد حقق شعار الخدمة، لكن هذا غير صحيح إطلاقاً. نزعة الخدمة تمثل حقيقة روحية في داخل الإنسان، وهي تخرج منه بطرق غير عادية أو متوقعة. هناك الكثير من الحالات التي ضحى فيها أحدهم بحياته لإنقاذ شخص آخر غريب عنه. لم يكن هناك أي سبب لأن يفعل ذلك، لكنه فعلها. في إحدى الحالات النادرة في حيات لإنسان، يتم تحفيز كيانه

الداخلي ليتجلى لإنقاذ أحدهم من الخطر المحتم.. وبهذا استطاع أن يقدم هذه التضحية المهمة. هذه التضحية التي ربما كانت أفضل شيء فعله بحياته. لكن من أجل الوصول إلى هذا المستوى النبيل داخل أنفسنا علينا أن نجتهد بكل ما عندنا من إمكانيات.

هناك مظهر آخر لهذه المسألة وهو مجهود الفرد نحو إزالة عدم اليقين في قلبه وعقله. معظم الأشخاص يؤمنون بوجود الإله الأعلى بشكل يقين ودون أي شكوك، هذا إذا لم يخضعوا لتأثيرات وضغوط خارجية. حتى أولئك الذين ينكرون وجوده بوعي وتفكير بسبب تأثير بيئتهم الاجتماعية (العلمانية المادية) نجدهم في قلبهم وروحهم يؤمنون بشيء ما، يؤمنون بوجود عناية إلهية أو تدبير إلهي.. يؤمنون بوجود إله عند مصدر الحياة.. ولدى معظم من يؤمنون بهذه الأشياء إيمان آخر وهو أن هذا الإله الأعلى يعمل عبر الإنسانية على المستوى الإنساني. وأن قوة هذا الإله متمركزة في قلب كل مخلوق يملك التركيبة الجسدية التي تساعد على تجلي تلك القوة فتساعدها على القيام بوظيفتها. بهذه الطريقة نجد أن كل مخلوق في العالم المادي يخضع لسيطرة هذا الإله الأعلى. بالتالي فهو قوة الحياة بداخلنا. من دونها لا نستطيع التنفس. ومن دون استخدام هذه القوة لا نستطيع العيش بشكل سليم.

في هذا الموضوع بالذات تكمن المسألة المتعلقة بتحقيق ما تريده منا الحياة، بدلاً من البكاء حول ما نريده نحن من الحياة. إن رغباتنا غير محدودة.. إن ما نريده من الحياة ليس له نهاية. بينما ما تريده الحياة هو قليل جداً. لكن أهم ما ترغبه الحياة هو التعبير عن غايتها من خلالنا، وهذه الغاية تمثل خطة شمولية على مستوى الكون وبالتالي فإن الإنسان العادي لا يستطيع استيعابها. لذلك علينا أن نعمل باتجاه الاعتراف بوجود خلفية هادفة وذات معنى لأنفسنا. نحن هنا لنثبت بأننا ننمو ونتطور روحياً. نحن لسنا هنا لاقتراف كافة الأخطاء التي اقترفناها طوال فترة مئة ألف سنة. نحن لسنا هنا لأننا متنا في ساحة المعركة في طروادة، نحن لسنا هنا لأننا قاتلنا ومتنا في إحدى معارك الماهاباراتا الهندية.. نحن هنا لأنه افتُرض بأننا تعلمنا شيئاً من الحيوات السابقة، وبالتالي أصبحنا قادرين على العيش فوق المستوى الذي عشنا فيه خلال الحيوات السابقة. لكن يبدو من مظهرنا العام بأن الإنسانية لم تتعلم أي من الدروس السابقة. لا

يبدو أننا نعلم حقيقة أنه ليس مقدراً بشكل حتمي أن نعيد تكرار الأخطاء ذاتها التي نقع فيها دائماً. المشكلة فينا هي أننا نستمر في تكرار الأخطاء ذاتها دون أن نتعلم تجنبها في المرة القادمة. والسؤال هو لماذا؟.. الجواب يكمن بداخلنا.

هناك الكثير من الناس الذين هم متديّنين بطبيعتهم وملتزمون دينياً في حياتهم العادية. هم يؤمنون بالدين ويؤمنون بالله [تعالى]، كما أنهم يعبدون أنبيائهم أو قديسيهم أو أوليائهم بصدق وإخلاص، لكن مجرّد أن تعرضوا للإغراءات الدنيوية يقعون في شباكها بسهولة! هذه الحالة هي سائدة بكثرة بين الملتزمين دينياً لدرجة أن بعضهم راح يصرّح مطالباً بأنه على الله [تعالى] أن يتجاهل بعض هذه الحماقات التي يقع فيها المؤمنون. لو كان الله [تعالى] جالساً على عرشه فوق الغيوم (كما يتصورونه) لكان غفل عن بعض هذه الخطايا التي وقع بها المؤمنون، لكن الحقيقة المرّة (بالنسبة لهم) هي أن الله [تعالى] يقبع في قلب كل فرد منا. هو يمثل مبدأ مقدس يقبع في داخلنا وبالتالي هو يعلم بكل شيء يتعلق بنا.. في الوقت الذي لا نعرف فيه شيئاً عنه. بالتالي عند اقتراف الخطيئة ليس هناك أي وسيلة لتجنب العواقب. يكون العطل قد أصاب المنظومة النفسية.. العطل قد أصاب مسيرة تطوّر الشخصية الداخلية.. الانحرافات التي نقترفها هي عبارة عن جروح وندوب في جسدنا الروحي. وبالتالي ليس هناك أي طريقة ممكنة لتجنب هذه النتيجة الحتمية.

الأمر إذاً يتوقف على الشخص ذاته إذ ليس عليه أن يكتفي بالإيمان بمسلّمات دينه ويكتفي بفكرة أنه عليه فعل أفضل مما هو عليه الآن، لكن المسألة الكبرى هي أنه من الواجب عليه فعل أفضل مما هو عليه وإلا سوف يبقى كما هو عليه. إذا بقي كما هو عليه الآن فسوف يبقى في حالة قلق دائمة بخصوص كل أزمة سياسية في العلاقات الدولية، أو يقلق بخصوص ارتفاع الضرائب وكذلك الكساد وارتفاع الأسعار وغيرها من مشاكل مختلفة. إذا بقي كما هو فسوف يصاب بالقلق بخصوص الأبحاث النووية ومستقبلها المريب والخطير، وكذلك النقص في مصادر الطاقة،.. سوف يعيش في حالة طارئة دائمة إلى أن ينتهي به الحال مرهقاً من كثرة التفكير بمسائل دنيوية لا ترقى إلى أن تكون مسائل مهمة أصلاً لو عرف كيف ينظر إلى الأمور بطريقة صحيحة. إذا

استمرّ في التفكير كما يفعل دائماً فسوف تستمر حالة الأرق والإرهاق دائماً وأبداً. وإذا نظرت حولك قليلاً سوف تجد أن بعض من الناس اليوم غير مصابين بهذا القلق المرهق للجسد. هؤلاء الناس مقسومون إلى نوعين. النوع الأوّل هو الشخص الطفولي الذي لم يتقبل بعد حقيقة هذا الوهم الدنيوي الذي نعيشه. النوع الثاني هو الشخص الحكيم جداً الذي ارتقى فوق هذا الخداع الوهمي للعالم الدنيوي. هذين النوعين من الناس أحرزا التحرر من الوهم، الأوّل عبر البراءة والثاني عبر الحكمة. الطفل الصغير لا يعرف بما يكفي لكي يقلق. الرجل البالغ والحكيم قد أدرك آلية عمل المبدأ الكوني وقبل به ويحاول أن يعيش بانسجام معه، لأنه واثق تماماً بأن كل ما هو حقيقي لا يمكن تدميره أو حتى التأثير عليه. أما ما هو غير حقيقي فيستحيل أن يبقى قائماً ومحفوظاً.

في البيئة الطبيعية من حولنا نلاحظ بكل وضوح كيف تعمل سوء المعاملة الإنسانية على تدمير الموارد الطبيعية بشكل تدريجي. نحن نعلم جيداً بأنه طالما استمر سوء المعاملة فسوف يزيد الشح والنقص وحتى الانقراض في الموارد. لكن هذا في الحقيقة يمثل جزءاً من عملية النمو التي أتحدث عنها. يبدو أنه فُرض علينا أن نكتشف هذه المسائل ونتقبلها ونتأكد من واقعيتها ونعيش وفقاً لها.. وغيرها من أمور يبدو أننا وجدنا في هذا العصر لإنجازه. وكلما أنجزنا أكثر في هذا التوجّه كلما استطعنا ضبط أنفسنا وفق رؤية أكبر وأوسع للحياة. بعد فترة وجيزة نسبياً سوف نغادر هذا العالم الفوضوي وندخل في حالة راحة مؤقتة من هذه المسائل المرهقة التي أثارت قلقنا. لكن إذا لم نتوصل إلى حلّ هذه المسائل وغادرنا هذا العالم مصابين بالقلق منها، فسوف نولد مرة أخرى في هذا العالم ويرافقنا القلق ذاته الذي يكون مدفوناً في اللاوعي. ربما قد نعيش في عالم طوباوي في هذا التجسيد الثاني لكننا سوف نعاني من حالة بؤس كما نعيشه الآن، لكن دون أن نعرف السبب. الفرد الذي يكون بائساً اليوم سوف يبقى بائساً إلى الأبد حتى يتمكن من حلّ غموض هذا البؤس بداخله، وإلى أن يصبح قادراً على تقبل المخطط الذي تسير وفقه الأمور ومن ثم يتعاون معه.

إذا استطاع خلال هذه الحياة تحقيق شيئاً له أهمية أو فيه خير، قد يحصد نتائجه في هذه الحياة. والناس الذين لديهم ولو القليل من الحافز قد يجدون أهداف جديدة وبالتالي

أسباب جديدة لوجودهم. سوف يجدون بأن الحياة هي أكثر من كونها محاولة مستمرة لتحمّل صعوباتها عبر السنوات مع أمل بأن هذه الحياة سوف تنتهي حتماً في يوم من الأيام. هذه ليست حياة. هذه لا تعد غاية حياة. الفرد الذي يسعى إلى تضييع الوقت لكي يمر بسرعة، هو لا يعلم حقيقة أنه يعيش في كون عظيم بحيث لديه ما يكفي من الوقت ليجعل هذا الفرد يكرر خطأه بقدر ما رغب بذلك، لكنه في النهاية لن يكسب المراهنة. لأنه في الحقيقة على المدى البعيد، الطبيعة فقط تنتصر، فتحقق غاياتها بالكامل. لأن الطبيعة قد غرست في كل خلية سرّ خلاصها. لقد خزّنت في داخل كل إنسان جميع تلك القوى الضرورية التي تمكنه من تحقيق التحرر من أوهام وأضاليل الحياة غير العقلانية.

تكمن المعضلة في أنّ الإنسان يبقى محاطاً بمجموعة من الضوابط والمشاكل الاجتماعية وإذا كان عاجزاً عن التعلم بشكل مباشر من جوهره الداخلي، فقد يتمكن من التعلم نتيجة الاختبار عبر سلوكه الخاص في المجتمع. هذه إحدى الطرق التي نفهم الطبيعة من خلالها. **نحن نعرف ماذا تريده الطبيعة من خلال اكتشاف ما لا تريده.** هذا بالإضافة إلى التعلم عبر الخبرة. لكن الخبرة موجودة معنا دائماً في العالم المادي. نحن محاطون بالمشاكل تلو المشاكل، وهناك الكثير من الحلول للكثير من هذه المشاكل.

إذا ذهبت إلى طبيب نفسي مؤهل أو محلل نفسي وكنت محملاً بكومة من الهموم والمشاكل المزعجة ربما سوف يعلق سريعاً على حالتك قائلاً بأنك تعاني من حالة عقلية خاطئة، ولاحقاً تبدأ هذه الحالة العقلية بالتدخل بوظائف الجسم المختلفة، وهذا يجعل الطبيب يستنتج بأن حالتك العقلية تؤثر على أداء جسمك فيعود ويرسلك إلى طبيب نفسي للعلاج. مع هذا الوضع المعقد وما يتكبده الفرد من مصاريف، لأنه كما يعلم الجميع فإن الطبيب يحتاج إلى المال لكي يتدفق حنانه وانسانيته عليك. لم يعد هناك شيء مجانا في هذا العالم اليوم. لكن بدلاً من كل هذا العناء، كان بإمكان الفرد أن يتعلم بسهولة حقيقة أن حالته العقلية والنفسية هي التي سببت بمرضه الجسدي، وإذا لم يتصرف بسرعة حيال الأمر فسوف يشتدّ وضعه خطورة، وحتى أنه قد يموت. ويكون قد

مات نتيجة حالته العقلية أو النفسية التي سمح لها بأن تكون مزمنة. كان وجب عليه أن يتعلم شيئاً من هذا كله. القليل من الناس يتعلمون، بينما الكثيرون لا يفعلوا.

هناك آخرون عندما يصابون بهذا النوع من الحالة المرضية يشعرون بأنه عليهم التوجه مباشرة إلى الطبيب لمعالجة المسألة وأخذ أنواع مختلفة من الأدوية المخدرة والمهدئة وما شابه، كل هذا من أجل إخماد هذه الحالة التي ظهرت أصلاً نتيجة حالة عقلية يمكن للفرد معالجتها بسهولة من خلال عملية ضبط يجريها داخل نفسه. الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها التخلص من المرض هي إجراء تغيير داخل أنفسنا، وعلينا أن ندرك بأننا إذا متنا ولازلنا مصابين بهذه الحالة النفسية المتعبة فسوف تستمر معنا إلى الحياة الأخرى بينما الدواء الذي نتناوله سوف يبقى مكانه في هذا العالم. إذاً، في النهاية علينا العيش مع أنفسنا. فتقول لنا الطبيعة: دعونا نعيش بطريقة يمكن أن نكون فيها سعداء ومتواضعين وراضين ومتأقلمين جيداً مع وضعنا الحالي. كل هذا يعني أنه علينا أن نستلم زمام الأمور بخصوص حياتنا، أي علينا فعل شيء بحيث نتمكن من التخلص من الشعور بالإعياء والعجز وقلة الحيلة.. أو التخلّص من الشعور بعدم تمييز ما نعاني منه بالضبط.

وجب العلم أن كل فرد منا له دور وجب أن يؤديه ضمن مخطط الحياة. والجميع لديه الحق لأن ينمو ويرتقي. لذلك من أجل هذا الهدف، يمكننا أن نبني حياتنا بحيث تتمحور حول مفهوم النمو (التطوّر الروحي) بدلاً من مفهوم المنفعة. لا أحد عليه أن يبقى ساكناً دون فعل شيء. إذا لم يكن يفعل شيء فهذا ليس ترف ورخاء بل نوع من التوحّد الغريب في هذا الكون العظيم المصنوع كلياً من الحياة، فإنّ الإنسان الذي ليس له اهتمام بالحياة يكون أنساناً ميتاً ولو كان على قيد الحياة. أما الذين لديهم اهتمام كبير بالحياة فسوف يعيشون إلى الأبد ولو ماتوا. إنها مسألة تتعلق بحقيقة بسيطة، وهي أننا مخلوقات قانونية، أي نحن مصممون وفقاً لمخطط، وهذا المخطط موجود في العقل الإلهي الكليّ، وأننا منتوجات نمط له غاية، والإله الذي صممنا عيننا بأن نكون وكلاء ذلك الإله في مسيرة تكامل هذه المنظومة من الكائنات الحية. قد يكون هناك الكثير من أنظمة كائنات حية في الفضاء (كواكب أخرى) لكن منظومتنا الخاصة تسمى الإنسانية. والإنسانية

ليست مجرّد عدد يتألف من عدة مليارات من البشر، بل الإنسانية تمثل كيان واحد. الإنسانية تمثل منظومة حياة. وعلينا أن نعلم بأنّ جزء من مخطط الأشياء أن تصبح الإنسانية في النهاية بقمة كمالها. وأن كل شيء كامن في الإنسانية، بصفته قوة مفيدة كامنة ممنوحة من قبل الإله الأعلى، سوف يتوصل في النهاية إلى التكشّف وحالة الإثمار. وسوف تحقق الغاية التي خلقت من أجلها، وعندما يحصل هذا كله فسوف تكون الكائنات البشرية قد أصبحت متعاونة وتكون قد تخرّجت من هذا المستوى في مدرسة الخلق. الإنسانية الآن قد تكون في مستوى الصف الأوّل الثانوي أو لازالت في الصف الأوّل الابتدائي، لكن مهما كان مستواها فالإنسانية تتخرّج عندما تنمو فوق تلك الحالة التي تقيّدها، وسوف لن تنمو فوقها إلا بعد التغلب عليها. نحن لا نستطيع النمو فوقها عبر الانتخابات الديمقراطية أو محاولة تجنبها والتملّص منها.

ما من حكومة تستطيع الاعتناء بشعب إذا لم يستطع هذا الأخير من الاعتناء بنفسه. عليهم أن يتعلموا تدريجياً استخدام الموارد الداخلية التي منحت لهم. أما بطريقتنا الحالية في الحياة فهناك سوء فهم كبير بخصوص ما تتألف منه الحياة الجيّدة. بالنسبة للكثير من الناس فالحياة الجيدة هي حياة رخاء وترف، هي حياة البذخ والتبذر، إنها الحياة التي تفعل فيها ما ترغب إن كان ما ترغبه جيداً أم لا. بالتالي فإن كافة طموحات العرق البشري هي موجهة نحو حالة اجتماعية عالية المكانة. أي الجميع يرغبون بالغنى المادي. لكن هذا الأمر ليس بيد الفرد أن يقرره بل الكارما هي صاحبة القرار، والسؤال المهم هنا من يمتلك السلطة للتحكم بالكارما؟

ربما هذه المنزلة الاجتماعية الراقية أو الثراء المادي هو عبارة عن اختبار يمرّ به الفرد. ربما جنينا في وقت من الأوقات حالة من الأمان أكثر مما جناه الآخرين. حالة الأمان هذه قد مُنحت لنا، وبعد منحها لنا ربما أسأنا استخدامها، وبالتالي سوف نخسرها مرة أخرى.

يستحيل أن تسيء استخدام شيء ما ثم يصبح هذا الشيء ملك دائم لك، فهذا بالتالي يجعله نوع من الاختبار لك. ربما استطعنا عبر العمل الفاضل جني الحق لفوائد معينة.

بمعنى آخر: الكارما الجيّدة تدخل في معادلة التقمّص، والإنسان الذي قام بعمل خير لا بد من أن يتلقى عمل خير. لكن من مُنح سلطة معيّنة مثلاً وأساء استخدامها فسوف يتلقى الإساءة ذاتها بطريقة معكوسة. قال أحد الحكماء: من يغادر هذه الدنيا كملك عظيم سوف يعود كشحاذ وضيع. ليس هناك مهرب من قانون السببية (الكارما). لذلك ليس هناك أي أمان في الثراء المادي، ولا يوجد أي نقص في الفقر المادي. قد يكون ممكناً أن أعظم أنواع النمو يمكن أن يحققها أشخاص لا يدركون أصلاً وجود هذا النمو في هذه الحياة. سوف يكونون أشخاص لم نسمع عنهم أبداً، لكنهم يقررون بكل إخلاص والتزام تحمل مسؤوليات الحياة المعقولة والمناسبة، ومن خلال فعل ذلك يكونون قد ساهموا في تحرير قوة الروح بداخلهم.. وكما قال غاندي يوماً: ".. الانتصار الأعظم هو انتصار قوة الروح على القوة الوحشية..". عندما نكون منطوين على أنفسنا وأنانيون فنكون بذلك منتمين إلى مستوى الفعل الوحشي. لكن عندما نتحوّل بحيث نغيّر كافة الطاقات لدينا إلى قوة الروح، حينها لم نعد نعيش لأجل منفعتنا فحسب بل لمنفعة الآخرين أيضاً. وتدريجياً نبدأ بتمييز الفرص التي تسمح لنا بالخدمة، فندخل في نماذج وظروف مختلفة لها منفعة كبيرة ودائمة للأخرين. وقد نصبح شهداء لحاجات الآخرين. كل هذه الأمور تمثل جزء من التحضير للمستقبل. سوف ننمو لا محال، سوف نحقق المصير الأصلي الذي وضع من أجلنا.

مع نمونا بهذه الطريقة سوف نكتشف وجود نمط أوّلي عظيم Architype للإنسانية، إنه نجم مشعّ عظيم، نور رائع مفعم بالحياة. وما يفعله الكائن البشري، بعلم أو دون علم منه، هو الاجتهاد والسعي من أجل تقمّص هذا النمط الأوّلي العظيم. أن يجعله يتجسدّ فعلياً في هيكل الإنسانية. هذا النمط الأوّلي للإنسان المثالي الكامل هو الذي انبعث من العقل الإلهي في البداية، قبل أن يتدنس وينحرف في العالم الدنيوي الوضيع. نحن هنا لكي نحقق الكمال. ولكي يحقق الكمال على الفرد أن يكمّل طبيعته الدنيوية. إن مسألة إدراك الكمال ليس صعباً وفقاً للطبيعة. معظم الناس يعتبرون أنه في بيئة أفضل من البيئة الحالية قد ينجزون أفضل من الآن. لكن الانتصار العظيم هو انتصار النفس على الظروف الراهنة. هنا تكمن القوة الحقيقية. لذلك فإن نوعية البيئة لا تلعب دور مهم في المسألة.

في المدارس السرية التي ازدهرت في العالم القديم، كان المنتسب الجديد يخضع للاختبار حتى إلى حد الخطر الجسدي الذي قد يؤدي إلى الموت، وكان بعضهم يموتون فعلاً خلال شعائر الانتساب، وذلك بسبب خطورة تلك الشعائر التي كانت على مراحل متسلسلة. لكن اليوم تلك الشعائر لم تعد موجودة في هذا العالم، والكثير من الناس مسرورون لأنها غير موجودة، لكن الحكيم فقط يدرك جيداً بأن تلك الشعائر التي كانوا يختبرون فيها قوة تحمل المنتسب الجديد، رغم اندثارها مع الزمن إلا أنها تتجلى في الحياة اليومية للفرد. نحن نخوض شعائر الاختبار تلك في حياتنا اليومية لكن دون أن ندري ذلك. الكثير منا اليوم يفقدون حياتهم خلال سعيهم الحثيث لتحقيق الانتصار فوق النفس الدنيا. في كل مكان نجد اختبار.. في كل مكان نجد أزمات.. وفقط أولئك الذين يسعون تدريجياً إلى كمال طبيعتهم يصلون في النهاية إلى أن يصبحوا حراس أمناء على الحقائق العظمى.. أن يصبحوا مدركين بكل ثقة وإيمان بكل تلك الأمور التي لازال معظمنا يحلم بها ويتأمّل بحيازتها.

لكن مهما كانت الأحوال، تبقى مسيرة اختبارات الفرد حتمية بكل تأكيد. بالتالي في هذا الزمن الحالي نعتبر أنفسنا محظوظين جداً إذ لا نفكر كثيراً بالمسائل التي كانت تقلق القدماء، لكن في الحقيقة، أي أزمة نواجهها اليوم تعتبر بكل تأكيد جزء من شعائر انتساب كتلك التي كانت سائدة في العصور الماضية. هي اختبار، وكل فرد سوف يتفاعل مع هذا الاختبار بناء على مكوناته الداخلية وليس على مرتبته الاجتماعية أو ما يملكه من ثروات. وعلى كل فرد أن يلاحظ بحذر تفاعله مع تلك الأزمة التي واجهها. عليه أن يلاحظ مثلاً إذا كانت المسألة التي يخوضها تعمل على إظهار شيئاً من فهمه عالي المستوى، أو أنه يتصرف بفزع وخوف. إذا لم يوجد لديه موارد داخلية تمكنه من مواجهة التغيير، فعليه إذاً البحث بكد وإصرار بداخل نفسه. عليه أن يجد انتصار بصيرته الداخلية على ضغوط الحياة الخارجية. إذا قام بهذا العمل ما يكفي من الناس فسوف تُحل المشاكل الاجتماعية دون شك. مع مرور الوقت سوف يجتمع تدريجياً المزيد والمزيد من الأفراد من هذا النوع مما يؤدي إلى زوال المشاكل بشكل كامل. لكن هذا لن يحصل خلال فترة حياة واحدة أو حتى عدة حيوات، لكن في النهاية لا بد من أن التغيير في ردود فعل الناس تجاه المشاكل الحياتية المختلفة سوف تؤدي إلى تحوّل جذري في

الهياكل الاجتماعية السائدة. سوف يبرز في النهاية مجتمع جديد يتمتع بهيكل متكامل وأفراده يتبادلون الفوائد والمنافع والمصالح على أسس إنسانية سليمة. وحينها نرى المزيد والمزيد من الأفراد يعيشون على ما يمنحونه بدلاً من العيش على ما يأخذونه. إذاً، الإصلاح الكوني يبدأ من مستوى الإنسان وسوف يبقى جارياً في الإنسان حتى تنتهي العملية بالكامل.

لذلك أقول مرّة أخرى، حاول بين الحين والأخرى تصوّر أو تخيّل ماذا كنت فعلت بحياتك لو أنك عشتها كما تأملتها خلال طفولتك؟ تلك الأحلام التي راودتك في البداية.. والتي يمكن أن نعتبرها قريبة للقصص الخرافية، مع أن القصة الخرافية هي في الحقيقة نمط أوّلي له مكان راسخ في العالم التجاوزي، وبالتالي على المدى البعيد سوف نعيش جميعنا معاً بسعادة وهناء، كما نهاية كل قصة خرافية.. لكن يفصل إليها طريق طويل بالنسبة للأكثرية. لكن بالعودة إلى أمالك الخرافية كطفل صغير، حاول أن تتذكر ماذا تمنيت أن تكون قبل أن تكبر وتتلوّث بالطموح الدنيوي.. قبل أن تتأثر بأشخاص آخرين.. قبل أن تتلاشى أحلامك الجميلة أمام الواقع القبيح.. ماذا أردت أن تكون في تلك الفترة البريئة من عمرك؟.. ما نوع الإنسان الذي أردت أن تكون؟.. في فترة المراهقة، أي قبل أن تغوص في متاهات المنهج التعليمي المعقّد وعديم الجدوى (روحياً على الأقل) ماذا كنت تحلم أن تفعله في حياتك؟.. ما نوع المهنة التي كنت تختارها لو لم يدخل العامل الاقتصادي في المعادلة بحيث بدأت تبحث عن الأكثر ربحاً؟.. لولا مسألة مصاريف العيش في هذا العالم الاستهلاكي المتمحور حول المال، ماذا كنت تفضّل أن تفعل في حياتك؟.. لو كان لديك أحلام لكنها تلاشت لاحقاً مع تأثير الحياة الدنيوية، وتلك الأحلام كانت خلاقة، فما هي؟..

هناك أشخاصاً أصبحوا في خريف حياتهم لكنهم اكتشفوا بأنهم يستطيعون كتابة الشعر الجميل جداً، ويبدو أن الشعر يمثل أحد الانبعاثات التي تخرج من الداخل العميق. الكثير من الأشخاص شهدوا بعد فترة طويلة من الزمن عودة أحلامهم الأولى التي راودتهم خلال الطفولة البريئة. يكتشفون فجأة وجود شيء لطاما أرادوا فعله. بعضهم رغب في السفر والبعض رغب في التعليم والبعض رغب في عيش حياة دينية.. إلى

آخره.. بينما آخرون رغبوا في عيش حياة فاسدة ومنحرفة دون أي محاولة لضبط أنفسهم. لكن المهم أن كل فرد رغب أن يفعل شيء. لكن المجالات التي جلبت الاكتفاء والرضى للنفس هي تلك التي تتعلق بالخدمة العامة. هناك شيء بداخلنا والذي يرغب في مشاركة الآخرين. هذه الرغبة في المشاركة يمكن التعبير عنها بأكثر من طريقة. فمثلا الشاعر يرغب في مشاركة مشاعره الداخلية مع كل من يقرأ شعره. الممثل يرغب في مشاركة تفاعله وطريقته في التعبير بالأدوار التي يلعبها في المسرحية. الجميع يريدون أن يجدوا مجال للتعبير عن أنفسهم. المهم أن كل فرد يريد أن يفعل شيئاً. كل فرد يريد أن يقدم مساهمة خلاقة. ربما لن يسمع أحد بموهبتك سوى أنت، لكن إذا عبرت عنها، ليس فقط الحديث عنها، بل مارستها فعلياً، سوف تجد حصول انبعاث عظيم من داخلك. الفرد الذي يستطيع صنع مخرج خلاق لكوامنه الداخلية سوف لن يحتاج أبداً اللجوء إلى معالج نفسي ولا حتى طبيب.

كل شيء نبعثه من شخصيتنا، التي نعتبرها نبتة، إما أن تكون زهرة أو تكون ثمرة. الزهرة تمثل تعبير بسيط عن الجمال بداخلنا، بينما الثمرة تمثل المساهمة التي نقدمها من أجل البقاء الجمعي. هذه الأمور يمكنها مساعدتنا، لكن علينا التوصل إلى استنتاج حقيقة أن الإله الأعلى وحكمته المطلقة لم يكن مهتماً أبداً في خلق خليقة كسولة، ولم يفكر أبداً في خلق عالم فيه ناس يحاولون التملص من المسؤولية ويتأملون في تقليص ساعات العمل لكي يجلسوا مكانهم دون أن يفعلوا شيئاً. هذه ليست الخطة الإلهية المرسومة. وإذا قمنا بإرهاق هذه الخطة الإلهية بما يكفي فسوف يزداد العقاب ثقلاً أكثر وأكثر. لكن علينا التغيّر وعلينا التعلم قبل فوات الأوان. لذلك فإن المنفذ الأسهل هو بدء التعلم من الآن. علينا فعل الأشياء التي نحن موهوبون بها فطرياً. ادخل الآن إلى أعماقك واكتشف ما يقبع فيها من أشياء يمكن استخدامها لصنع حياة أكثر جمالاً. يمكنك أيضاً إيجاد طرق مختلفة لمشاركة الحياة، أو التغلب على الأحكام المسبقة التي تجمد تفكيرك. المشكلة بخصوص الإنسان المهووس بالأحكام المسبقة يحمل دائماً سنوات عديدة من الانزعاج والتهييج والغضب والتكدر والاقتناع بالباطل المتبوع غالباً بخيبات الأمل، وكذلك القلق من أشياء حصلت منذ زمن بعيد بحيث نسيها الجميع. نزعة

الحكم المسبق ليست نزعة جميلة. الحكم المسبق لا يساعد أبداً، بل يحبس الفرد في بيئة سلبية، كما يحرمه من كل شيء جميل بخصوص الأمور التي حكم عليها مسبقاً.

إذا كان لدينا أحكام مسبقة بخصوص بعض الناس أو بخصوص الفنون والحرف المختلفة، أو لدينا أحكام مسبقة بخصوص أعراق بشرية أو أديان أو مذاهب أو أحزاب أو غيرها، نكون بذلك قد قطعنا جزءاً من الحياة الذي علينا فهمه واستيعابه وتقبله ويمكننا استخدامه لمؤازرتنا في مسيرة تطوّر الوعي لدينا. علينا إذاً التخلص من الأحكام المسبقة والآراء المتصلبة والأحقاد.. وغيرها، علينا فعل أي شيء ممكن في هذا المضمار لكي نزيل الضغوطات الواهمة من حياتنا الموضوعية. عندما تزول تلك الضغوط الكاذبة، حينها فقط يمكن لذلك الضغط الحقيقي للحياة الإلهية بداخلنا أن يتجلى وينبعث إلى الخارج. إنه ممكن فقط للحركة أن تحصل من الداخل إلى الخارج بعد أن نتوقف عن حشو القمامة الدنيوية من الخارج إلى الداخل. طالما بقينا نبني حياتنا على الظروف الخارجية لم يكن للحياة الداخلية أي فرصة للتعبير عن نفسها. إذا بقي الأمر كما هو، حتى لو غادرنا هذا العالم لنعود إليه بجسد جديد، إذا لم نسمح لحياتنا الداخلية أن تتكلم، فسوف نبقى جاهلين لقدرنا الحقيقي. سوف نبقى تحت سيطرة تصرفات وأمزجة الأشخاص الدنيويين وغير المتنورين. لكن حتى هؤلاء الأشخاص غير المتنورين هم في طور النمو أيضاً. كل شيء ينمو في هذا العالم. إنها حالة مذهلة من التكشّف الجماعي، لكنها بدرجات ونسب ومستويات متنوعة ومختلفة. وعلى كل فرد أن يحاول العمل في أعلى مستوى متوفر في الوعي لديه. وبنفس الوقت الذي يقوم فيه بهذا العمل عليه إدراك حقيقة أنه كلما كان مستوى الوعي لديه أعلى كلما كان قادراً على فهم واستيعاب الذين يملكون وعي أقل مستوى من وعيه. الذي في الأعلى يستوعب دائماً الذي في الأسفل. لأنه لم يصل إلى الأعلى أصلاً دون المرور عبر الأسفل.

من بين الأهداف الأساسية للكيان، فإن كافة ظروف الإنجاز أدنى من مستوانا الحالي موجودة. ومن خلال التناغم مع حياتنا الداخلية سوف نطوّر تعاطف كبير مع الأقل مستوى. وبدلاً من النظر إليهم بتعالي وتكبّر سوف نعتبرهم كما اعتبار الوالد لأولاده. وكما عبر فيثاغورث بحكمة عن هذه المسألة: ".. يوجد ثلاثة علاقات فقط في الحياة..

هناك الذين هم أكثر حكمة منا، هم أباءنا وأمهاتنا بصرف النظر عن صلة القرابة.. ثم هناك الذين تكون معرفتهم وحكمتهم متساوية معنا، هم أخوتنا وأخواتنا، ونعيش معهم بمساواة كاملة.. ثم يوجد أولئك الذين معرفتهم أقل من معرفتنا، هم أولادنا بصرف النظر عن صلة القرابة.. هم أولادنا وسوف نعلمهم ونرشدهم.."

إذاً، ما من علاقات أخرى في الحياة سوى هذه العلاقات الثلاثة. والفرد الذي لديه النظرة المناسبة للحياة سوف يدرك وجود صورة واحدة جميلة.. إنه وضع رائع وحساس ومتعاطف بحيث نحن مرتبطون ببعضنا بأقوى الصلات الممكنة، ومنفصلون عن بعضنا بأضعف العوامل الممكنة. إذا كوّنا المزيد من التعاطف المتفهّم لهذه الحالة أعتقد بأننا سوف نجد مكاننا في الخطة الكونية ومعرفة كيف نتعاون مع الغاية الإلهية.

خلاصة نهائية مختصرة

عودة إلى المبدأ الشمسي

النموذج الأوّلي للمبدا الشمسي الذي تعرفنا عليه في الجزء العاشر هو نموذج ينطبق على كافة الشموس في الوجود. هو عبارة عن نواة شمسية نابضة تقبع في مركز فقاعة كروية الشكل، والتنابض يرسل نفحة شمسية من النواة الشمسية فتدفع بالمحتوى ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية.

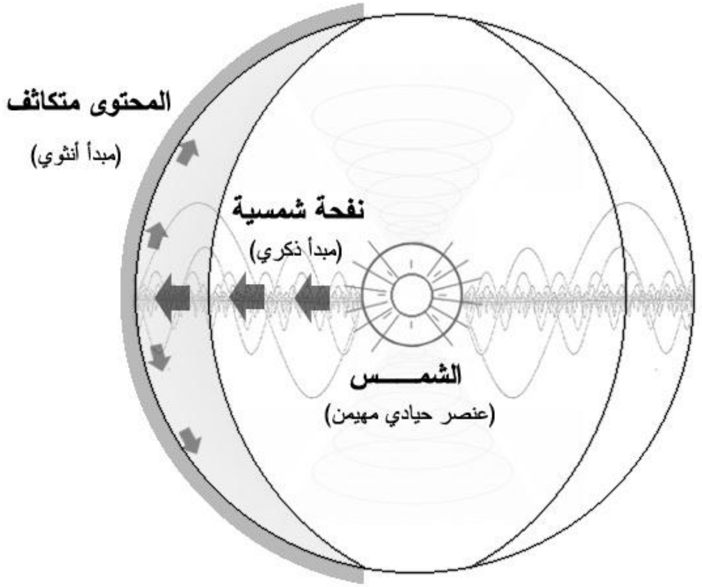

من خلال شرح هذا النموذج الشمسي في الجزء العاشر تعرفنا على الآلية الفعلية للتجسيد المادي الذي تسببه النواة الشمسية النابضة على الدوام. كل شيء متجسّد مادياً في الوجود هو بفعل هذا التنابض للنواة الشمسية القابعة في الجانب الباطني للكائن المعني. كل شيء في الوجود له شمس باطنية تمثل سبب مباشر لوجوده المادي، ابتداءً من المستوى الذري وصولاً إلى الكون بكامله. هذا التنابض للنواة الشمسية هو الذي يجعل الذرّة مثلاً تتناوب بين حالة طاقية وحالة مادية، أي حالة اختفاء وظهور متناوب على

مسرح الوجود. وسوف نرى لاحقاً أن هذا التنابض للنواة الشمسية هو السبب الرئيسي وراء دورة الحياة والموت المتكررة للإنسان والتي نسميها ظاهرة التقمّص أو التناسخ.

المبدأ الأنثوي وارتباطه برمز القمر

ذكرت في أجزاء سابقة بأن جميع التعاليم الباطنية تناولت مبدأين رئيسيين كمصدر لكل الأشياء. المبدأ الأوّل ذو طبيعة ذكورية بينما الثاني ذو طبيعة أنثوية. المبدأ الذكري يتخذ دائماً دور مصدر القوة بينما المبدأ الأنثوي يلعب دور المحتوى الحاضن لهذه القوة، فهذه الأخيرة تلعب دور المركبة التي تحمل القوة أو الغلاف الذي يكسوها أو الوسيط الذي ينقلها. المبدأ الذكري يمثل قوة مركزية (نواة شمسية) تقبع وسط فقاعة كروية الشكل يملأها محتوى سيولي، وهذا الوصف عمومي في كل الأشياء، أي ينطبق على الذرة كما على الكون، أو يمثل التركيبة الباطنية لأي مخلوق في الوجود.

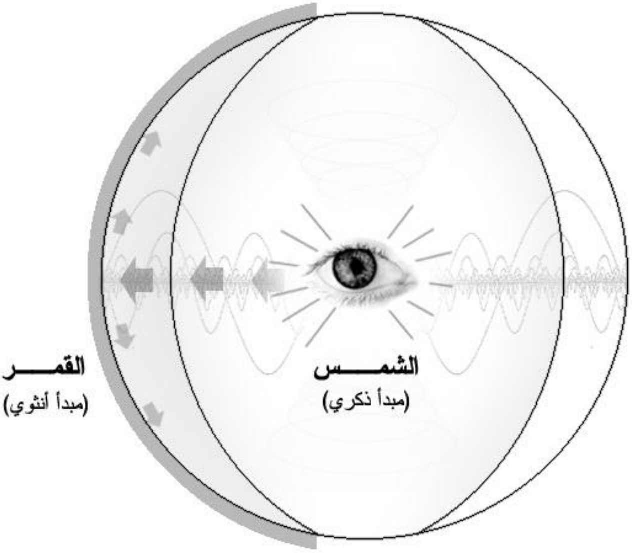

تنابض النواة الشمسية يدفع بالمحتوى ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية فاتخذ هذا المحتوى شكل الهلال. من هنا جاء ارتباط المبدأ الأنثوي برمز القمر (الهلال غالباً)

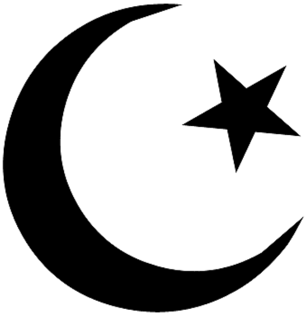
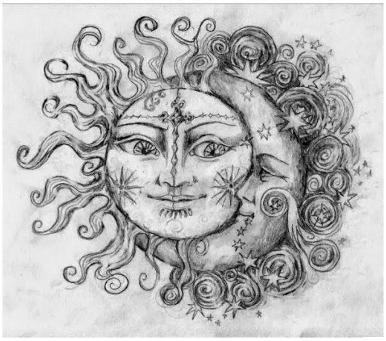

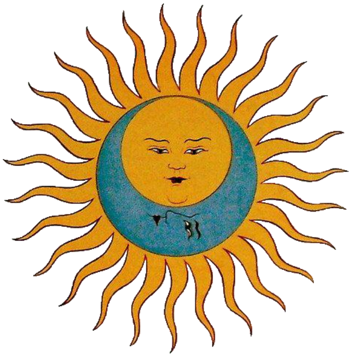

إذاً، الهلال الذي يمثل رمز المبدأ الأنثوي ليس له علاقة بالقمر الفعلي بل بشيء آخر مختلف تماماً. إنه يمثّل فكرة المحتوى المتكثف على جدار الفقاعة الشمسية.

الفقاعة الواحدة صارت اثنين

النمط الأوّلي لعملية الخلق الحاصلة في المستوى التجاوزي تفرض وجود ازدواجية للفقاعة الشمسية وذلك انصياعاً لمبدأ القطبية الذي نشأ في العالم التجاوزي بعد انقسام البيضة الكونية إلى قسمين، القسم العلوي يمثل القطب الموجب بينما القسم السفلي يمثل القطب السالب (أنظر في الجزء العاشر).

لهذا السبب عندما نتناول الفقاعة الشمسية بتدرجاتها الأربعة علينا اعتبارها مؤلفة من فقاعتين تتمحوران حول قطبين متناقضين، القطب الأوّل يمثل الشمس والقطب الثاني يمثل المادة. أي كما في الشكل التالي:

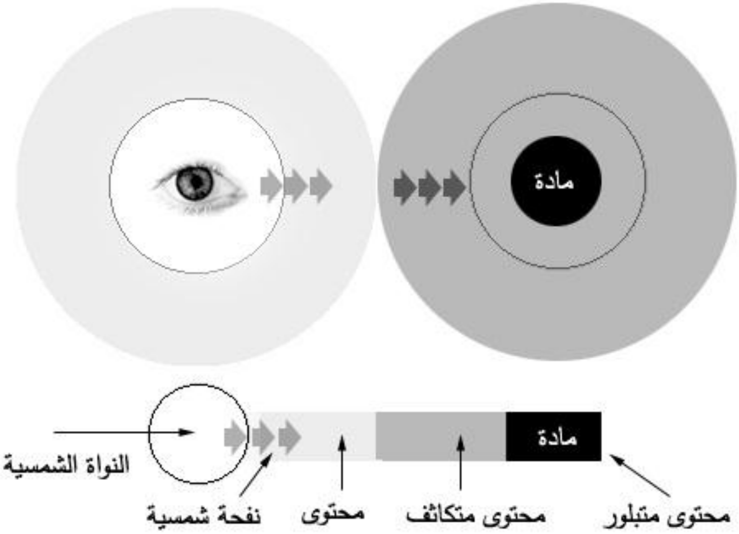

بدلاً من تسلسل خطّي واحد لتدرّج المحتوى بين الشمس والمادة نجد أن هذا التدرّج انقسم إلى قسمين. أي بدلاً من امتداد متدرّج لكيان واحد أصبح لدينا كيانين، أي فقاعتين، الأولى تتمحور حول الشمس المركزية والثانية تتمحور حول المادة.

الأمر الذي قد لا ننتبه له هو أن هذا التدرّج المقسوم إلى قسمين أصبح كل قسم فيه له خاصية تميزه عن الآخر. القسم الأوّل التابع للنواة الشمسية يبعث إشعاعه للخارج (أي يعطي أو يمنح)، بينما القسم الثاني التابع للمادة يتلقى الإشعاع الشمسي (يأخذ أو يسلب)، كما في الشكل التالي:

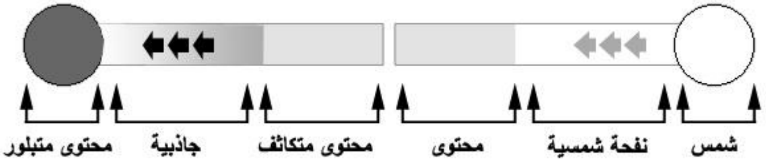

بعد انقسام هذا التدرّج إلى قسمين، علوي ودنيوي، أصبح كل قسم له خاصية تميزه عن الآخر، وهي ذاتها الخصائص التي يتميز بها العالمين العلوي والدنيوي.

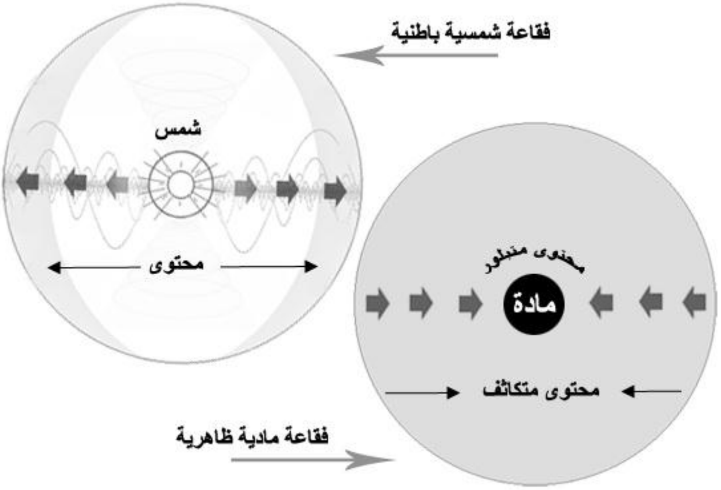

أصبح لدينا فقاعتين، علوية ودنيوية، وكل فقاعة لها خاصية تميزها عن الأخرى.
الفقاعة العليا المتمحورة حول للنواة الشمسية تبعث إشعاعها للخارج (أي تعطي أو تمنح)،
بينما الفقاعة الدنيا المتمحورة حول المادة تتلقى الإشعاع الشمسي (تأخذ أو تسلب)

الشكل المقابل يبين انفصال بين الجانب الباطني والجانب الظاهري، وهذا يساعد على فهم الفرق بين هذين الجانبين. الأمر المهم الذي سوف نكتشفه في هذا الانفصال بين الجانب الباطني والجانب الظاهري هو الفارق المنطقي بين ثنائية الذات والأنا.

دون هذه الطريقة في تشريح الفقاعة الشمسية لا يستطيع المريد فهم واستيعاب الشرح المتعلق بآلية عمل وأداء الشمس الباطنية وكيفية التجسيد المادي وغيرها من مجريات وأحداث وصفتها التعاليم المتعلقة بالجانبين الباطني والظاهري.

صورة تبين الفقاعتين الباطنية والظاهرية، ويبدو واضحاً الفروقات في محتويات كل منهما، فالعين مثلاً، وترمز للوعي، تبدو مركزية في القسم الباطني، بينما هي موجودة على السطح في القسم الظاهري وهذا يشير إلى الوعي السطحي الذي يتمتع به القسم الظاهري لدينا والذي يهتم كلياً بمجريات العالم الخارجي. كما ذكرت سابقاً، كل ما يحصل في القسم الباطني يجد معاكس له في القسم الظاهري. التكاثف في المركز يصبح تكاثف على المحيط، الإشعاع نحو المحيط يصبح إشعاع نحو المركز،.. وهكذا إلى آخره. أما القوى والطاقات التي تنشأ وتتوالد في القسم الباطني فتتجلى بصيغة ملموسة في القسم الظاهري ويكون هذا التجلّي بأكثر من طريقة. (أنظر في الجزء العاشر من هذه المجموعة للتوسع أكثر)

مصطلح ".. رب العالمُين.."

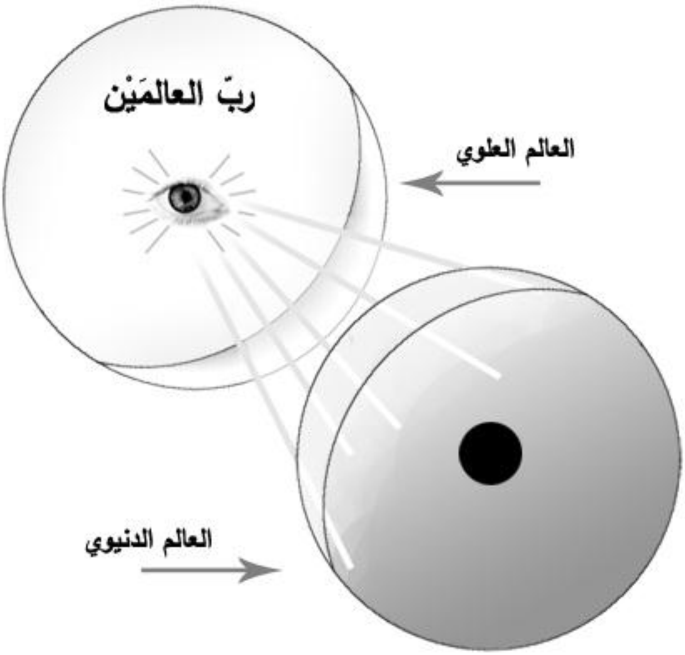

الشمس المركزية أو الذات الباطنية أو غيرها من تسميات تشير إلى الشيء ذاته، هي التي لها سلطة مطلقة على العالمين العلوي والدنيوي. العالم الدنيوي انبعث منها وإليها يعود، العالم الدنيوي لازال قائماً بحالته المتجلية بفضل نبضات النواة الشمسية المستمرة في العالم العلوي. كل إجراء تفصيلي يحصل في العالم العلوي لابد من أن يكون له صدى معيّن يتجلى في العالم الدنيوي. من هنا جاء مصطلح ومفهوم ".. رب العالمين.."

مفهوم ".. انفلاق القمر إلى قسمين.."

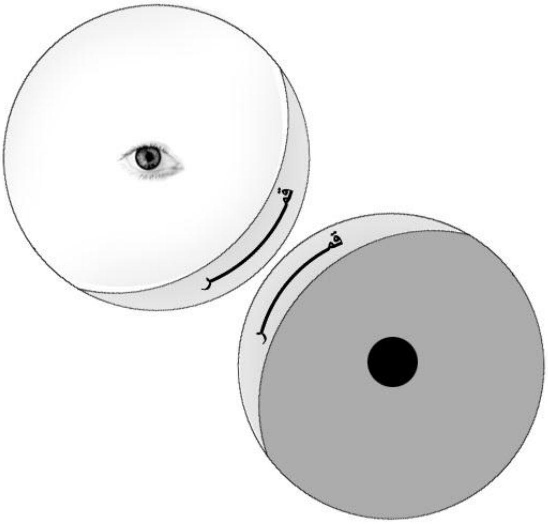

الآن أصبحنا نعلم من أين جاء مفهوم ".. انفلاق القمر إلى قسمين.."، حيث لا يمكن للقمر الفعلي أن يفعل ذلك، وبالتالي لا بد من وجود معنى باطني لهذه العبارة التي تناقلتها مناهج دينية عديدة عبر التاريخ. القمر الذي قصده الحكماء هو المحتوى الأنثوي الذي انقسم إلى قسمين: قسم التحق بالفقاعة الدنيوية، وقسم آخر بقي مكانه في الفقاعة العلوية.

مفهوم ".. البحرين والبرزخ.."

ورد في النصوص المقدسة موضوع البحرين والبرزخ الفاصل بينهما، وقد تم تفسير هذه الفكرة بطريقة دنيوية بعيدة كلياً عن الهدف المقصود. لكن من يملك مفاتيح المعاني الباطنية يعلم تماماً أن البحرين هما محتوى كل من العالمين العلوي والدنيوي، المحتوى الأوّل عذب ونقي وطاهر بينما المحتوى الثاني مالح وملوّث وشديد المرارة، وهذان وصفان دقيقان لهذين العالمين والذين يفصل بينهما برزخ وهذا الأخير لا بد من وجوده

منطقياً بحيث يمثل الحد الفاصل بين عالم متجاوز لعامل المكان وعالم محكوم بعاملي المكان والزمان.

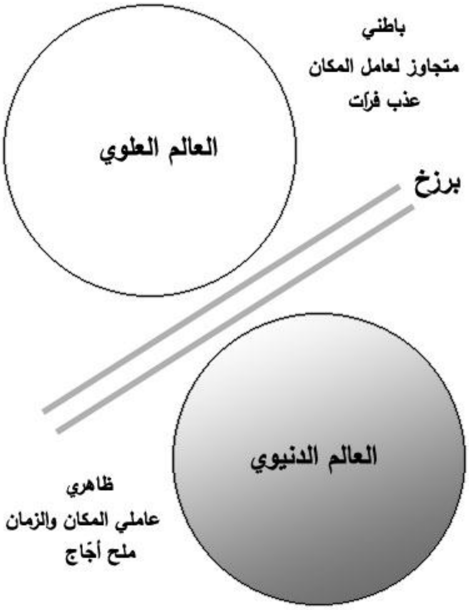

العالمين العلوي والدنيوي هما ذاتهما البحرين الواردان في النصوص والذين يفصل بينهما البرزخ

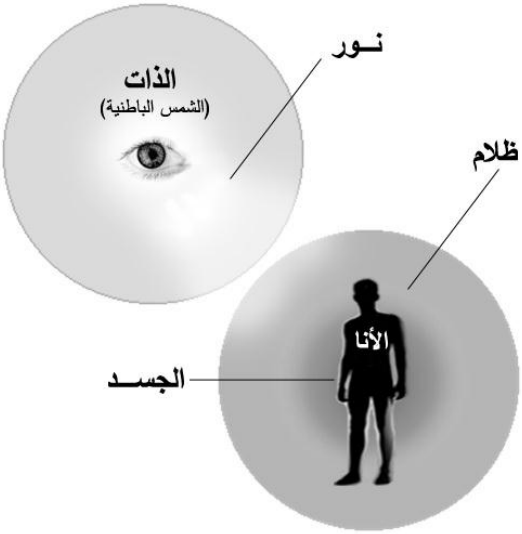

عالم النور وعالم الظلام

بالإضافة إلى جعل محتوى العالم العلوي عذب فرّات ومحتوى العالم الدنيوي ملح أجّاج، وصفوا كذلك العالم العلوي بعالم النور والعالم الدنيوي بعالم الظلام.

عالم النور وعالم النار

ذكرت سابقاً أن العالم العلوي يُسمى عالم النور، بينما العالم الدنيوي فبالإضافة إلى الإشارة إليه بعالم الظلام، يشيرون إليه أيضاً بعالم النار (كما في الشكل التالي) وهذا العالم الدنيوي يقبع وسطه الشيطان الذي يرمز للشخصية الوهمية (الأنا) المتمحورة حول الجسد المادي. ومن هذه الوضعية خرجت الصور الشهيرة التي تظهر في الرسومات واللوحات الفنية وحتى الأفلام إلى أن رسخت في أذهاننا صورة نمطية لما نعرفه بالجحيم. هذه الصورة تظهر الشيطان وهو ينتظر ضحاياه الذين يسقطون إلى عالم النار ليلتقطهم ويعذبهم.

هذه هي الصورة النموذجية لجهنم والشيطان الذي يقبع وسطها منتظراً ضحاياه الذين يسقطون من الأعلى إلى النار في الأسفل ليلتقطهم ويعذبهم

لكن في الحقيقة فإن عالم النور وعالم النار هما كما يظهران في الشكل التالي. أي العالم العلوي يمثل نور الإله [تعالى] بينما العالم الدنيوي يمثل عالم النار الذي يقبع وسطه الشيطان. لكن لهذه الصورة التعبيرية تفسير منطقي وسليم وسوف أشرحه في الفقرات التالية.

تصوير يوضّح المعنى الفعلي لعالم النور وعالم النار

السؤال هو: لماذا الجزم بارتبط العالم الدنيوي بعالم النار؟ الجواب على هذا السؤال يتطلب بعض الشرح المفصّل. أوّل ما وجب معرفته هو أن الأمر يتعلق بالعناصر الأربعة، أي [نار] [هواء] [ماء] [تراب]، وقد شرحتها جيداً ف الجزء الثامن والتاسع. بعد تقسيم الحكماء لمراحل تشكّل العالمين العلوي والدنيوي وفق منظومة العناصر الأربعة، أصبح ترتيب العناصر يبدو كما في الشكل التالي:

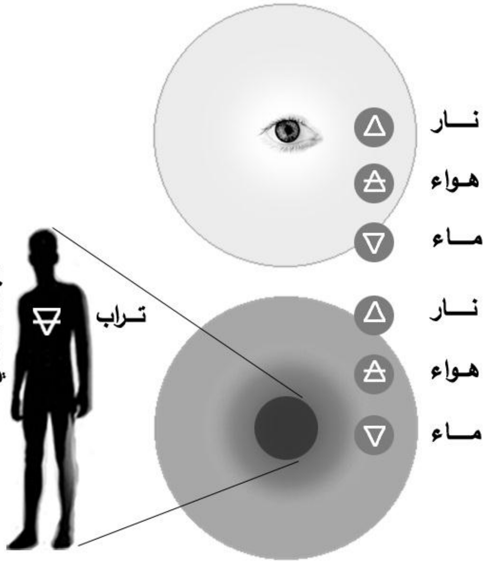

إذا بدأنا من النواة الشمسية في العالم العلوي فقد نسبوا إليها عنصر النار (حالة اندفاع، انطلاق، إرادة، تحفيز، هيمنة)، أما النفحة الشمسية فقد نسبوا إليها عنصر الهواء (حالة حركة، نشاط، ثبات في التوجّه)، أما المحتوى فقد نسبوا إليه عنصر الماء (حالة عطالة، انخفاض شدة الزخم نتيجة تشتت قوة الدفع. كبح جماح الحركة، احتواء قوة الدفع وتشتيتها بعد تلقّيها واحتضانها). أما العالم الدنيوي فهو معاكس تماماً للعالم العلوي كما ذكرت في صفحات سابقة (أنظر في الجزء العاشر للتوسع أكثر).

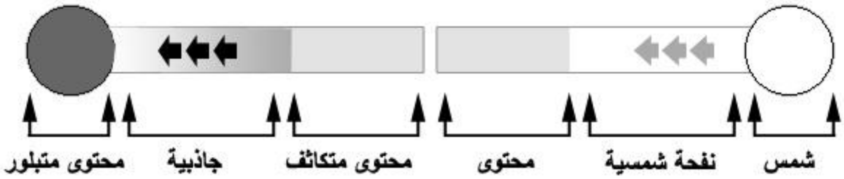

هذا يعني أن العالم الدنيوي يحيطه من الخارج عنصر النار (الرغبة)، بعكس العالم العلوي الذي يكون عنصر النار (الإرادة) قابعاً في مركزه. بالتالي، فإن عالم النار الذي تتحدث عنه بعض الأديان هو عبارة عن سوء تفسير لوصف الحكماء القدامى للعالم الدنيوي الذي تحكمه الرغبة الدنيوية، وهي تمثل النار وفق مفهوم العناصر الأربعة.

مصطلح ".. جهنّم.." ومعناه الفعلي

لكن هناك المزيد بهذا الخصوص. لطالما وصف الحكماء القدامى العالم الدنيوي بأنه مكان القمامة (زبالة) لأنه تافه وما من قيمة فعلية له لأنه وهمي وغير حقيقي. بالإضافة إلى تفاهته فهو بذيئ ونجس لأن ميوله ونوازعه وضيعة وقذرة وتتمحور كلياً حول إشباع الجسد المادي الذي هو مجرّد زبالة بالنسبة لباقي أقسام الكيان الإنساني بشموليته. فما كان على الحكماء سوى تشبيه العالم الدنيوي بمكان القمامة (زبالة) ونعتوه بكلمة "جهنم"، وهذا الاسم الأخير كان يُطلق على مزبلة كبيرة بالقرب من مدينة القدس في فلسطين، وتعتبر أكبر مكب نفايات في المنطقة في ذلك الزمان.

بالتالي عندما يقولون نار جهنم إنما يقصدون بذلك أن العالم الدنيوي محكوم بالرغبات (نار) والنوايا والميول البذيئة والقذرة (مزبلة جهنم). وبالتالي، وفقاً لما قصده الحكماء

القدامى، جميعنا كبشر ومخلوقات في هذا العالم المادي نقبع في نار جهنم أصلاً لأن عبارة "نار جهنم" منسوبة لهذا الجانب الدنيوي المادي المحكوم بالرغبات (نار). وهذا بالتالي يعني أننا بعد الموت وصعودنا إلى السماء للمحاكمة (أي طور العودة للنبضة الشمسية والاستراحة قليلاً) سوف نعود مرة أخرى إلى هذا العالم الدنيوي المادي (نار جهنم) لأننا لم نتوصل إلى حالة النقاوة التامة التي تخولنا البقاء في الجنّة (العالم العلوي).

هذا يعني أننا سوف نبقى خابصين حتى آذاننا في نار جهنم على مدى أجيال وأجيال وأجيال حتى نصحو من سباتنا العميق المحكوم بالجهل والتخلف الذي دام آلاف السنين ونبدأ بالسعي إلى التحرر من أوهام هذا العالم الدنيوي المقيت التي تقيّدنا وتمنع انطلاقنا نحو الحياة الأبدية.. موطننا الأصيل.

السقوط في نار جهنم.. بعد الموت؟.. أو بعد الولادة؟

هنا يكمن السؤال المهم والمحيّر الذي لا يمكن إيجاد له جواب حاسم وجذري إلا إذا كان الفرد حائزاً على المفاتيح الأساسية للرموز الباطنية للتعاليم الدينية. السؤال هو: طالما أن العالم الدنيوي يمثل "نار جهنم" فهذا يعني أن الإنسان منذ ولادته في العالم الدنيوي يكون قد ولد في نار جهنم، وهذا يجعله محكوم عليه بالعذاب منذ الولادة، أي قبل أن يقترف أي خطيئة، فكيف نفسر ذلك؟

الجواب على هذا السؤال هو سهل وبسيط. لكن قبل الشروع في الإجابة على السؤال السابق دعونا نتسائل، هل الحياة الدنيوية سهلة العيش؟ ألا يمكن لها أن تفوق نار جهنم من ناحية العذاب والمعاناة والذلّ والهوان والبؤس والعوز وغيرها من ضغوط أقبح بكثير من مزبلة جهنم وأقسى بكثير من عذاب النار؟.. كم من مرات نصادف أشخاص يتصفون بمستوى إجرام ولئم ووضاعة وقباحة وقذارة تفوق تلك التي يتصف بها الشيطان؟.. هذا وحده يمثل جواب كافي وشافي، لكنه في الحقيقة لا يمثل الجواب الأساسي على السؤال السابق لأن الأمر يقتضي المزيد من التوضيح.

نعود إلى تلك المعضلة التي تجعل الإنسان يسقط في نار جهنم منذ الولادة وليس بعد الموت. في الحقيقة، هذه لا تمثل معضلة أصلاً لأن الأمر يتطلب تغيير نظرتنا للأمور فحسب لكي تتوضح بشكل جلي. كل ما علينا فعله هو إعادة النظر في ظاهرة لازال معظم الناس يتجاهلون وجودها أو حتى يرفضون الاعتراف بها. هي ظاهرة التقمّص أو تكرار الولادة الجسدية في العالم الدنيوي. قبل الشروع في تفسير هذه الظاهرة وضرورة وجودها لحلّ اللغز دعونا أولاً نتعرف على حقيقة مهمة لم نفطن لها خلال التعرف على موضوع الشمس الباطنية النابضة. إذا عدنا إلى نموذج المبدأ الشمسي الذي نتناوله في هذه الخلاصة، سوف نلاحظ وجود حقيقة لم نفطن بها وهي أن النواة الشمسية نابضة على الدوام ولا تنبض مرة واحدة فقط. دعونا من خلال الصور المتسلسلة التالية التعرف على مراحل النبضة الشمسية الواحدة والتي تمثل دورة [حياة وموت] واحدة للمخلوق:

[١] النواة الشمسية في حالة استراحة.		
[٢] النواة الشمسية تنبض فترسل نفحة تضغط على المحتوى الأثيري الذي يتكاثف عند جدار الفقاعة.		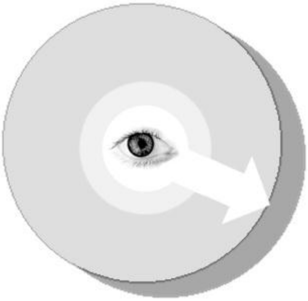
[٣] النفحة والمحتوى الأثيري يخترقان جدار الفقاعة الشمسية فينبعثان إلى الخارج، فيبدآن بتكوين الفقاعة الدنيوية.		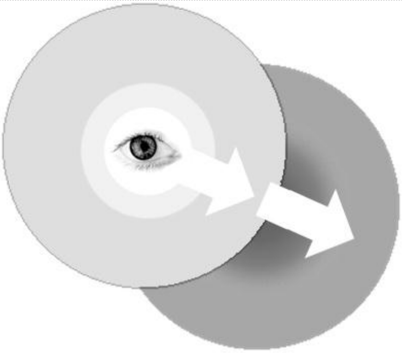
[٤] الفقاعة الدنيوية بعد اكتمالها، أصبح لدينا كيان مؤلف من جانب دنيوي وجانب علوي.		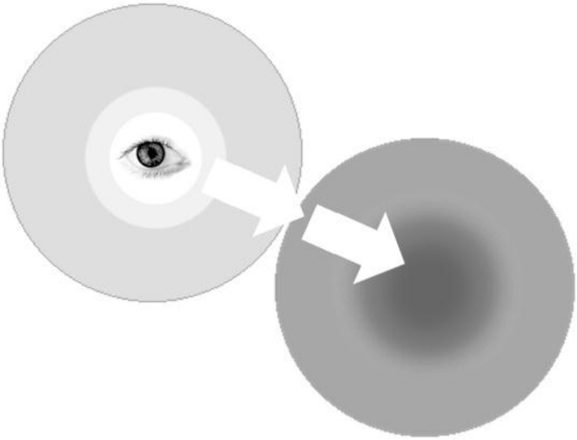

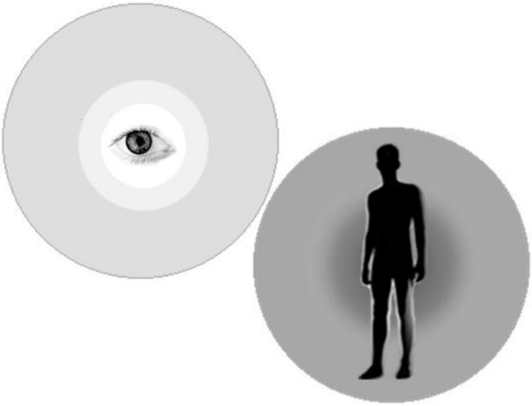		**[٥]** نحن ننشأ في جسدنا المادي الذي يكون بؤرة العالم الدنيوي والذي لا ندرك سواه وبالتالي نظن أن الجسد المادي هو الوحيد في الوجود.
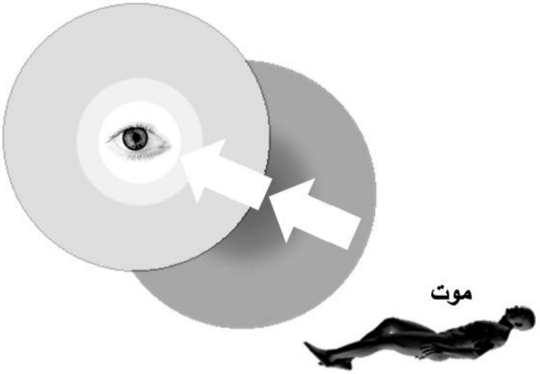		**[٦]** بعد الموت، يبقى الجسد المادي ليتلاشى في العالم المادي بينما النفس (المحتوى) والروح (النفحة) يعودان إلى العالم العلوي حيث موطنهما الأصيل.
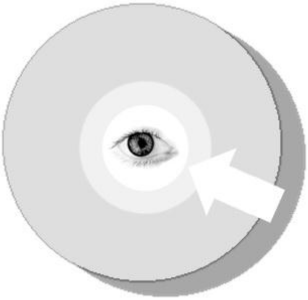		**[٧]** النفس هي المحتوى، بينما الروح هي النفحة الشمسية، وبالتالي ما نسميه الموت هو عبارة عن طور العودة للنفحة الشمسية (كما أي نبضة فيزيائية)، والتي ترافقها النفس (المحتوى) لتعود وتندمج مع محتوى الفقاعة.
		[٨] النواة الشمسية في حالة استراحة من جديد. عند هذه النقطة تكون مراحل النبضة الشمسية قد اكتملت بعد رحلتها ذهاباً وإياباً. في هذه المرحلة ترتاح النواة الشمسية لفترة قبل أن تنبض من جديد. كما يفعل القلب تماماً.

إذاً، كل نبضة شمسية (ذهاباً وإياباً) تمثل حياة واحدة للمخلوق. هذا أحد التفسيرات الموضوعية لما نسميه ظاهرة التقمص وفق مفهوم المبدأ الشمسي. والآن تصوّر عدد الحيوات التي يمكن أن تتجلى عبر هذه الشمس الباطنية خلال تنابضها عبر الأبدية. هذه هي الدورة التي يسميها الهندوس "سامسارا" Samsara والتي لا يمكن الإفلات منها قبل أن يصبح محتوى النفس الدنيوية نقياً تماماً (سوف أشرح هذه الفكرة الأخيرة لاحقاً)

عند هذه النقطة بالذات أخطأ المفسرون في تصوير المحاكمة التي تحصل بعد الموت بحيث تذهب الروح إلى مكان ما في السماء للمحاكمة ثم يتم إرسالها إلى النار في الأسفل حيث يقبع الشيطان. الأمر ليس كذلك إطلاقاً. إذا أدخلنا ظاهرة التقمص إلى المعادلة، خصوصاً بعد التسليم بحتميتها بسبب التنابض الشمسي الدائم، فسوف نكتشف بأن دخول نار جهنم منذ الولادة أمر طبيعي، لأن هذه ليست المرة الأولى يكون المخلوق قد ولد فيها بالعالم الدنيوي.. لقد كان هنا من قبل، وسوف يعود إليها بعد أن يموت. هكذا تجري الأمور في المنظومة الكونية، الأمر لا يتوقف على رأي أحد الفقهاء الذي قد يظهر هنا أو هناك ليرفض وجود هذه الظاهرة الكونية الحتمية.

إذاً، كل نبضة شمسية واحدة تمثل حياة كاملة للإنسان (أو أي مخلوق آخر)، وهذه الحقيقة وحدها تثبت حتمية ما نسميه ظاهرة التقمّص، أي إعادة التجسيد بعد الموت. أي نحن أمام ظاهرة حياة/موت حياة/موت حياة/موت.. إلى آخره. نحن عالقين في دورة مستمرة من التجلّي والاختفاء. لكن ما هو السبب المنطقي لظاهرة التقمص وفق صيغة المبدأ الشمسي؟ ما هو السبب المنطقي لهذه الدورة الأبدية من الولادة والموت المتكررة على الدوام؟ دعونا أولاً نتعرف على ظاهرة التقمص من خلال التعريف المختصر التالي:

المعنى المقصود من كلمة "تقمص" أو "تناسخ"، أو أي كلمة مرادفة لهذا المعنى، هو إعادة التجسيد المادي للنفس بشكل متكرر (حياة/موت حياة/موت حياة/موت.. إلى آخره)، ويعتبر هذا أحد أهم المبادئ الأساسية التي أخذ بها الحكماء القدامى. هذا يعني أن الكائن الحي لا تنتهي حياته بعد الموت بل تعود نفسه لتتجلى مرة أخرى بصيغة مادية لكن تتخذ شكل أو هيئة حياة جديدة مختلفة.

النفس إذاً قابلة للتجلي أكثر من مرة بصيغة مادية حيث تحتل جسد جديد في كل حالة تجلّي. الحكمة وراء هذه الفرضية لها أساس علمي متين، حيث طالما بقيت الرغبة مستعرة في النفس عند فراقها للجسد بعد الموت فسوف تجذبها مرة أخرى نحوى المستوى المادي مع كل نبضة شمسية تدفعها إلى التجلّي مرة أخرى. هذه العملية تتكرر لعدد كبير من المرات حتى تتجلي منها تماماً هذه الرغبة المستعرة في المغريات الدنيوية وهنا تستعيد النفس عذريتها ونقائها فتبقى مندمجة مع المحتوى الإلهي حيث لم تعد عملية التقمص ضرورية. يمكن شرح هذه الفكرة بالتفصيل من خلال ما يلي:

كما شرحت في الجزء العاشر، فإن النبضة الشمسية ترافقها نفحة شمسية. هذه النفحة تمثل المخلّص الذي تحدثت عنه معظم الأديان. النفحة الشمسية تمثل النور الشمسي الذي يترافق مع المحتوى. النور هو ذكر بينما المحتوى هو أنثي. وقد وصفت في الجزء العاشر هذه العلاقة بين المبدأ الذكري والمبدأ الأنثوي.

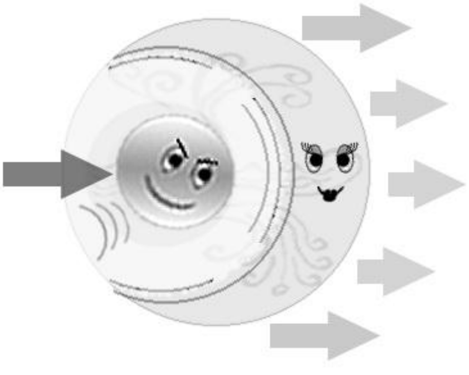

المحتوى الأنثوي يكون نقياً تماماً في الحالة العادية. لكن ما أن يتزاوج مع عنصر ذكري فسوف يتقمص سماته وخصائصه التي قد تكون خيرة أو شريرة حسب الحالة

يوجد سبب وجيه جعل القدماء يربطون عذرية المبدأ الأنثوي (الأم العذراء) بالماء (أو البحر) وهو أن الماء مهما كان ملوثاً يبقى بجوهره نقياً. فالماء الملوثة لا تكون كذلك بجوهرها بل تبدو معكّرة بسبب الرسوبيات التي تصبغ محلولها المائي. لكن إذا تم تصفية المحلول المائي الملوث من الرسوبيات التي تعكر صفاوته فسوف يعود إلى نقاوته

المعهودة. لهذا السبب يشيرون إلى النفس أيضاً بأنها دائمة العذرية، لأن طبيعتها الجوهرية تكون طاهرة تماماً وخالية من أي لطخة خطيئة.

المحتوى الأنثوي يكون نقياً تماماً في الحالة العادية. لكن ما أن يتزاوج مع عنصر ذكري فسوف يتقمص سماته وخصائصه والتي عبرت عنها في الصور المقابلة بصيغة ألوان مختلفة.

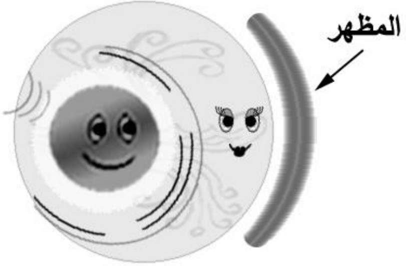

لهذا السبب ما نراه من مظاهر مرئية من حولنا هي غير حقيقية لأننا لا نرى التفاعل الذكري/الأنثوي الذي أدى إلى خلق هذا المظهر المرئي. على هذا المفهوم استندت الفلسفة الهندية عندما تحدثت عن "مايا" والتي ترمز للطبيعة الوهمية للحياة الظواهرية. هي وهمية لأنها زائلة لكن مع ذلك يبقى المحتوى السيولي الذي تنشأ منه أوهام الحياة الظواهرية. الكلمة السنسكريتية "مايا" تعني "وهم". من المثير معرفة أن لكلمة "مايا" السنسكريتية صلة معيّنة بكلمة "ماي" بالعربية العامية أي ماء.

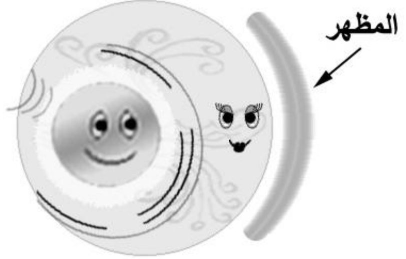

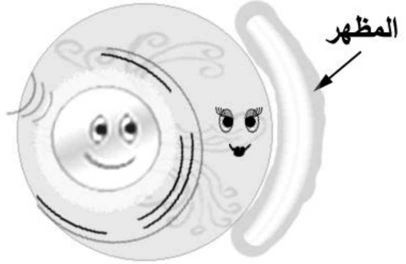

خلال حديثنا عن عنصر المحتوى فنحن بذلك نتكلم عن محتوى عقلي طبيعته سيولية ولهذا ارتبط عنصر الماء بالنفس التي تبعث الصحوة والحيوية في الجسد المادي. النفس إذاً هي العنصر الصاحي في الجسد المادي رغم أنها خاضعة تماماً لإرادة الأنا الدنيوية.

بناء على الفكرة السابقة، أصبحنا نعلم الآن علاقة النفحة الشمسية مع المحتوى المتجلّي في العالم الدنيوي (النفس) والملوث بشوائبه. حيث أن النفحة (التي هي أساساً نور الإله) تدخل أيضاً في مكونات الإنسان الدنيوي وجسده المادي، لكن بنسب مختلفة لدى كل إنسان، لكن غالباً ما تكون قليلة جداً بسبب طريقة العيش الدنيوية التي لا تسمح بتجلّي هذا النور بنسب كبيرة.

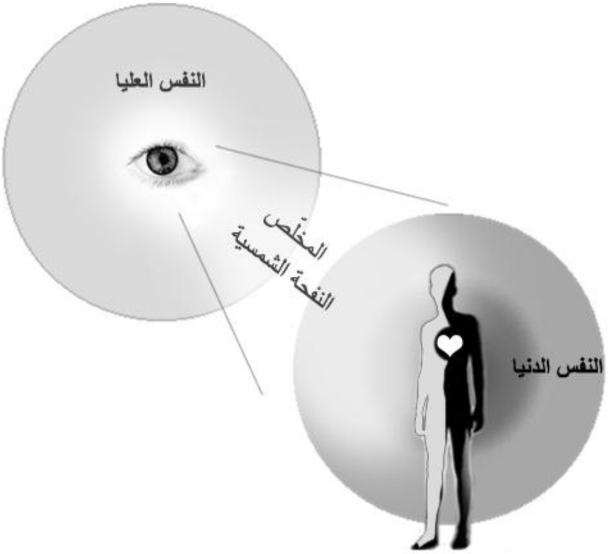

الجسد المادي لا يتألف من محتوى متكاثف فحسب بل من النور الإلهي أيضاً (النفحة الشمسية) وتختلف نسب هذا النور بين إنسان وآخر، إذ ذلك يعتمد على درجة صفاوته ونقائه وتطوره الروحي عموماً.

من خلال مجموعة المواضيع الواردة في الجزء العاشر تبين أن غاية الحياة التي نألفها تتمحور أساساً حول عملية تنقية المحتوى الدنيوي الذي يتألف منه التجسيد المادي للإنسان لكي يزيد منسوب النور أكثر وأكثر. وهذه العملية لا يمكن إنجازها في تجسيد واحد أو في حياة واحدة بل تتطلب ربما مئات أو آلاف التجسيدات المتكررة في العالم المادي. هنا يكمن الجواب الشافي على المسألة الجدلية حول ضرورة وجود أكثر من حياة للكائن المتجلّي. وذلك لأنه لا يستطيع في الحالة العادية إزالة شوائب النفس الملوثة لديه في فترة حياة واحدة. بل على النفحة الشمسية (النور الذي هو المخلص) أن تستمر

في المحاولة مع كل نبضة شمسية لكي تنظف كل الشوائب حتى يصبح محتوى الفقاعة الدنيوية صافي ونقي تماماً. أي تعود النفس إلى عذريتها وهذه العملية تتطلب أكثر من نبضة شمسية، ربما ملايين النبضات، قبل أن يستطيع النور أن يخترق ويتغلغل إلى أعماق الفقاعة الدنيوية، وإذا نجح بذلك يكون قد حقق الفرد حالة التنور. (الشكل التالي يعبر عن هذه الفكرة وضوح)

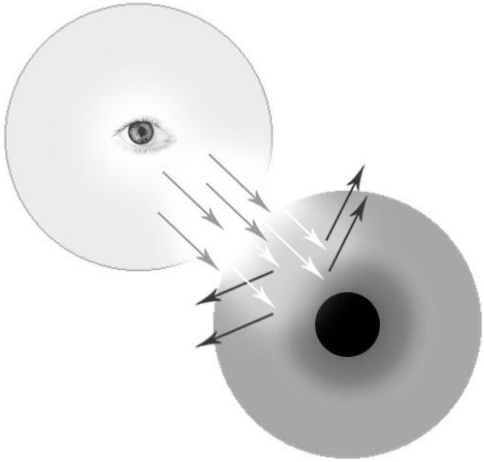

النفحة الشمسية هي عبارة عن نور إلهي صافي ووديع. إذا كان محتوى الفقاعة الدنيوية (النفس) كثيفاً بالشوائب فلا يمكن للنور اختراقه، وهنا يُرمز إلى أن المخلّص مات تعذيباً.

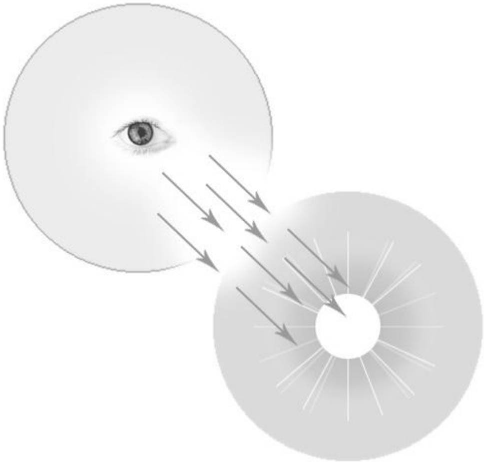

بعد تنقية المحتوى الدنيوي من الشوائب بحيث يصير صافياً يتمكن بعدها النور الإلهي من التغلغل في كامل جوانبه وحينها يحصل التنور لدى الفرد.

الأمر يشبه تماماً كوب الماء الذي يُسلط عليه ضوء من مصدر ما. إذا كان الماء معكراً بالشوائب فسوف يعجز الضوء من اختراقه والتغلغل فيه، بينما إذا كان الماء صافياً شفافاً فسوف يتغلغل فيه الضوء ويجعل الجسم المائي يشع بالنور.

طالما بقي هناك شوائب ويكون المحتوى معكراً فهذا يعني بقاء الانعكاس قائماً للذات في العالم الدنيوي وهذا يبقيها مشغولة في الاستغراق بانعكاسها الوهمي وبالتالي سوف تستمر عملية التجسيد المادي بشكل متكرر مع كل نبضة شمسية. بمعنى آخر، طالما بقيت الماء ملوثة سوف تستمر النفس في التجلّي في المستوى الدنيوي وتختبر أكثر من حياة دنيوية حتى تكتسب المزيد من الحكمة الصفاء الوجداني فتصبح نقية بشكل مطلق. حينها تتحرر من قيود المادة وتبقى إلى الأبد في رحاب العالم العلوي. هذا يجعلنا نستنتج بأن النفس لا تموت بل تبقى قائمة بين حياة وأخرى. من هنا جاءت ظاهرة التقمص أو تناسخ الأرواح.

الحياة هي مدرسة كبيرة. نحن جئنا إلى هذه الحياة لنتعلّم، وهذا التعلّم مصحوب بالتجارب والاختبارات ملئها المعاناة والعذاب. النور الإلهي لا يمكن أن ينمو في كيان الفرد دون اختبار الحياة الحقيقية والتي يسودها البؤس والمعاناة. من أجل تجلّى نور المخلّص في كياننا على الأم أن تكون عذراء بحيث تحبل به دون دنس. وهذا يرمز إلى تجلّي النور في المحتوى النقي الصافي للنفس. من أجل أن يتجلى فينا النور الإلهي وجب علينا تنقية النفس لدينا لتصبح كما العذراء الطاهرة. النقاء الذي يتصف به المحتوى السيولي هو ذاته العذرية التي يتصف بها المبدأ الأنثوي. الأم العذراء الطاهرة تمثل في الحكايا الرمزية المحتوى النقي الذي مهما دنسته الشوائب إلا أن جوهره يبقى نقياً وصافياً وبالتالي إذا تدنّس هذا المحتوى بملوثات العالم المادي بعد سقوط النفس يبقى قابلاً لأن يسترد نقاوته من جديد.

النور الإلهي (النفحة الشمسية) هو ذاته المخلّص الذي تحدثت عنه كافة الأديان على طريقتها الخاصة. هو يمثل الحب الخالص غير المنقوص والخالي من الانحرافات أو الأنانية أو المصلحة الذاتية، هو الحب المطلق المتجلّي بشكل غير محدود ويمثل برهان على حضور القوة الإلهية. التنور هو حالة تتجلى بعد إجراء سلسلة من التغييرات في سلوك الفرد وطريقة تفكيره وذلك لتوفير بيئة مناسبة لتجلي حالة التنوّر في كيانه. لكي يحرز الفرد حالة التنوّر عليه اختراق القيود التي تفرضها عليه حواسه ومتطلبات شخصيته الوهمية (الأنا) وأن يسعى إلى إدراك ذاته الحقيقية التي تقبع في جوهره. وأن

يعلم عبر التجربة والاختبار حقيقة أن العالم المرئي والملموس الذي يحيطه هو عبارة عن وهم، و عليه الكفاح من أجل عيش الواقع الأبدي الذي يقبع بداخله. أي خلال وجوده الأرضي على الفرد أن يعيش في حالة قدسية كاملة يحافظ خلالها على طهارة النفس من أي شائبة دنيوية يمكن أن تدنسها.

معظم الناس قد يرفضون هذه الدعوة أو هذا العرض، حيث يرون في ذلك تهديداً لمصالحهم الدنيوية مثل رغباتهم الشخصية وعلاقتهم مع العالم المادي الذي نشأوا فيه وتربوا على قيمه الزائفة. وبهذا نقول بأن الإنسان رفض أن يمثل تجسيداً للمطلق [جلّ وعلا] لأنه غير مستعد بعد أو غير جاهز. عليه خوض المزيد من التجارب في الحياة الدنيوية قبل ذلك. عليه أن ينمو فوق الأوهام التي لازال يعتبرها الآن مهمة. عليه الانتصار على ضعفه وهفواته وعجزه وخطاياه.

الحياة الأبدية والحياة المؤقتة

ذكرت سابقاً في هذا الكتاب حقيقة مهمة نادراً ما ندركها وهي أن للإنسان سيرتي حياة: الأولى هي السيرة المؤقتة التي نألفها في حياتنا المتجلية في العالم المادي، والثانية هي السيرة الأبدية التي نادراً ما نفطن لها ولأهمية تأثيرها الكبير على أقدارنا ومصائرنا. السيرة الأولى لا يتتجاوز مدتها عقود أو حتى قرن واحد من الزمان، بينما الثانية تمتد إلى لا نهاية.. قرون وقرون وقرون.. نحن منشغلون بالحياة المؤقتة ونوليها جلّ اهتمامنا بينما نجهل وجود حياة أبدية مسؤولة عن وجودنا أصلاً وبالتالي تبقى مهملة دون اهتمام أو مراعاة مع أنها الأهم.

يمكن وصف الفكرة المتعلقة بالحياة الأبدية والحياة المؤتة عبر الرسم المعبّر في الشكل التالي:

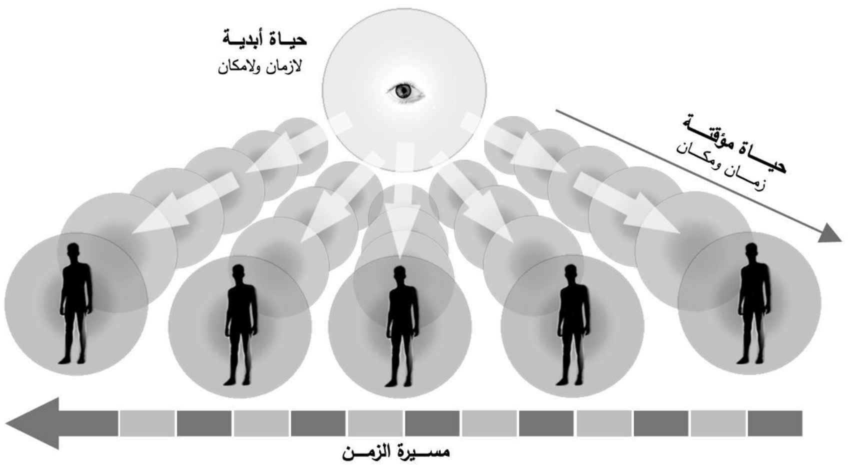

كما هو مبيّن في الصورة، كل نبضة شمسية تمثل حياة كاملة للإنسان (أو أي مخلوق آخر)، هذه هي الحياة المؤقتة التي ذكرتها في الكتاب. أما الحياة الأبدية فهي تكمن في الشمس النابضة ذاتها. هذه هي هويتنا الحقيقية. هذا نحن. الذات القابعة في الجانب الباطني من وجودنا.

النبضة الشمسية تتجلى بأشكال وهيئات مختلفة
وبأكثر من صيغة وحجم ووتيرة زمنية في كياننا الدنيوي

الإنسان يحيا وينشط ويتجسّد مادياً بفضل النبضات المتناوبة لشمسه الباطنية. لابد من أننا استنتجنا هذه الحقيقة من خلال الاطلاع على الجزء العاشر من هذه المجموعة. حتى كامل فترة الوجود المادي للإنسان، أي كامل حياته، تمثل نبضة شمسية واحدة. النبضة الشمسية تتجلى بأشكال وهيئات مختلفة وعلى مستويات عديدة. تذكر أن الشمس الباطنية متحررة من عامل المكان، وبالتالي فنبضتها متجلية بأكثر من هيئة وصيغة وحجم ووتيرة في كياننا الدنيوي. هناك مثلاً نبضة شمسية متزامنة مع ضربات القلب، وهناك نبضة شمسية متزامنة مع فترة حياة كل خلية من خلايانا، وهناك نبضة شمسية متزامنة مع تجلّي كل ذرّة من ذرات جسدنا المادي، وهناك نبضة شمسية متزامنة مع كامل فترة الوجود المادي للإنسان، وهناك نبضة متزامنة مع إيقاعه الحيوي وهناك نبضة

متزامنة مع إيقاع خيباته وأماله.. وهكذا إلى آخره، لكن دون الدخول في تعقيدات هذه المسألة علينا أولاً فهم الطبيعة الجوهرية لهذه النبضة الشمسية عموماً وكيف تعمل لأن فهم المبدأ النابض للشمس يعني فهم كافة أنواع النبضات الشمسية بجميع مستوياتها. الشكل التالي يوضح هذه المسألة جيداً.

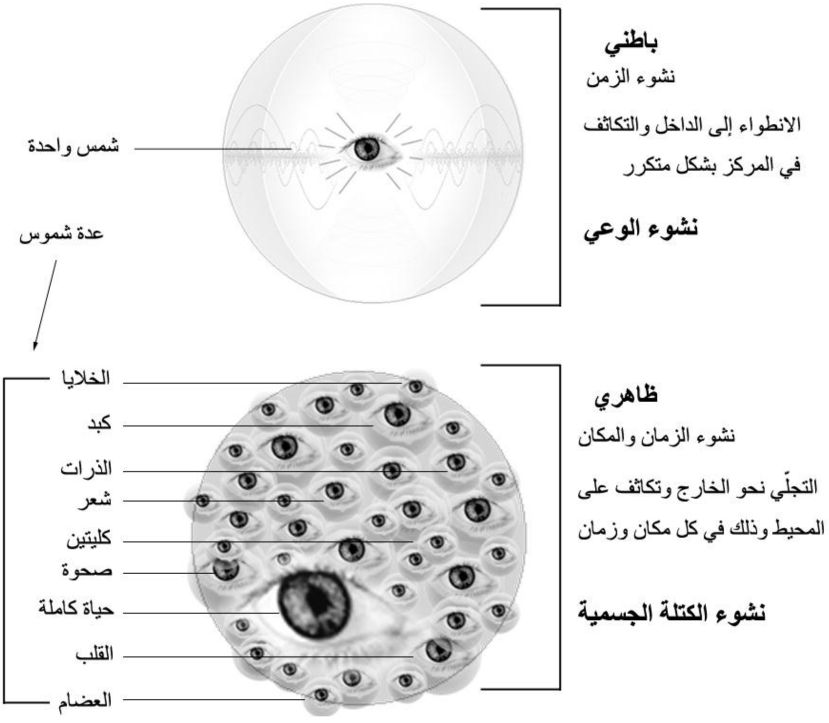

هذا الشكل يوضح الفكرة المطروحة في الفقرة السابقة، حيث المستوى الظاهري للكائن محكوم بعامل الزمان والمكان وبالتالي هو مؤلف من عدد كبير من الشموس، ولكل شمس حجمها الخاص ووتيرتها النبضية الخاصة وتمثل أحد الأعضاء التي يتألف منها الجسم. لهذا السبب نرى اختلاف في وتيرة الإيقاع الزمني لنمو الشعر ونمو الجلد ونمو الخلايا.. إلى آخره، وكذلك نرى اختلاف في وتيرة إيقاع ضربات القلب وكذلك وتيرة إيقاع النوم والصحوة وتقلبات المزاج الناتجة من إيقاعات جسمية مختلفة (إفرازات هرمونية مثلاً) وغيرها من إيقاعات لانهائية في اختلافاتها وتنوعها. بالإضافة إلى ذلك يوجد أكبر إيقاع زمني في المخلوق وهو إيقاع الحياة والموت التي تدخل أيضاً في هذه التركيبة. تذكر أن كل هذه الشموس المتجلية في القسم الظاهري وإيقاعاتها النبضية المختلفة هي مجرّد انعكاسات متنوعة لشمس واحدة وهي الشمس

الباطنية، لكن الاختلاف في وتيرة تنابضها يعود سببه إلى أن الشمس الباطنية متحررة من عامل المكان وبالتالي يمكنها أن تتجلّى في القسم الدنيوي بأي حجم وبالتالي بأي وتيرة زمنية ممكنة.

إذاً، كل نبضة شمسية تمثل حياة قائمة بذاتها. أي كامل حياة الفرد في المستوى الدنيوي، مهما طال أمدها، لا تتجاوز لمحة البصر في الجانب الباطني لأنها عبارة عن نبضة شمسية واحدة في ذلك المستوى. من هنا عرف القدماء أن مفهومنا للموت هو وهم، إذ هو مجرّد حالة إيقاعية، حيث أن الموت والحياة هي عبارة عن حالة تبادلية مستمرة. أي أنه في الواقع ليس هناك حياة لوحدها ولا موت لوحده بل تبادل متكرر بين الموت والحياة، أي موت/حياة/موت/حياة/ موت/حياة.. وهكذا إلى آخره.

الخلاص الطبيعي

لكن وفقاً للقدماء، يوجد طريقة وحيدة للخلاص من هذه الدورة الإيقاعية الأبدية. وجب العلم النفس (المحتوى) هي التي تكون عالقة في هذه الدورة الإيقاعية الأبدية فقط، وسبب وقوعها في شباك هذه الدورة الأبدية يعود إلى أنها تلوثت بالطبيعة المادية التي غاصت فيها من البداية. لكن من أجل أن تتحرر النفس من هذه الدورة الأبدية ليس هناك سوى منفذ واحد فحسب، وهو تخليصها من الملوثات الجنيوي التي تعكّر صفاوتها أو تلوّث نقاوتها. مجرّد أن أحرزت حالة نقاوة تامة في محتواها فسوف تتحرر النفس كلياً من دورة الحياة/الموت المتكررة دائماً وأبداً.

لكن من أجل تحقيق هذه النقاوة في الحالة الطبيعية، وجب على النفس أن تختبر الكثير من التجليات الدنيوية (تقمص) إذ هذه الطريقة هي الوحيدة لاكتساب الحكمة وصفاوة الوجدان اللازمين لإفساح المجال للنور الإلهي للتمدد في كيانها، حتى يحتل كيانها بالكامل فتحصل حالة تنور كامل. وخلال مسيرة التجلّي المتكرر، تتقمّص النفس في كل مرّة شخصية مختلفة عن السابقة، لكن هذه العملية ليست عشوائية بل مدروسة جيدا، إذ وفقاً للحكمة الإلهية، يبدو أن الشخصية التي تتقمصها النفس خلال تجليها تحوي في

حياتها الدنيوية الكثير من الدروس التي وجب على النفس اختبارها. يمكن التعبير عن هذه الفكرة من خلال الصور التالية:

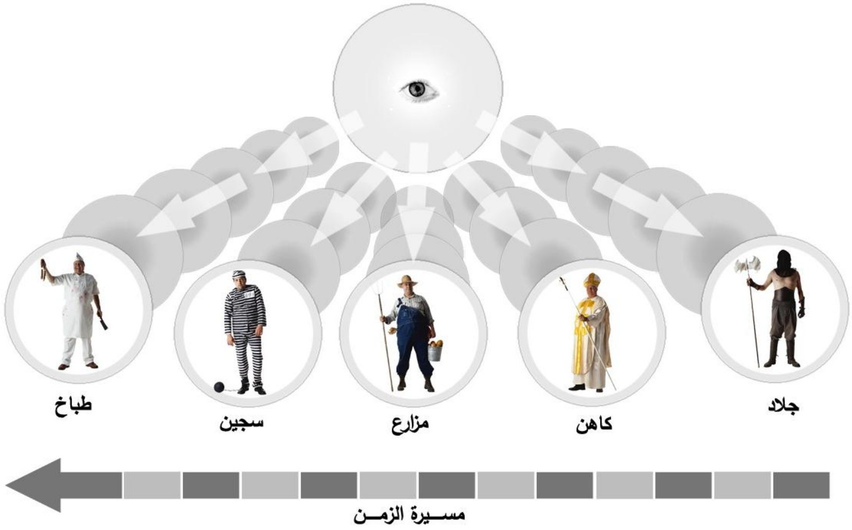

تتقمّص النفس شخصيات ذكورية مختلفة عبر فترات تاريخية مختلفة

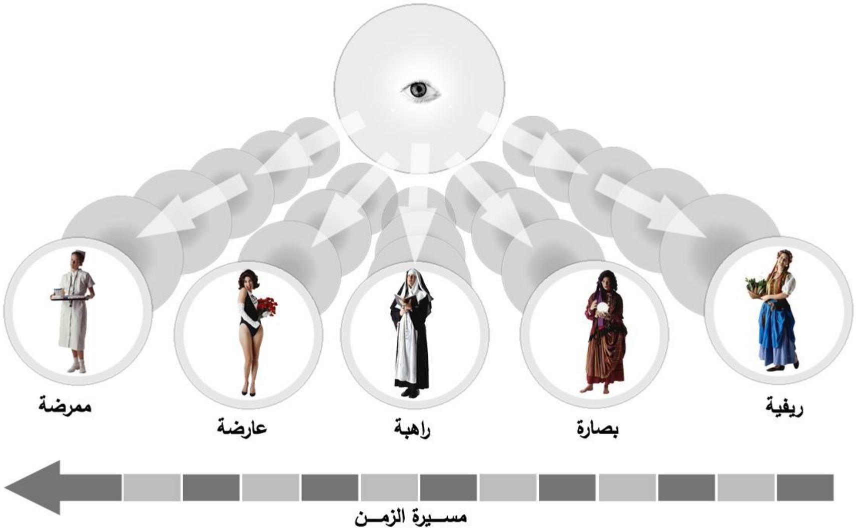

تتقمّص النفس شخصيات أنثوية مختلفة عبر فترات تاريخية مختلفة

كما ذكرت سابقاً، إن عملية اختيار الشخصيات التي تتقمصها النفس ليست عملية عشوائية، فهذا سرّ من أسرار الطبيعة التي لها طريقتها الخاصة والحكيمة في اختيار الأدوار التي تؤدي في النهاية إلى إحراز حالة النقاء الكامل في النفس. خلال كل تجسيد يلعب الفرد دور خاص ومختلف في حياته، وذلك لكي يكسب أكبر قدر ممكن من الخبرات المختلفة والمتنوعة والمفيدة لتطوره الروحي.

أما عملية التحوّل التي تحصل في النفس خلال اكتسابها الخبرات عبر تجسيداتها المتكررة ولعب أدوار مختلفة فيمكن التعبير عنها في الصورة الرمزية التالية:

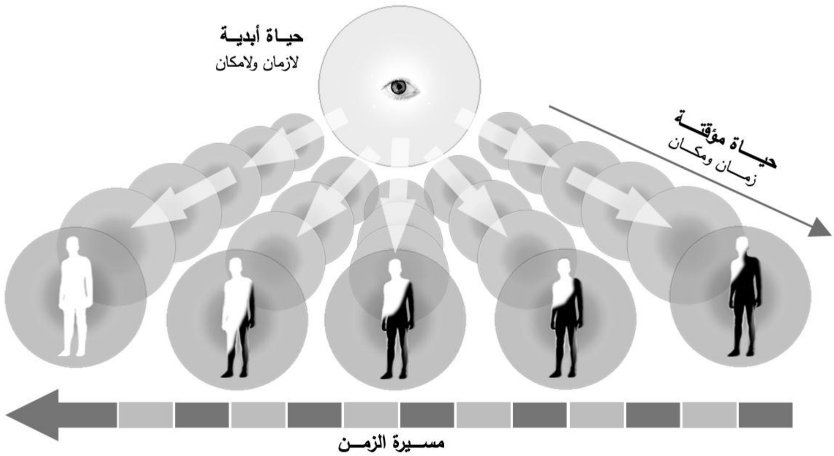

كما هو مبيّن في الصورة، يبدأ النور الإلهي بالتنامي في كيان الفرد (محتوى النفس) مع كل تجسيد جديد واكتساب مجموعة خبرات جديدة تساهم في زيادة حكمة الفرد ونقاءه الروحي. تذكر أن هذه صورة رمزية وبالتالي فإن عدد التجسيدات يفوق العدد الظاهر في الصورة مما يجعل كامل العملية تستغرق ربما ملايين السنوات قبل إحراز النقاء التام

في النهاية سوف يصل الكائن المتجلي إلى نقطة لم يعد ضرورياً انخراطه في دورة الحياة والموت المتكررة (النبض الشمسي) بحيث أصبحت درجة نقائه كاملة. فينتقل إلى مستوى آخر من التجلّي وهذا المستوى ليس مجدياً محاولة وصفه لأنه يتعذر وصفه بكلمات ومفاهيم وصور متوفرة في مفاهيمنا اللغوية الحالية.

النيرفانا أو الموكشا، أو التحرر الكامل من دورة الولادة والموت بعد إحراز التنور، إذ يكون النور الإلهي قد طغى بالكامل على كيان الفرد

الخلاص المقصود

التعاليم السرية ومنهجها الهادف إلى تنقية النفس

فيما سبق وصفت الطريقة الطبيعية التي تجري فيها عملية تنقية النفس والتي قد تستغرق ملايين السنوات، لكن يبدو أن الحكماء القدامى صاغوا منهج خاص يساعد على التحرر والخلاص خلال فترة أقصر بكثير. وبناء على هذه الحقيقة وضعت الأسس الأولية لحكمة العصور. قلنا بأن للإنسان سيرتي حياة، الأولى هي السيرة المؤقتة التي نألفها في حياتنا المتجلية في العالم المادي، والثانية هي السيرة الأبدية التي نادراً ما نفطن لها ولأهمية تأثيرها الكبير على أقدارنا ومصائرنا. وقد شرحت هذه الأخيرة في الفقرات السابقة، لكن الأمر المهم الذي وجب معرفته هو أن الحكماء القدامى اهتموا بهذه السيرة الثانية (الأبدية) وصاغوا فلسفاتهم وطرق حياتهم الدنيوية وفقاً لقوانينها ومبادئها الخاصة.

وفي الحقيقة فإن كافة الأديان العالمية، العظمى والصغرى، القديمة والحديثة، جميعها تتمحور تعاليمها حول الاجتهاد لتحقيق هذا الهدف السامي، لكن معظمها تم تحريف تعاليمها وسوء تفسير نصوصها بحيث راحت التفسيرات الخاطئة تتناول أمور ومسائل دنيوية وفرائض أخلاقية بديهية لا تقدم أو تؤخّر في تطور الفرد روحياً. معظم الفرائض الأخلاقية التي أقرّت بها الأديان الحالية لها مآرب سياسية أكثر من كونها روحية أصيلة ذات فائدة أو ذات معنى مجدي للفرد. هذا يعود سببه إلى تعرضها لاختراق كبير عبر التاريخ من قبل الطغاة الدنيويين الذين ساهموا في إفساد تعاليمها الروحية الأصيلة واستعبدوا الشعوب أقسى استعباد وعاثوا فساداً بالبلاد.

قلنا سابقاً أن الطريقة الطبيعية لإحراز نقاوة النفس الكاملة تستغرق وقت طويل جداً بحيث قد تعادل ملايين السنوات. لكن الحكماء القدامى أوجدوا منهج خاص يساعد على تنقية النفس ومن ثم التحرر والخلاص خلال فترة أقصر بكثير. ولهذه المهمة الصعبة يوجد إجراءات معينة على الفرد اتخاذها، وهنا يدخل دور التعاليم السرية التي يدرسونها في المعابد. التعاليم البوذية تشكل مثالاً واضحاً على ذلك حيث الغاية النهائية للبوذي هي بلوغ النيرفانا أو التحرر من دورة التجلّي المادي المتكرر. وذكرت في الفقرة السابقة بأن هذه غاية كافة الأديان الأخرى قبل تحريفها واستخداما للسيطرة المطلقة على الشعوب.

وهناك جهات أخرى غير الديانات والتي استطاعت تحقيق هذا الإنجاز العظيم في الماضي البعيد بعد أن فهموا هذه المسألة جيداً. أهم تلك الجهات كان المصريون القدامى الذين فهموا هذه الحقيقة الجوهرية المتعلقة بالتقمّص وتنقية النفس وعملوا على إيجاد الوسائل المناسبة والمجدية لحلّ المسألة وتوصلوا إلى نظام أو منهج يساعدهم على الخلاص كلياً من العودة إلى هذا العالم الدنيوي عبر تطهير النفس تماماً من الشوائب. وبالتالي بدلاً من التجلّي مرة أخرى في هذا العالم الدنيوي كضرورة حتمية لإكمال عملية التطهير الطبيعي من الشوائب، استطاعوا الخلاص كلياً من دورة التجسيد المادي من خلال السعي لتطهير النفس كلياً خلال فترة حياة واحدة أي خلال نبضة شمسية واحدة. وكان ذلك المنهج صارماً جداً لكنه مجدي جداً بحيث نجح الكثيرون في

إتمام كامل الخطوات المترتبة عليهم فتحرروا كلياً من دورة السببية (الكارما). كامل منظومة أهرامات الجيزة بنيت خصيصاً لتحقيق هذه الغاية السامية. كانت أهرامات الجيزة تمثل جامعة عالمية يتقاطر إليها المريدون من كافة بقاع الأرض وينخرطوا في منهجها التعليمي ونظامها التدريبي المميز والخاص جداً.

التقمّص إذاً هو أمر ضروري لكي تتم عملية التطهير الكامل للنفس بحيث يتمكن بعدها النور الإلهي من التغلغل بالكامل في كيان الفرد فيتحرر كلياً من دورة الضرورة. بناء على هذه الحقيقة وضعت الأسس الأولية لحكمة العصور التي تتمحور حولها التعاليم السرية. يمكننا التعرف أكثر على هذا المنهج المعرفي الجليل من خلال الموضوع التالي:

حكمة العصور

لقد جلبت حكمة العصور الجمال والسلام الداخلي إلى الكثير من شعوب العالم القديم. لقد ألهمتهم بفنون عظيمة وتقاليد وعادات مهذبة ولطيفة. لقد أنعمت كثيراً على العقل المتقبّل والمجيب والقلب الشاكر والممتنّ. معزّزة في كلّ مكان رقّة الروح وشجاعة اليقين. هذه الحكمة هي جزء من ميراثنا النفيس المنحدر إلينا من الماضي الذهبي. لقد حافظت على بقائها عبر القرون لأن الإنسان وجد فيها مساعداً أساسياً عبر أجيال من الخوف وعدم اليقين. بما أننا نعيش اليوم في أكثر الأزمنة حرجاً التي يمكن تسجيلها في التاريخ، نحن بالتالي نختبر الحاجة الملحّة لفهم أفضل وأكثر عمقاً للحياة. لذلك سوف أحاول التفسير وفق كلمات بسيطة ماذا تعني "حكمة العصور" بالنسبة لنا، ليس بصفتها منظومة اعتقادية مجرّدة بل بصفتها مرشد مباشر للسلوك.

إنّ سعي الإنسان الأبدي يهدف إلى إدراك ذاته الساكنة المطمئنة المخفية في كيانه الداخلي. إن إيجاد هذه الذات يعني اكتشاف الغاية وراء الوجود البشري. إن فهم هذه الذات يعني معرفة قوانين الخلاص البشري. وأن تعيش بتناغم وانسجام مع هذه الذات يعني التمتع بوجود هادئ ومطمئن، فعواطف البشر كما سطح البحر متهيّج بفعل الرياح والأعاصير، تهيّجها عواصف الظروف الدنيوية. لكن الأقسام العميقة من البحر ليست متأثرة بالهيجان والأعاصير. في داخل كل منا يوجد منطقة سلام، حيث تقبع الذات في هناء ونعيم أبدي.

قال الحكيم البوذي عن الذات المتنورة: *".. هي عميقة.. غير محدودة.. يتعذر استيعابها.. كما المحيط العظيم.."*

بالنسبة لمعظم طلاب الفلسفات القديمة، فإن "حكمة العصور" تعتبر مدرسة غريبة ومتقشفة وتتصف بانضباط صارم، تعود أصولها إلى أزمنة غابرة مجهولة، وبكل تأكيد هي تتجاوز استيعاب الإنسان العصري. تبدو تعاليمها للوهلة الأولى عبارة عن مجموعة

من المتناقضات التي تُعلم من خلال الأحجيات والأحازير والألغاز. لكنها في الحقيقة تمثل الطريق المباشر والبسيط الذي يؤدي إلى نهاية المعاناة. كتب أحد الحكماء قائلاً: *".. بعد تحقيق السلام والسكون، نصبح هادئين في الجسد وهادئين في العقل.."*

إن المعرفة بهذه الطريقة الصامتة تنتقل بهدوء إلى القلب المتلهّف للباحث عن الحقيقة. ليس هناك أي طريقة مجدية لتعريف هذه الحكمة، حكمة العصور، فهي لا تمثل دين ولا تمثل فلسفة ولا علم.. لكنها رغم ذلك تسعى إلى النهاية ذاتها التي تجتهد هذه الجهات الثلاثة لإحرازها. هذه الحكمة تمثل اختبار مباشر لوجود يقبع ما وراء العقل الدنيوي.. وهو المكان الذي يمكن منه السيطرة على عادات وميول ونزعات الفرد ومن ثم توجيهها وفق مسارها الصحيح نحو نهايتها الصائبة والسليمة.. والمتمثلة بمعرفة ذلك الذي هو الحق المطلق.

هذه الحكمة تنتقل بين المريدين دون إنسابها إلى أي مرجع ديني أو نصوص مقدسة.. رغم أن الحكمة مستخلصة منها. إنها عملية إدراك واكتشاف بالاعتماد على التجربة الداخلية وحدها، وليست معتمدة على أي تعليمات محكية أو مكتوبة. هي تهتم كلياً بالحياة الداخلية للفرد وتقود إلى التنوّر عبر فهم الفرد لطبيعته الحقيقية. لأن هذه الحكمة لا تستند على سلطة أي معلّم أو أي تعاليم، فوجب بالتالي أن تنتج من الاكتشافات التي يحققها الفرد عميق التفكير عندما يكون محترساً من سوء الحظ. هذه الاكتشافات تسمى خبرات، وكل واحدة تنبت من تلك التي سبقتها.. ما عدا الأولى التي تنتج من الإدراك البسيط بأننا تجرّدنا من الشجاعة والبصيرة التي تمكننا من عيش حياة بسيطة ومنضبطة. كل اختبار يثبت نفسه مع التقدم في هذا الدرب، هذا بحيث لم نضطر إلى القبول بأي معتقد أو فكرة لم نكتشفها نحن سابقاً ونتيقن من صحتها من خلال تجربتنا الخاصة.

هكذا بالتالي نقود ونرشد أنفسنا بأنفسنا، وكل ما نحتاجه هو الصدق مع أنفسنا والقليل من الشجاعة، وهذه الأخيرة تزداد قوتها بعدما نختبر فوائدها. إن اكتشافنا للقيم العملية للحكمة يتكشّف تدريجياً عبر عشرة خطوات رئيسية:

١. الخطوة الأولى هي اختبار الحاجة الملحة لفهم أعظم من الفهم الذي نحوزه الآن.

٢. الخطو الثانية هي اختبار كل ما يمكننا اختباره في سبيل إحراز أي درجة من البصيرة الضرورية لتحقيق الأمان الداخلي.

٣. الخطوة الثالثة هي اختبار حقيقة أن السلام الداخلي يمكن إحرازه فقط عبر التحكم السليم بأفكارنا وعواطفنا.

٤. الخطوة الرابعة هي اختبار حقيقة أنه ليس هناك أي تقدم للشخصية بدون الضبط الذاتي.

٥. الخطوة الخامسة هي اختبار حقيقة أنه عبر الضبط الذاتي يمكن إخضاع الحياة الفكرية والعاطفية والجسدية تحت سيطرة الغاية المنتورة.

٦. الخطوة السادسة هي اختبار حقيقة أنه يمكن إحراز السيطرة على الفكر والعاطفة دون إجهاد أو توتر من أي نوع.

٧. الخطوة السابعة هي اختبار حقيقة أن السيطرة الصائبة والسليمة تجعل حالة الهدوء الداخلي الكامل ممكنة، وذلك من خلال تقليص قوة العوامل الخارجية التي تزعج الحياة الداخلية.

٨. الخطوة الثامنة هي اختبار حقيقة أنه عبر السكون والهدوء يصبح ممكناً للفرد أن يكون متقبلاً لكل الحكمة والجمال في الكون.

٩. الخطوة التاسعة هي اختبار حقيقة أننا موجودون بشكل مطلق وأبدي في الكون، والسعادة الحقيقية وهداوة النفس تنتجان من القبول الكامل للخطة الكونية وقوانينها.

١٠. الخطوة العاشرة هي اختبار حقيقة أن الوعي الصافي، الذي يقبع ماوراء وفوق الإرادة الأنانية والغاية الأنانية، يقود إلى الوحدة والاندماج مع الواقع غير المُدرك وغير المسمى والذي يتعذر وصفه بكلمات.

تبدأ الحكمة في اكتساب معنى خاص بالنسبة لنا بعدما نبدأ بإدراك حقيقة أن الطبيعة أنعمت علينا بكل مورد داخلي ممكن وضروري لكي نختبر وجود هادئ وساكن. يمكننا أن نكون كائنات بشرية منضبطة بشكل سليم، وكل ما يتطلبه الأمر هو إصرار هادئ ويتم المحافظة على هذا الإصرار بمواظبة واجتهاد. يمكن وصف هذه الحالة بالعقلية الصائبة، أو العقلية السليمة. وهذه الحالة سوف تقود في النهاية إلى تحرر عقلي كامل.

عندما نحرّر أنفسنا من طغيان أفكارنا وعواطفنا الدنيوية سوف نكتشف السعادة الحقيقية. الحكماء العجائز يفتقدون لأي صبر أو تساهل مع الأشخاص الأغبياء والحمقى. يشيرون إلى حقيقة أننا جميعاً نملك سلطة الاختيار. عندما نختار العيش بطريقة سيئة فهذا يعني أننا اخترنا المعاناة بأنفسنا. ليس هناك حاجة للإشفاق على الذات وليس هناك مكان لرثاء الذات في تعاليم الحكمة. البستاني الأحمق هو بائس بسبب الأعشاب الضارة التي تنمو في حديقته، وهذه الحالة تشهد على إهماله. البستاني الحكيم يحافظ على حديقته خالية تماماً من الأعشاب الضارة، وبالتالي لم يترك سبب لعدم رضاه. الأعشاب لا تزول لوحدها، وكذلك الحال مع العادات السيئة فينا والتي لا يمكنها تصحيح أو إزالة نفسها.

الحكمة تمثّل مذهب الفعل المباشر، المفتاح هو "الآن"، هذه هي اللحظة الوحيدة التي يمكننا خلالها الفعل، لكنك قد تقول بأن هذه اللحظة قد مضت.. حتى خلال كلامنا الآن فإن "الآن" أصبحت من الماضي. لكن في الحقيقة فإن "الآن" لا يمكن أن تكون من الماضي. الزمن يسير قدماً إلى الأمام، لكن "الآن" تبقى معنا دائماً. الإنسان هو مخلوق لا يعيش سوى "الآن". كل شيء آخر يمثّل ابتكار عقلي/نفسي موهوم. ما نسميه الماضي هو مجرّد ذاكرة الإنسان للماضي والتي يمارسها "الآن". ما نسميه المستقبل هو آمال الإنسان بالمستقبل والتي يأملها "الآن". نحن نعتبر بأننا لسنا أبناء اللحظة فقط لأننا

نربط أنفسنا بما هو خارج أنفسنا... وهو عامل الزمن. وعامل الزمن يصبح الطاغية الأكبر في حياتنا.

قد يقول البعض بأننا بحاجة إلى الإرشادات الأخلاقية العائدة للماضي، كما أننا بحاجة إلى حافز الآمال المستقبلية لكي نحافظ على استمرارية تقدمنا للأمام في الحياة. لكن الحكمة لا تلغي تماماً الماضي ولا المستقبل، بل تصرّ على أن السبب الوحيد الذي يجعلنا نتكئ بأثقالنا عليهما هو لأننا نعتبر الحاضر بأنه نوع من الخلاء الفراغ.

اجعل الحاضر صائباً وصحيحاً بشكل فعلي وسوف ترى أن كل ما هو جيّد في الماضي سوف يبقى قائماً بينما الباقي سوف يزول. اجعل الحاضر صائباً وصحيحاً وسوف ترى أن كل ما هو ضروري للمستقبل سوف يأتي. **لكن السؤال هو: كيف يستطيع الفرد تحرير نفسه من [البارحة] و[غداً] لكي يتمكن حينها من العيش** "الآن"؟ **تجيب الحكمة على هذا السؤال من خلال مفهوم القبول الفعّال، أو التقبل الديناميكي.** نحن ننظر عموماً إلى كلمة قبول أو تقبّل على أنها تعني الاستسلام أو التسليم بوضع حتمي معين. أي توحي إلى فكرة: أن نتقبل مشاكلنا وأعبائنا بحزن وأسى. لكن القبول الفعّال الذي تتحدث عنه الحكمة يحوز على عنصر قوي من الفعالية. كلمة فعال توحي إلى توق أو حماسة معيّنة، أي كما حالة الطفل الذي يستكشف العالم من حوله فيكسب المعرفة. إنه نوع من القبول أو التقبّل لكن له معنى إيجابي أكثر مما توحيه الكلمة. يمكن توضيح الفكرة من خلال ما يلي: القبول الذي تتحدث عنه الحكمة ليس التسليم بذلّ وهوان أمام مصاعب وأزمات الحياة على أنواعها، بل قبولها على أنها دروس تهدف إلى تعليمنا وإكسابنا المزيد من الحكمة وليس تدميرنا وأذيتنا. فقط الطبيعة العشوائية العمياء تؤذينا، لكن بعد معرفة أن الطبيعة عاقلة وحكيمة وتشعّ بالذكاء فهذا يجعلها تعلم ماذا تفعل، وهذا بالتالي يُشعرنا بالإطمئنان. يمكن اعتبار هذه الاستجابة مع مصاعب الحياة بأنها طريقة مجدية لتحسين الذات، لأننا أصبحنا نخوضها كمدرسة وليست ساحة حرب محكومة بشعار [صراع البقاء] وشعار [البقاء هو للأنسب] . القبول الفعّال كما تفسره الحكمة هو مغامرة مع امتنان وتشكّر.. هو اكتشاف ليس فقط ما نحتاج معرفته بل ما نريد معرفته. هو يزودنا بأكثر من مجرّد معرفة وتفهّم، بل يمنحنا القوة لعيش حياة

منظّمة بشكل جيّد وممتعة للنفس ومحببة للقلب، رغم الصعوبات والأزمات التي نواجهها في الحياة.

هناك أيضاً توصية بالمراقبة السليمة والصائبة. وهذا الكشف عن ما وجب تقبله يساهم في تعزيز البصيرة والعزيمة. فنتعلم عبر الزمن بأن طريقة القانون الكوني هي دائماً الطريقة الأفضل.

إن فهم هذا القانون النبيل يعني أن تكون حكيماً.. وأن تطيع هذا القانون يعني أن تكون نزيهاً وعفيفاً. من خلال الممارسة الصامتة للمراقبة السليمة، نصبح أكثر انتباهاً للأحداث مهما كانت عادية. مكتشفين الحقيقة ليس في الأماكن الاستثنائية بل في الأماكن العامة. التقبّل الحكيم يجعلنا نتصرف ببساطة وتواضع.. نصبح متحررين من التعقيدات الشكلية. عندما نتقبّل الحركات الحيوية للحياة، كما تكشفه لنا إدراكاتنا الحسيّة، نحقق علاقة جديدة مع الحياة. كافة المجريات الطبيعية تسير نحو تحقيق غاياتها بمباشرة مذهلة. الطبيعة وأعمالها العجيبة تعزّز تنوّع لانهائي من النشاطات، لكنها لم تكن أبداً معقدة. التعقيد يكمن بداخلنا. ويمكننا إيجاد حلّ لهذا التعقيد من خلال إرادة بسيطة ولطيفة لأن نكون صادقين وواقعيين وتقبل بكل محبة الوقائع الواضحة والجليّة التي هي ضمن إطار استيعابنا. هناك قوة غامضة على إيجاد الحلّ، وتأتينا عندما نقبل بصوابية الغاية الإلهية. لكنه ليس سهلاً أن نمارس هذا القبول بطريقة ذات معنى، إلا إذا أحرزنا حالة من السكون الداخلي.. وهذا السلام المنبعث من الداخل يبدو شيئاً من الصعوبة إيجاده في طريقة حياتنا المألوفة.

نحن محاطون باستمرار بأصوات ازدحام السير والورشات الصناعية، مربكين بين مطالب الأصدقاء والأخصام، ومثقلين بالواجبات والمسؤوليات. وسط غمامة من الأصوات المزعجة والهيجان الشديد، على كل منا أن يجد طريقه الخاص لإحراز هدوء النفس. علينا أن نتذكر أولاً بأنه ليس ضرورياً استهداف حالة الإرباك لأنها ببساطة موجودة في كل مكان من حولنا. يمكننا السير عبرها ومن خلالها وماورائها حتى بلوغ القيم التي هي قوية أبداً. تلميذ الحكمة يفعل ذلك من خلال إقرار بسيط يستحق اهتمامنا

الكبير. في وجه الاضطرابات الدنيوية يقول: *".. هذا ليس ذاتي الحقيقية.. ولأنه ليس ذاتي الحقيقية فهذا لا يمكنه إزعاج الوعي لدي إلا إذا سمحت أنا بذلك.."*

عبر ميزة التقبّل سوف نتعلم تدريجياً كيف ندرك دروس الحياة. وأكثر من ذلك، ندرك ما تعنيه هذه الدروس بالنسبة لنا. نصبح مدركين لقوانين ومبادئ مختلفة تعمل دائماً وأبداً في العالم من حولنا.. والعالم بداخلنا. عبر هكذا اكتشافات نتوصل إلى بناء أساس راسخ ومتين لما نسميه الإيمان. نتعلم كيف نجب القوانين التي كنا نخافها في السابق. نختبر الكون بصفته جميلاً وعادلاً. ونجد الأمان الذي يأتي إلى أولئك الذين يجدون ملجأ في القانون. بالتالي فإن ممارسة الحكمة تساعدنا على العيش مع القانون، ونتحرّك مع القانون، وأخيراً وبإيمان كامل، نسمه للقانون بأن يسيّرنا.

من أجل فهم القوانين التي تحكم الحياة، علينا القبول بمفهوم الحكمة بخصوص الحركة الكونية. الحركة تكشف عن نفسها دائماً عبر التغيير. كما أن الحركة أبدية فإن التغيير حتمي وأكيد. الإنسان هو كائن متغيّر باستمرار، في عالم دائم التغيير. لكن رغم ذلك نراه يخاف التغيير ويقاومه. بصيرة الحكمة تساعدنا على مواجهة الحركة التغييرية للحياة بحكمة ولطف. في حياتنا اليومية، هذا المفهوم المتعلق بالحركة يمنحنا منظور جديد للحياة. رغم أن هذا لا يعني تغيير واضح في ما نفعله، بل يعني تغيير في موقفنا وراء ما نفعله. إذا كنا نؤمن بكون متحرّك، وإذا كنا نؤمن بأنه صائباً وسليماً للأشياء أن تتغير، فنكون قد تحررنا من هذا المجهود اليائس لمنع اختبارات وتجارب يستحيل منعها. إحدى الطرق لفهم الحركة من منظور العلاقات الشخصية هو أن نتذكر كيف كنا نعيش قبل عشرة أو عشرين سنة مضت. المنزل الذي عشنا فيه، الناس الذين عرفناهم، والصيغ التي تألفت منها عائلاتنا وصداقاتنا. مع تخيّلنا تلك الأيام الماضية، نرى الكثير من الوجوه في أذهاننا والذين لم يعودوا موجودين في هذا العالم. حالات وأزمات وأوضاع كثيرة كانت قائمة لكنها تلاشت واختفت الآن. منازل قديمة تم تهديمها لخلق مساحة لشقّ طرقات سريعة. حدائق جميلة هادئة قد اختفت وقامت مكانها الآن بنايات عالية. يوماً بعد يوم، سعت حركة الحياة التي لا تقاوم إلى جلب كل هذه التغييرات. تشير الحكمة إلى أنه في هذا العالم الدنيوي، لا بد للجديد أن يأتي والقديم يذهب دون رجعة. لأنه ما

من شيء عديم التغيير سوى التغيير ذاته. خلال تذكّر الحكيم كل تلك الوجوه التي لم يعد يراها في الحياة، يدرك بأنه في يوم من الأيام سوف يكون وجهه من بين تلك التي لم تعد موجودة في الحياة. هو لا يحزن بهذه الفكرة، لكنه يتقبلها بإيمان كامل بصفتها صائبة وضرورية وسليمة. هذه الحالة الدائمة من ظهور واختفاء الأشياء ليس مجرّد مرور مهرجان يتصف بالفقدان والأسى، بل دليل دائم ومستمر على العمل الكامل للقوانين الكونية.

في عالم من الحركة الأبدية، حتى الإنسان يعجز عن الوقوف بثبات ، كما كوكب الأرض بكل مخلوقاته، فهو يتحرّك عبر الزمان والمكان. من بداية مجهولة إلى نهاية مجهولة. هو في حالة صيرورة مستمرة نحو ذلك الذي لم يحرزه بعد. وينمو أبداً فوق ذلك الذي تم إحرازه. الإنسان ينمو لأن النفس بداخله تنمو، وهذه النفس تصبح أكثر حكمة كل يوم. كان بالإمكان أن يكون في حالة مزرية بكل تأكيد، لو لم يحفزّه إيقاع الحياة على السير على طول الطريق الذي يؤدي إلى ما وراء النجوم.

اعتبرت الفلسفات العصرية (الغربية عموماً) بأن الأنا تمثل كيان واعي ودائم، والذي يختبر تجارب الحياة، حيث تزعم بأن العالم حول الإنسان يتغيّر لكن الكيان بداخله يبقى هو ذاته. هذا المفهوم المنحرف يؤدي طبيعياً إلى موقف عدائي تجاه الحياة. وفقاً للفلسفات العصرية (الغربية) التشديد هو على الإنجاز الفردي، حتى ولو كان على حساب الخير العام. بصفته قبطان سفينة مصيره، كل فرد يحاول بكل ما عنده من موهبة وحرفة لقيادة سفينته الصغيرة إلى مرفأ آمن عبر البحر الهائج للعيش. في معظم الحالات، تنتهي الرحلة بإصابة الفرد بإرباك نفسي يمكن تشبيهه بالدوار البحري الكوني. هناك شيئاً حزيناً في هذه الفكرة التي تتناول رجل خارق وحداني يكافح بيأس من أجل التقدم بغاياته الخاصة وسط كون عظيم يعجز عن إخضاعه أو استيعابه.

الحكمة لا تقبل بمفهوم الأنا الثابتة غير المتغيرة. ما نسميه الأنا هو عبارة عن مجموع خبراتنا المتكشّفة على الدوام. نحن لسنا الشخص ذاته الذي كان قبل عشرة سنوات مضت، ولا حتى البارحة. لأننا نمثل جزءاً من قوة حيوية متحرّكة. إن حركة الوعي لا

تملك حدود ثابتة. نحن أحرار دائماً للتأقلم مع وضع جديد. نحن نحرز هدوء النفس من خلال تقليص متطلبات الأنا، وعبر الاسترخاء بعيداً عن ضغوط الغايات الأنانية التي تسبب لنا الألم والمشاكل. بدلاً من التفكير بالأنا بصفتها منفصلة عن باقي الأناوات (جمع أنا)، إنه من الحكمة إعادة تعديل طريقة تفكيرنا والبحث عن طرق تجعلنا نصبح واحداً مع الحركة الأبدية لكل الحياة.. عبر الزمان والمكان.

يوجد ميل عام نحو الافتراض بأن كل التغيير يؤدي في النهاية إلى الموت، وأنّ ما وراء الموت لا يوجد سوى عدم اليقين. لكن وفق مفهوم الحكمة فإن الموت لا يمثل النهاية، بل مجرّد تحرّر من حالة رادعة للتغيير. إنه حالة حرية.. عملية تصحيح لحركة.. حيث يغادر الكائن وضعية مكانية محدودة ومؤقتة للعودة إلى حالة مكانية مطلقة والتي تعتبر موطنه الطبيعي. بالتالي إذا قبلنا بهذا المفهوم للحكمة، فسوف نتغلب على أكبر العوائق أمام هدوء النفس لدينا. سوف ندرك بأن التغيير يمثل البوابة نحو الفرص اللامحدودة.. محررنا من كافة المحدوديات، بحيث يجلب لنا أصدقاء جدد وتجارب جديدة.

تعلمنا الحكمة أيضاً بأن الطبيعة العقلية الدنيوية لا تمثل الخادم المخلص للكائن الخالد المحبوس في كياننا. العقل البشري يمثل نعمة لكنها مختلطة. الجانب الدنيوي من العقل يقاوم التغيير.. ويقع في أمزجة مختلفة، إذ يتذكر مثلاً أحقاد قديمة، ويربطنا بالآراء الخاطئة التي تعود للماضي. لأن كل شخص يملك عقلاً، نجد أن هناك عدد النوايا والمخططات المختلفة بنفس عدد البشر في هذه الأرض. عندما يحاول كل فرد بكل ما عنده لكي يفرض رغباته على الآخرين، لا بد أن تكون النتيجة هي الإحباط والخيبة وعدم الرضى. وفقاً لتعاليم الحكمة، فإن التسامح وسعة الصدر لا تعني التسليم الضنين بأن الآخرين قد يكونوا على صواب، بل مجرّد إدراك واضح بأننا قد نكون على خطأ. الفيلسوف الحكيم يدرك بالكامل بأن المصلح الوحيد الذي له شعبية هو المصلح الذي يحسّن نفسه. يمكننا الهروب من العواقب السلبية للإرادة الأنانية والمصلحة الأنانية ورثاء الذات فقط عندما تكون أداتنا العقلية منضبطة بشكل سليم.

يتطلب الأمر شجاعة كبيرة لإحراز الانقطاع الكامل عن طغيان الأنانية وحب الذات، لكن الانتصار بهذا الإنجاز يستحق الثمن المدفوع. لكي يتمكن العقل من أداء وظائفه الأساسية وجب أن يخضع لانضباط الغاية الكونية. الحكماء القدامى أعطونا الوصفة: إذا لم يتم السيطرة على الجسد فإن العواطف يتعذر ضبطها.. إذا لم يتم ضبط العواطف فإن العقل يتعذر حكمه.. وإذا لم يُحكم العقل فسوف لن يكون هناك أي تحرر من المعاناة. بالتالي علينا أن نتغيّر دائماً وباستمرار نحو الأفضل. هذا إذا أردنا أن نعيش بتناغم وانسجام مع الغاية الأبدية. إن سرّ خلاصنا يتمثل بحقيقة أنه لدينا القوة والإمكانية للتغيير. لذلك علينا أن نكون ممتنين دائماً لهذه القوة والإمكانية.

منذ زمن بعيد جداً وضعت تعاليم سريّة مشفّرة، لكنها كانت تعاليم عملية جداً، تمثل القوانين الأساسية للسلوك المتنوّر. هذه التعاليم المشفّرة قُدمت للعالم كمساعدة للناس الذين ينشدون الخلاص.. إنها حكمة العصور. مع تقدمنا على درب ضبط النفس، هذه التعاليم سوف تساعدنا على فهم الوقار النبيل والهادئ للطريقة الخاصة للحكمة الشريفة. لقد كُتب: أن أساس الأمان الشخصي هو الانسجام. عندما يشجّع الأفراد نزعة الصداقة في داخلهم فإن الوئام والوفاق الناتج يجعله ممكناً الحلّ الفوري لكل المشاكل، وكذلك الشفاء السريع من كافة الهموم والقلاقل. عندما يتعاون الناس معاً، ما من شيء يتعذّر تحقيقه. عندما يكون الهدف الأعلى للإيمان نبيل وكافي ومقبول، فسوف يوفر ملجأ في القلب ضدّ كل الفساد. عليك بالتالي أن تبجّل هذا القانون الكوني العادل، ومن خلال فعل ذلك اكشف عن نبالة طبيعتك وشرف قناعاتك. دع أهمية السلوك الشريف يتمتع بتقدير عميق. على كل الأشياء أن تُنجز بشرف، وعبر الشرف.. وإلا فسوف لن تبقى صامدة طويلاً. إذا لاحظ الناس وجود إيمان صالح في بعضهم البعض فسوف يسود الاطمئنان ولن يحصل خوف من أي كارثة أو أزمة من أي نوع.

يبدو من الصائب أن تحسب دائماً حساب فضائل وقدرات الآخرين ، بالتالي كن محترساً من إهدار الإجادة والحكمة لأنك لم تلاحظها في شخص آخر. كن مسروراً عندما تنال حظوة تكريم الآخر بسبب جدارته وأهليته. وجب على كل الناس أن يعيشوا ويفكروا باعتدال لكي لا يستحثون على تقديم مصالحهم ومراتبهم عبر استغلال امتيازاتهم أو

التعامل بعدم أمانة مع الآخرين. تعامل دائماً مع محيطينك بعدم تحيّز، ومع إنصاف واستقامة في القلب. ولا تتأثّر كثيراً بالثراء أو التشريفات الدنيوية لرفاقك. إذا حصل وحسدنا الآخرين، فهذا سوف يشجعهم على حسدنا. الشرور التي تنتج من هذا الحسد المتبادل هي لامحدودة. دعونا بالتالي نسعى بدأب واجتهاد وراء أولئك الذين هم أكثر حكمة وذكاء منا، لأن هؤلاء هم المدافعون العامون عن الخير العام. بالتالي كن حذراً جداً عندما تمنح تقدير أو احترام لأولئك الذين يستحقون المديح. قد يحصل أننا ننقطع عن المساعدة المتبادلة لأسباب وغايات أنانية، وهذا سوف يؤدي لحصول الكثير من المتاعب والصعوبات.. كما يُضعف روابط الصداقة بين الناس. عندما نتكلم فإنه من الحكمة أن نعبّر عن أفكارنا، لكنه ليس صائباً فرض أفكارنا على الآخرين. الكلمات هي رسل وليست جنود. عندما نخبر عن أفعالنا الماضية، فإننا نتكلم عن الأموات.. عندما نخبر عن أفعالنا المستقبلية، فإننا نتكلم عن غير المولود. أما في الحاضر، فنكشف عن نوايانا من خلال السلوك وليس الكلام. دعونا لا نطلب ونتمنى كل ما هو غير عقلاني. ونكشف دائماً عن اهتمامنا بسعادة وأمان أولئك المحيطين بنا. إنه ذنب خطير أن نهمل المقطوعين الوحيدين.

كيف يمكننا النجاح في التفريق بين ذلك الذي هو صائب حتماً وبين ذلك الذي هو خاطئ حتماً. نحن نمثل الجانبين معاً: الحكيم والأحمق. كما الحلقة الدائرية التي ليس لها نهاية أو بداية. بالتالي إذا استشاط الآخرون إلى قمة الغضب أو عبروا بدون تهذيب عن امتعاضهم واستيائهم، دعونا لا نقلق بشأن تغيير طبائعهم وتصحيح أخطائهم، بل نقلق بشأن أخطائنا وطبائعنا الخاصة ونبدي حرص على تصحيحها.

للوهلة الأولى، هذه التعليمات العريقة مع تشديدها على الفضائل الأساسية للسلوك السليم لا تبدو ذات أهمية خاصة. لكن تذكر أن <u>الحكمة</u> تمثل درب للفعل الفوري بحيث يؤدي السلوك مباشرة إلى التنوّر. بالتالي فإن درب <u>الحكمة</u> لا يمثل ملجأ للمتوهمين أو المهووسين أو المضطربين عصبياً، ولا يمثل مغامرة ممتعة وبهيجة للمثقفين والمفكرين. درب <u>الحكمة</u> يمثل طريق مستقيم ومباشر يؤدي إلى حلّ المشاكل وعدم السعادة التي يسببها الجهل البشري. تبدأ <u>الحكمة</u> بأبسط التعليمات لكن أكثرها صعوبة والتي تتعلق

بضبط النفس. رغم أن السيادة الكاملة على منهج الحكمة قد يتطلب عمر بكامله، لكن تطبيقه ممكناً لأي إنسان يستطيع إحراز السكون في القلب والعقل (هدوء النفس). الأمر الأكثر أهمية في المسألة هو القبول المستمر والدائم للحكمة والجمال المطلقين في العالم وفي قلوبنا. مع ترسّخ منهج الحكمة بداخلنا، نختبر صلة قرابة مذهلة مع كل كائن حيّ. في هذا السكون التام والذي يمكن اعتباره التأمّل الحقيقي والأصيل (بالمقارنة مع تأمّل اليوغا) يتجدد إيماننا، ونعلم بكل يقين ما هي الغاية من الوجود وما هي مكانتنا في الخطة الأبدية. روح الحكمة تصادق على رسوخ الخير في كل مكان وزمان وحتى لو كانت الظروف توحي بغير ذلك. هذه الفكرة وحدها تساعد الفرد على المضي بحياته مطمئناً حتى نهاية العمر. من خلال تحرير العقل من أثقال الأفكار الصغيرة، فسوف يبقى قدر كافي من الوقت والطاقة لتحقيق الأمور المهمة. لم يعد القلب مضطرباً بفعل الخوف أو الندم وبالتالي يمكنه التمتع بالخبرات الغنية للصداقة الحقيقية والتعاطف الحقيقي.

إنه طبيعي للعصفور أن يغني والزهرة أن تتفتح، وإنه صائب أيضاً أن نجلب البهجة لأنفسنا وللآخرين. وجب على دروبنا أن تتلوّن بجمال أرواحنا، التي لا تشهد فحسب على ما أحرزناه بل ترشد خطى الذين يلحقون بنا على الدرب. من أجل العيش بتناغم وتوافق مع الجار.. لمشاركة الحكمة اللطيفة للسماء والأرض.. للحماسة إلى حب الجميل وخدمة الخيّر.. ومواجهة كافة التغييرات في الحياة بهدوء وأمل.. لكي تعيش بهذه الحالة يومياً عليك أن ترتدي عباءة الحكمة الشريفة.

فلسفتي في الحياة

إن فلسفة ناضجة في الحياة تتأصّل من عمق تفكير طبيعي. إن العيش دون تفكير هو الفشل في الاستخدام السليم للملكات والمواهب التي منحت لنا. إن التفكير دون تحكيم أفكارنا بطريقة سلوكنا وتعاملنا في شؤوننا المختلفة يعني استبدال الذكاء بمذهب عقلي محدد. إنه نادراً إمكانية صياغة فلسفة شخصية دون بحث ودراسة بحيث نتعرف على القناعات الأعمق والأكثر نبلاً للإنسانية. علينا أيضاً الاعتماد على التجربة اليومية في حياتنا بحيث يمكننا إقناع أنفسنا بواقعية وتكامل بعض المبادئ الأساسية التي هي راسخة وسليمة دائماً وأبداً. ما وراء الدراسة والتجربة تقبع الملكات الباطنية للروح، حيث على هذه الأخيرة أن تقدم المصادقة النهائية على القناعات التي نتوصل إليها. بالتالي إذا عشنا ببساطة وبحكمة، مع السعي أولاً إلى تطوير حياتنا الداخلية، والمحافظة على قلب واسع وعقل منفتح، فسوف يتم إرشادنا وتوجيهنا وفقاً لحاجاتنا وتفهمنا.

على كل شخص أن يكتشف فلسفته الخاصة في الحياة. وإنه ليس عادلاً أو سليماً أن نفرض قوانيننا الخاصة على الآخرين. لكن من جهة أخرى، فإنه من مسؤوليتنا مشاركة بعضنا البعض تلك التجارب والخبرات التب لها قيمة مشتركة. لذلك علينا بالتالي أن لا نسعى إلى الإهداء الإجباري أو الإقناع بالقوة، بل الدعوة إلى مشاركة هذه الخبرات مع أمل صادق بأن خيراً ما سوف يتحقق بهذا العمل.

كانت حياتي مكرّسة للاطلاع على تلك التعاليم والمبادئ الجوهرية التي ساهمت بشكل كبير في تقدم الحالة البشرية. لكنه ليس عادلاً القول بأنني اقتبست قناعاتي من الماضي البعيد أو جعلت نفسي مدمناً على كلمات وأفكار شخصيات تاريخية بارزة أو ولامعي الشهرة. لكن بدلاً من ذلك فقد اخترت طريقاً يزخر بالملاحظات والتجارب التي اختمرت حتى أثمرت عبر التأمّل والتفكّر، وبعد موازنة كافة الأشياء اخترت أن ألتزم بما هو صالحاً لي وأكثر خدمة لأولئك الذين يطلبون مساعدتي وإرشادي. من خلال بحثي عن ما هو خيّر وضروري، توصلت إلى القناعات التالية:

أنا أؤمن بوجود قوة عليا ومطلقة تقبع عند مصدر الحياة.. هي سبب كل شيء حيّ.. وأن هذا المبدأ الذي يتعذّر وصفه يمكن تسميته بشكل عادل وصادق ".. الواحد والخيّر..". إذا سماه الناس ".. الإله الكوني.."، أو ".. الله.."، أو ".. براهما.."، أو ".. داو.."، أو غيره.. فهذا الاختلاف في التسمية لا يشكل أي مشكلة ذات أهمية. فهذا الاختلاف في الأوصاف والمصطلحات يكشف عن اختلاف في اللغة فحسب، لكن ليس عن اختلاف في المفاهيم والأفكار. لقد توصل الإنسان إلى معرفة هذا الخير الأعلى [عزّ وجلّ] من خلال سعيه العقلي وتوقه القلبي. يبدو لي بأن الإيمان بالخير ووجود إله أعلى، موجود في كل مكان ويمثل أبداً مصدر الحكمة والعدالة والحقيقة والمحبة، يوصلنا في النهاية إلى استنتاج حقيقة أن كافة أعمال هذه القوة الخلاقة هي ضرورية وجميلة وفاضلة.. مهما بدت الأمور غير ذلك.

الكون الذي نعيش فيه هو مجرّد واحد من التجليات اللانهائية للإرادة الإلهية. بالتالي فلا بدّ أن يكون العالم خيّراً بجوهره، إذ لا يمكن استيعاب فكرة أن الخالق [جلّ وعلا] سوف يخلق خلقاً مناقضاً لطبيعته. بالتالي إذا ظهر أي شكل من أشكال الظلم أو عدم مساواة أو أي كارثة أو نكبة في العالم فلا بد من أنها تأصّلت ليس من التفهّم الإلهي بل من سوء الفهم البشري. إذا لم يُمنح لنا إمكانية معرفة واستيعاب كل شيء وسبر كافة الغوامض والأسرار، فعلينا أن نسعى عبر الإيمان والأمل والإحسان إلى إدراك الجميل والخيّر.

إن إرادة القوة الأبدية مكشوفة أمامنا عبر القوانين التي تحكم ظواهر التشكّل والتوالد والنمو والتكشّف والتحسّن الحاصلة جميعاً في الأشياء المخلوقة. يمكننا عبر التفكّر أن نختبر واقعية هذه القوانين ونكتشف حقيقتها الحكيمة والجليلة. علينا تبجيل المبادئ الكونية من خلال إطاعتها.. وعبر القبول البهيج لدروس الحياة اليومية مهما بدت قاسية أو لئيمة. الغاية من كافة أشكال التعلّم، وثمرة كل الأعمال والنشاطات والمساعي، وسلوى البديهيات والغرائز الأعمق والأكثر ورعاً وتقوى في أرواحنا.. جميع هذه الأمور تهدف إلى غاية واحدة فحسب وهي أن نكرّم ونطيع قوانين الخطة الشمولية الهائلة التي نمثل نحن أجزاء واعية مختلفة منها. كل الفنون والعلوم والفلسفات والأديان والأعمال

والحرف يمكنها إغناء حياتنا الداخلية لدرجة تجعلنا ندرك أنه عبرها تتجلى وتتكشف قوانين الوجود الأسمى والهادفة أصلاً إلى تقدمنا وتنورنا.

أنا أؤمن بأن الوعي البشري يمثل كائن منفصل عن الجسد الذي يسكنه، وأن هذا الوعي كان موجوداً في وقت سابق لهذا التجسيد، كما أنه سوف يبقى قائماً بعد زوال هذا التجسيد. أنا مقتنع بهذه الحقيقة، ليس لالتزامي بمعتقدات دينية أو فلسفية معيّنة، بل بفعل إحساسي الطبيعي الصادر من داخلي. يمكن تعزيز ودعم هذا الاعتقاد من خلال براهين يمكن استقاءها من ظروف العيش. إنه صعب أن تقرّ بالمنطق العقلاني السائد والذي يقول بأن الإنسان يولد ويعاني ومن ثم يموت دون غاية أو سبب.. ولا أنه قابل للهضم بأن الخبرة والمعرفة والتفهّم، والتي تعتبر بوضوح ودون شكّ الثمار الأكثر قيمة لعيش الحياة، سوف تنقطع ومن ثم تندثر عند ظاهرة الموت. ولا أنني أستطيع قبول تلك العقيدة المتعلقة بالمحاكمة الأبدية مع عقوباتها ومكافئاتها الأزلية، وكل ذلك بالاعتماد على تقييم مسار حياة واحدة في هذا العالم الدنيوي. وفق آلية تدبير الطبيعة، ووفق إحسان العناية الإلهية الثابتة، كافة المخلوقات التي تحوز بداخلها على حياة الخالق [جلّ وعلا] لا بدّ من أن تحوز على استمرارية وجودها إما بنفسها أو في رحاب الكائن الكوني. بالتالي فإن الحياة كما نعرفها لا بد من أن تمثّل مجرّد حلقة واحدة من مسلسل وجودي أكبر وأرحب وأكثر عظمة. من أجل هذا، ولأسباب أخرى، أنا أؤمن بعقيدة التقمّص بصفتها نمط حياة أكثر تشريفاً للإنسان، كما أنه أكثر توافقاً مع كل ما هو معروف ومرئي. بالإضافة إلى أنه الأكثر حسباناً لكشف الخير الأبدي للكائن الأعلى [عزّ وجلّ].

أنا مستعد لتقبّل تحدّي النمو، وللاعتقاد بأنني عشت سابقاً وسوف أعيش في مرّة لاحقة. حالتي الحالية تمثل مجموع خبرات حيواتي السابقة، وأنا موهوب بقوى وإمكانيات التحسّن والنمو وبواسطتها سوف أسعى إلى التقدّم بمصيري وفقاً لعقوباتي المستحقة ومكافئاتي المستحقة. لا أسعى لأن يُغفر لي عن أخطائي ولا مكافأتي على إنجازاتي، بل أكتفي بلجوئي إلى قانون مفعم بالخير الأبدي والذي يعطيني الحق والحرية لشق طريقي إلى خلاصي بمثابرة واجتهاد. أنا لا أؤمن بمبدأ الشرّ، إذ لا أستطيع التوفيق بين هذه العقيدة

وبين الخير الأبدي الذي يحكم الكون بقوة مطلقة. لكن علي أن أفسّر تلك المظاهر الشرّيرة المحيطة بي إرضاءً لضميري، من خلال الخبرة والملاحظة أصبحت مقتنعاً بأن الشرّ هو اسم آخر للجهل. من خلال الجهل يصبح الإنسان أنانياً وخطيراً وتدميري. ومن خلال استخدام وسوء استخدام موارده الإلهية والطبيعية، يسبب الإنسان الفساد والانحراف والخلافات خلال طريقة حياته التي صاغها بنفسه. عندما يخرق الإنسان قوانين الطبيعة، أو يعصي التشريعات البشرية، يجلب إلى نفسه عقوبات معينة، والتي تبدو بالنسبة لتفكيره الدنيوي الأناني جزاء غير عادل أو غير منطقي. وفق النمط الشمولي لمجريات الوجود الدنيوي فإن الخلاف بحاجة إلى توافق، والأنانية بحاجة للتفاني، والقسوة بحاجة إلى اللطف، والجهل بحاجة إلى البحث الحثيث عن الحقيقة والجمال. بالتالي فإن ما نسميه شرّ هو مجرّد خادم للحقيقة، إذ هو يدفعنا في النهاية إلى الابتعاد عن الخطأ والتمسك بالواقع.

أنا أؤمن بالحق الحصري لكل امرأة ورجل لعبادة ربهما والسعي للحقيقة وفقاً لميول ودوافع كل من قلبه وعقله. الدراسة الحذرة أقنعتني بأن كافة الديانات العظمى حول العالم، الماضية والحاضرة، تعلّم نفس الشريعة الجوهرية. جميعها تسلّم بقوة أو كائن أعلى، وتعلّم بطريقة أو بأخرى خلود النفس والروح، كما أنها تؤكّد على الانتصار النهائي للخير على الشرّ.. النور على الظلام، الحقيقة على الخطأ. يبدو لي أنه كما لكوكب الأرض أجواء كثيرة مختلفة تتناسب مع نشوء وتطور الكائنات الحية المختلفة، كذلك الحال مع الإيمان الذي له أسماء كثيرة. لكن مهما كانت تسمياته المختلفة فإن الإيمان يواسي ويلهم أولئك أصحاب الروح المخلصة والصادقة الذين يسعون إلى تعزية الإيمان الورع والخاشع. بالتالي فأنا لم أسعى أبداً إلى تحويل الشخص عن إيمانه الأساسي إلى إيمان آخر، لكنني سأساعده بأي طريقة ممكنة لإيحاد الغنى والتكامل في دينه الخاص به. مع الوقت سوف يدرك بأنه كما الضوء الذي يمكن أن يتجلى بعدة ألوان عند عبوره من موشور، كذلك الحال مع الحقيقة الواحدة التي يمكن إيجادها عبر الألوان المختلفة للإيمان المخلص والصادق. قد يحصل أن تتقدم أحياناً بعض الأديان وتخصّص جوانب معينة من المعتقدات والتعاليم التابعة للديانة الواحدة والأبدية. بالتالي يبدو لي أنه من خلال دراسة أديان المقارنة فسوف نقترب من الحقيقة الكاملة التي تمثل

الإيمان الواحد والأبدي. بالتالي فإن الصراع بين الديانات المختلفة يؤدي إلى إرباك وتشويش الغريزة الطبيعية للإنسان التي تدفعه إلى عبادة الخير الأعلى. وللسبب ذاته فأنا أؤمن بأن كافة الأعراق البشرية وفصائل المخلوقات المختلفة تمثل جوانب مختلفة لخطة واحدة، ووجب عدم فصلها أو اعتبارها مميزة عن تلك الخطة الشمولية. كل البشر، بصرف النظر عن انتمائهم العرقي أو القومي، أو لونهم أو وضعهم الاجتماعي، يتشاركون حياة واحدة ويتواجدون في عالم واحد وهم أولاد قوة واحدة خلاقة. بالتالي علي قياس الإنسان ليس من مظهره الخارجي بل عبر أعماله، وبالتالي على الكفّ عن أي معاملة أو موقف يحط من قدره فقط بسبب ظروفه أو وضعه الاجتماعي. أنا واثق من خلال ضميري بأنه إذا لم استطع إيجاد الخير في نفسي أو في رفيقي الإنسان فسوف لن اكتشفه في أي مكان في الفضاء أو ما وراء النجوم.

أنا أؤمن بصدق بأنني كإنسان موهوب بملكات وقوى وإدراكات متنوعة ومختلفة وأنني مسؤول أخلاقياً عن استخدامها، وبالتالي فهو من واجبي تجاه نفسي وتجاه عالمي وتجاه القوة الأبدية التي أنا موجود عبرها وفيها، أن أحكم مزاجي وطبعي، وأقمع شهواتي، وأنقّي عواطفي، وأثقف عقلي، وأزيد من تفهّمي واستيعابي، وإن الفشل في تطوير هذه الجوانب سوف يتركني ضحية لنوازعي غير المنضبطة مما يعرّضني للتأنيب العادل لرفاقي. لأنني كائن واعي وغير مضطرّ إلى اتباع غرائزي ودوافعي العفوية والفورية، فهذا يجعلني قادراً على أن أكون اطيفاً وعادلاً وهادئاً ومتسامح ومتعاطف ومتفاني.. حتى في الظروف الأكثر صعوبة وقسوة. من خلال الملاحظة والخبرة، وبفعل تجربة العصور، أنا أعرف داخلياً ما هو الصح وما هو الخطأ، وما هو جيّد وما هو سيّء. قد لا أتوصل إلى تعريف نهائي لهذه المواضيع السابقة، لكنني أفهمها كما تصحّ لي ولسلوكي. بالتالي لا أستطيع أن أزعم بأنني حكيم أو فاضل أو تقي، إلا من خلال أفعالي بحيث أستطيع إثبات هكذا ادعاءات. يبدو لي أن الهدف من الفلسفة وعلم النفس هو إرشادي إلى موازنة سلوكي، كما تعلمني أن أكون قوياً في أعمال الخير لأنها وفرت لي فهم سليم بخصوص الخير. الفلسفة لا تمثل فرع من فروع التعليم بل هي طريقة حياة. وإلى أن أمارس طريقة الحياة هذه فسوف لن يكون لي أي دور في مجال الفلسفة ولا في العلم الحقيقي ولا في الدين الصافي إذ جميع هذه المجالات تعلّم في النهاية

الشيء ذاته. بالتالي فأنا أحكم على الإنسان بأنه خيّر وحكيم وتقيّ، عندما يكافح، وفقاً لإمكانياته ومحدودياته، من أجل العيش بطريقة سليمة ويخضع أفكاره وعواطفه تحت سيطرة التفهّم المتنور. الكلمات دون أفعال هي كلمات ميتة. والإيمان الجميل الذي لا يقود إلى رقة الروح هو إيمان عقيم لا يثمر. قد يحدث أننا جميعاً مقصّرين في هذا التوجّه. لكن علينا أن نعتبره بطلاً ذلك الشخص الذي يفعل كل ما بوسعه، لأننا نعلم بأن مجهوده الصادق سوف يُكافأ ببصيرة عظيمة.

أنا أؤمن بأنه صحيحاً وسليماً أن نبجّل الخير كما فعل أولئك الذين خدموه في الماضي بمحبة وإخلاص. لهذا فأنا أحترم وأعجب بالقادة الروحيين والقديسين والأولياء الذين عاشوا يوماً في الماضي. أنا لا أعبدهم ولا حتى أرغب في تقليد أي واحد منهم، لأنني أؤمن بأن كل منهم له مصيره الخاص به والذي لازال في طريقه إلى التكشّف والكمال. إذا كان علينا احترام والدينا الذين هما سبب وجودنا، أليس علينا إذاً احترام الحكماء الذين هم سبب حسن وجودنا؟ أنا بالتالي ممتناً بأن رجال ونساء صالحون قد عاشوا فعلاً على هذه الأرض وأنا أمنحهم بكل سرور التقدير والاعتراف الذين تم حرمانهم منهما عندما كانوا مازالوا على قيد الحياة. أنا أؤمن بأنه علينا السعي للنمو فوق مستوى معلمنا كما أنه ليس من واجبنا ذكره مع هالة قدسية تبجّله. أجد تعزية كبيرة في إدراك حقيقة أن أولئك القادة الخيّرين والعظماء كانوا أشخاص فانين كما نحن تماماً، ولهم هفواتهم وأخطائهم مثلنا، وبالتالي هذه الحقيقة تدفعني إلى التسليم بحقيقة أن أي شخص دنيوي يمكنه أن يكون مثلهم تماماُ، أي مكرّساً للحقيقة لدرجة تجعله خادماً للآخرين ومساهماً في انتشار وسيادة الواقع الأبدي.

أنا أؤمن بأنه عادل وسليم أن نستفيد من كافة الاكتشافات الجديدة في كافة الفروع العلمية. أنا لا أستطيع أن أدين العلم أو التعليم أو الفلسفة العصرية بسبب هفواتها وأخطائها. أنا أعلم بأن هذه المجالات المعرفية تُخدم من قبل أفراد فانين وغير كاملين، وكما حالتي تماماً، فإنهم يسعون للنمو واستكشاف ألغاز الحياة والزمان والمكان. أشعر بأنه من غير الحكمة أن ننتقد أو ندين، إلا إذا كنت أفرض على الآخرين بأن يقلّدون توجهاتي، أو أشعرهم بأنهم مبررين فقط إذا توافقوا معي بتوجهاتي. لقد تعلمت عبر

الخبرة بأن الكلمات البناءة والتقدير اللطيف والاعتراف الكامل بالنوايا الخيّرة سوف يساهم أكثر في نمو الآخرين من البحث عن العيوب والتثبيط من العزيمة. بالتالي أنا أميل إلى أن أصمت إذا لم أستطيع التزكية أو التوصية. على الحياة الجيّدة أن يكون لها تناغم وتوافق مع أجزاءها الباطنية. إنه صائب وسليم أن نعتاد على السكون ونكرّس بعض من وقتنا للتفكّر الهادئ.

أنا أؤمن بأن الكائن الخالد بداخلنا يجعل غاياته معروفة فوراً ومباشرة من خلال القلب الساكن والعقل الهادئ. إنه بالتالي أعظم فائدة أن نختبر حضور الخير المطلق [جلّ وعلا] بصفته بركة للروح والذي يدفعنا بشكل طبيعي إلى هدوء النفس. لهذا السبب فلا يمكن أن يكون هناك سلام دون الإيمان. حيث عبر الإيمان وحده يمكننا اكتشاف حقيقة وواقعية السلام.

أنا أؤمن بأنه على الفيلسوف أن يكون مواطن ملتزم بالقانون. عليه أن يحافظ على تشريعات المجتمع والوطن الذي يعيش فيه. وإذا لم يستطيع القبول والاعتراف بهذه التشريعات فعليه السفر بعيداً إلى بلد آخر يتناسب أكثر مع ميوله الفكرية. التقدم في التعليم يدفعنا إلى التأمّل في الخير المتأصّل في الأشياء، وكذلك تقدير النمو والتقدم. لكن هذا لا يعني على أي حال بأننا غير غافلين عن هفواتنا وفشلنا. إنه أفضل أن نستلهم لتصحيح ظرف معيّن بدلاً من أن نسمح لأنفسنا أن نكون مجرّد ناقدين فارغين. مع تنمية الاستقامة في أنفسنا نعمل بذلك على إغناء وتقوية المجتمع. وهذا بالتالي يجعله ممكناً كافة الإصلاحات العقلانية. لقد لاحظت بأن أولئك الذين يتمتعون بميل للمرح ومعاملتهم حسنة مع الآخرين وبطيؤون بطبيعتهم للغضب وسريعون في المسامحة ومتساهلون وميالون لنشر السلام والتوافق هم الأكثر ترجيحاً للتمتع بصحة جيّدة. يبدو أن السعادة والأمان يُكتسبان بواسطة السلوك السليم. يبدو أن قوانين الكون أثبتت نفسها وجعلته معروفاً المخطط الإلهي للإنسان. الاعتدال هو فضيلة، بينما الانغماس والتقشف يمثلان نهايات متطرفة. الطبيعة في النهاية تتطلب مسار وسطي.

أنا أؤمن بأن الامتلاك أو التملّك أو الملك تمثل جميعاً وهم من صنع الخيال البشري. نحن لسنا موجودين في هذا العالم لنمارس الملكية على أي شيء، بل لكي نمارس نوع من الخدمة. نحن لا نستطيع امتلاك أشخاص آخرين دون أذيتهم أو حتى نبلي أنفسنا بالحزن والألم. إن امتلاك أكثر مما نحتاجه هو حمل ثقيل على الروح، كما أنه يمثل إغواء دائم ومستمر للفساد والتبذير والإسراف. الذين لديهم الكثير من الممتلكات الدنيوية لا يملكون الوقت الكافي أو حتى الحافز الكافي لتنمية شخصية مثالية لديهم. إنهم يصبحون خدماً وعبيد لممتلكاتهم ويتوهمون بحسّ كاذب بالأمان. إنه جيّد لكل إنسان أن يعمل. إن حب الدين أو الفلسفة أو الاجتهاد نحو التحلّي بزينة روحية لا تمنع الفرد من أن يكون عضو مكتفي ذاتياً في المجتمع. إن الاحتراف في عمل أو صناعة معينة هو مساهمة في عملية الخلق والمحافظة على الشرف وحفظ كرامة الشخص. لا يمكنني اعتبار عمل مفيد معيّن بأنه أكثر فائدة من عمل مفيد آخر. أو النظر إلى العمل الوضيع، رغم أنه شريف، بتكبّر واستحقار. الكدح الصادق والنزيه يمثل جزء من الممارسة الدينية بنفس أهمية أي من طقوسه الأكثر بهرجة في دور العبادة.

أنا أؤمن بأن الحب هو قوة أبدية، ويمثل جزء طبيعي من الخير الأعلى. لو أن كافة الأشياء قد خُلقت بواسطة الحكمة وعُزّزت بواسطة العزم فلا بد من أن تُكمّل بواسطة الحب. أينما حضرت قوة الخلاص في العالم، تعالج أسرار الإحياء والبعث والتجدد والخلاص، هناك سوف نجد الحب. إنه دواء لمرض العقل وتلوّث النفس أو إرهاق الجسد. بواسطة المحبة كل الأشياء قابلة للتلطيف والتطويع ومن ثم تُكشف أعمالها الحسنة والمهذبة. بالنسبة للإنسان لا يمكن البرهان على وجود الحب سوى إذا أحب، فيختبر الحب. بقوة الحب يمكن أن يُحفّز الإنسان على التضحية بنفسه وتقديم سعادة الآخرين على حساب سعادته. إذا أحب بصدق فسوف يتصرف بنبل وشرف. سوف لن يجد أي مبرر للوحشية والخصام، بل يسامح عدوه ويحافظ على صديقه. في غياب الحب، لا يمكن أن يوجد سلام في هذا العالم ولا اطمئنان في نفس الإنسان ولا مشاركة في نعمة المطلق [عزّ وجلّ]. بواسطة الحب سوف تحيا الحكمة وتنتعش، والمعرفة تستخدم للخير العام، العلم يصبح خادماً للتقدم، والدين سوف يلغي تعاليمه المتعلقة بالخوف والتخويف والتهديد والوعيد. وجب عدم إعلان الحب أو التعبير عنه بالكلام، بل

وجب أن يُكشف عنه بواسطة الأفعال. بواسطته نحن نندفع لفعل تلك الأشياء التي تجلب البهجة والفرح لأولئك الذين نهتم بهم. الحب الحقيقي لا يمكنه أن يكون أنانياً أو مستغلاً أو ساعياً للمصلحة الخاصة، بل يعطي من نفسه كلياً وأبداً. لاحظت أيضاً بأنه صعب جداً تطبيق الحكمة على أمور بسيطة. إنه أسهل عليك تفسير مجريات الكون من أن تفهم سلوك أحد الأصدقاء. إنه أسهل عليك تخطيط مشروع إصلاحي للمجتمع من أن تنشئ أسرة جيّدة ومنزل هنيء، أو تجلب السرور لعيون البؤساء. بالتالي يبدو لي أنه على الساعي للحقيقة ترتيب الأمور بحيث يمنح الأولوية لما، أو من، هو الأقرب إليه. سوف يكتشف أوهام وخداع معتقداته الخاصة مباشرة بعد أن يحاول عيش ما يعتقده. إذا كان عليه تجاهل حياته والسعي وراء مجالات أوسع من النشاطات، فقد يعيش سنوات طويلة من الإدمان على تعاليم خاطئة ومزيفة دون أن تظهر له الحقيقة أبداً. ولا عليه أن يتوقع من الآخرين حبه واحترامه إذا لم يحبهم ويحترمهم. خطأين لا يصنعان أبداً صحيح واحد. وإنه ضد الخير الأعظم أن نسمح للخداع والتضليل أن يستمر فيما بيننا.

أنا أؤمن بكل تأكيد بأن التجربة الدينية هي أمر جيّد وضروري. لكن ليس عليّ أن أفرض على أي شخص الدين الذي عليه اتباعه. جميعنا بحاجة إلى مواساة الروح التي تأتي إلى أولئك الذين يعترفون بتواضع بامتنانهم ومديونيتهم لقوة عليا. إن المظهر الخارجي للمعتقد هو أقل أهمية من واقعيته. لكن عبر مظاهر الأشياء يسعى الإنسان لإدراك جوهرها غير المرئي والذي يمثّل مصدر كل شيء. كما وأنه جيداً أن يصلّي الفرد، ليس من أجل تحقيق الأشياء التي يريدها، بل من أجل ذلك الفهم العميق الذي هو بحاجة إليه. لذلك دعونا نصلّي بأن نعيش دون اعتداء أو تعدّي، وأن نخدم الخير، وأن نكون لطفاء في كافة الظروف ومع كل الأشياء، وأن ننجح في النهاية بمعرفة الإله الأعلى [عزّ وجلّ].

أنا أؤمن بأن أولئك الذين يحافظون على القانون سوف يحفظهم القانون. مع اكتمال الزمن سوف تعود النفس البشرية، المكسوة بلباس العفة والطهارة ومفعمة بالنعمة السامية، إلى الكائن المطلق [جلّ وعلا] الذي انبعثت منه أصلاً. وسوف تقبع في اللانهائية اللامحدودة، وسوف تعرف السلام الذي يتجاوز الفهم. أنا لا أؤمن بأن الأرواح يمكنها

أن تضيع كما تقرّ بعض الأديان، أو أن الشرّ النهائي يمكنه التشويش على أعمال الخير، أو أن الكائن الأعلى [جلّ جلاله] يمثل في أي حال من الأحوال مصدراً أو سبباً للألم أو الإرهاب. كما أنه يبدو لي بأن العالم الذي نعيش فيه، بكل مخلوقاته وأقسامه المختلفة، يمثل كائن شامل ينمو ويتكشّف. وأنه مع اكتمال الزمن سوف تشعّ النعمة من داخل الإنسان بحيث تمكنه من بناء مجتمع جميل بحيث يمكنه أن يعيش بسلام وسعادة وانسجام. في تلك الأيام سوف يكون هناك حكومات فاضلة وحرية من الجريمة والعوز، وحينها سوف تكون البشرية بكاملها مدركة تماماً للغاية من وجودها، وسوف تخدم تلك الغاية بفخر وسرور. لكن حتى مجيء تلك الفترة البهيجة سوف استمر في فعل كل ما بوسعي، ووفقاً للوسائل التي أحوزها، لتحقيق هذه النهاية البهيجة، ودون أي انتظار للمكافأة الفورية.

أنا أؤمن بأنه من واجب وامتياز أولئك الذين يمارسون مهن مميزة، والتي لها علاقة بالنمو الجوهري للإنسان، بأن يكونوا صادقين ونزيهين وشرفاء. أنا أؤمن بأنهم لا يستطيعون السماح للأنانية والمصلحة الذاتية التأثير عليهم دون إحداث جروح عميقة لأرواحهم وأرواح الآخرين. يبدو أنه علينا أن نكون حذرين خلال تعليم المحامين والأطباء والسياسيين ورجال الدين والفلاسفة وعلماء النفس، إذ علينا فعل كل ما بوسعنا لكي نساعدهم فهم واستيعاب الألوهية والجلالة الطبيعية للحياة البشرية، لأن هؤلاء يمارسون تأثير واسع على عقول الناس. عليهم أن يدركوا بأنه في وسعهم إدارة الحاجات الداخلية وكذلك الأساسيات الخارجية لأولئك الذين يعتمدون عليهم.

أنا أؤمن بأن الحكمة والمعرفة العظيمتين تقودان إلى الإيمان. وأنه دون الإيمان فإن العلم يعتبر جنوناً وبلاء للنفس. أنا أؤمن بأنه إذا اتبعت درب الحكمة كما كشفه لي معلمو العرق البشري، وكذلك عبر الحدس الداخلي للوعي لدي، بالإضافة إلى كوني معززاً بملاحظاتي وخبراتي الخاصة في الحياة، ربما يمكنني بعدها العيش بطريقة قريبة من، ومقبولة من قبل، الحقيقة الأصيلة. وإذا عشت بهذه الطريقة، سوف أحوز على حق الحصول على معرفة وفهم أكبر، لكنني لن أنتظر أكثر مما يستحقه سلوكي وتفكيري الحاليين. وبالإضافة إلى ذلك، إذا كرست نفسي للأعمال الصديقة والخيّرة، ممتنعاً لأكبر

درجة ممكنة عن الأفعال والأفكار المدمرة، يمكنني حينها مواجهة المستقبل بهدوء النفس. سوف أعيش دون خوف وأموت دون خوف، لأنني أكون قد وجدت مبرراً لإيماني.

مع إيماني بكون واسع ملؤه الحقيقة والجمال، سوف أواجه كل يوم جديد دون تساؤل أو تشكيك. سوف أتذكر الماضي دون ندم أو أسف. وسوف أنظر إلى المستقبل متأملاً بتحقيق كل الأشياء الخيّرة. لكن بعد هذا فأنا لا أعرف شيء ولا أستطيع فعل شيء. لكن لدي الإيمان بأنه عندما يصبح الأمر ضرورياً فسوف أتمكن من المعرفة وسوف أستطيع الفعل. أنا لا أطلب أكثر من ذلك، ولا أقبل بأقل من ذلك.

علاء الحلبي

المراجع

Boethius, Anicius Manlius Severinus. *Consolation of Philosophy*. Translated by H.R. James.Adelaide: The University of Adelaide, 2007.

Richard A. Dwyer, *Boethian Fictions, Narratives in the Medieval French Versions of the Consolatio Philosophiae*, Medieval Academy of America, 1976.

Noel Harold Kaylor; Philip Edward Phillips (3 May 2012), A Companion to Boethius in the Middle Ages

Thoreau, Henry David. "Walden Civil Disobedience and Other Writings. *W.W. Norton & Company,*

Thoreau, Henry David. *A Week on the Concord and Merrimack Rivers* / *Walden* / *The Maine Woods* / *Cape Cod*. Library of America

....

"THE RINGING CEDARS Series"

Vladimir Megre

ANASTASIA
Book 1, translated from the Russian by John Woodsworth, edited by Leonid Sharashkin, Ringing Cedars Press, 2005, Columbia, Missouri, USA

The Ringing Cedars of Russia
Book 2, translated from the Russian by John Woodsworth, edited by Leonid Sharashkin, Ringing Cedars Press, 2005, Columbia, Missouri, USA

Space of love
Book 3, translated from the Russian by John Woodsworth, edited by Leonid Sharashkin, Ringing Cedars Press, 2005, Columbia, Missouri, USA

Co-Creation
Book 4, translated from the Russian by John Woodsworth, edited by Leonid Sharashkin, Ringing Cedars Press, 2006, New York, USA

Who are we?
Book 5, translated from the Russian by John Woodsworth, edited by Leonid Sharashkin, Ringing Cedars Press, 2006, Paia, Hawaii, USA

The Book of Kin
Book 6, translated from the Russian by John Woodsworth, edited by Leonid Sharashkin, Ringing Cedars Press, 2006, Paia, Hawaii, USA

Energy of Life
Book 7, translated from the Russian by John Woodsworth, edited by Leonid Sharashkin, Ringing Cedars Press, 2006, Paia, Hawaii, USA

The New Civilization Part 1
Book 8, translated from the Russian by John Woodsworth, edited by Leonid Sharashkin, Ringing Cedars Press, 2006, Paia, Hawaii, USA

RITES OF LOVE - The New Civilization Part 2
Book 9, translated from the Russian by John Woodsworth, edited by Leonid Sharashkin, Ringing Cedars Press, 2006, Paia, Hawaii, USA

…………………………

الطريقة الوحيدة للتواصل مع الكاتب، بريد إلكتروني:

[sykogenea@gmail.com]

…………………………